

سلسلة المقررات الدراسية ١٥

المدخل إلى علم إعجاز القرآن

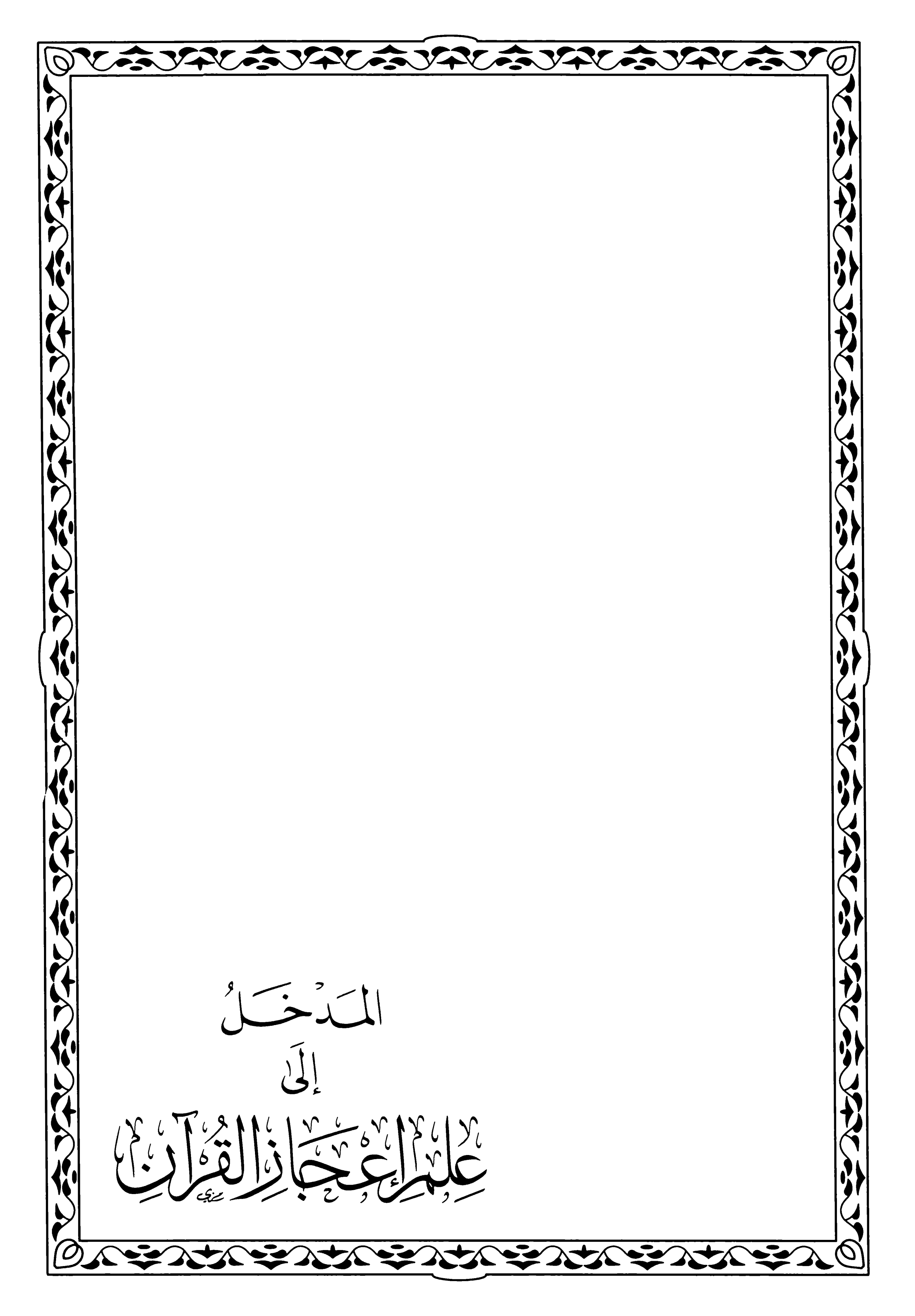
إعداد
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

راجعه
أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر
أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود



دار الغوثاني للدراسات القرآنية



المدخل
إلى
علم إعجاز القرآن

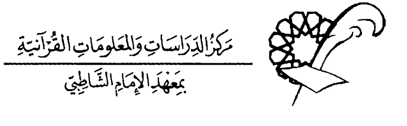
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز
المدخل إلى علم إعجاز القرآن./ محمد عبد العزيز العواجي – ط١.
جـــــدة ، ١٤٤٤هـ.
٢٩٦ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨-٣٣-٨٣٨٠-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن – إعجاز أ. العنوان
ديوي ٢٢٩,٤٥ ١٤٤٤/١٩١١

رقم الإيداع: ١٤٤٤/١٩١١
ردمك: ٨-٣٣-٨٣٨٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

إِصْدَارٌ مُحَكَّمٌ عِلْمِيًّا



٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٢٠٢ – تحويلة: ١١٠
www.shatiby.edu.sa
drasat@shatiby.edu.sa

العنوان الوطني (بريد واصل):
معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه
٥٢٠٦غ م – حي الرحاب
جدة ٢٣٣٤٣ - ٦٩٩٠
المملكة العربية السعودية



جدة – المملكة العربية السعودية
info@shatibeya.com.sa +٩٦٦ ٥٥٠٢٧٤٦١٠



سلسلة المقررات الدراسية ١٥

المدخل
إلى
علم إعجاز القرآن

إعداد
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

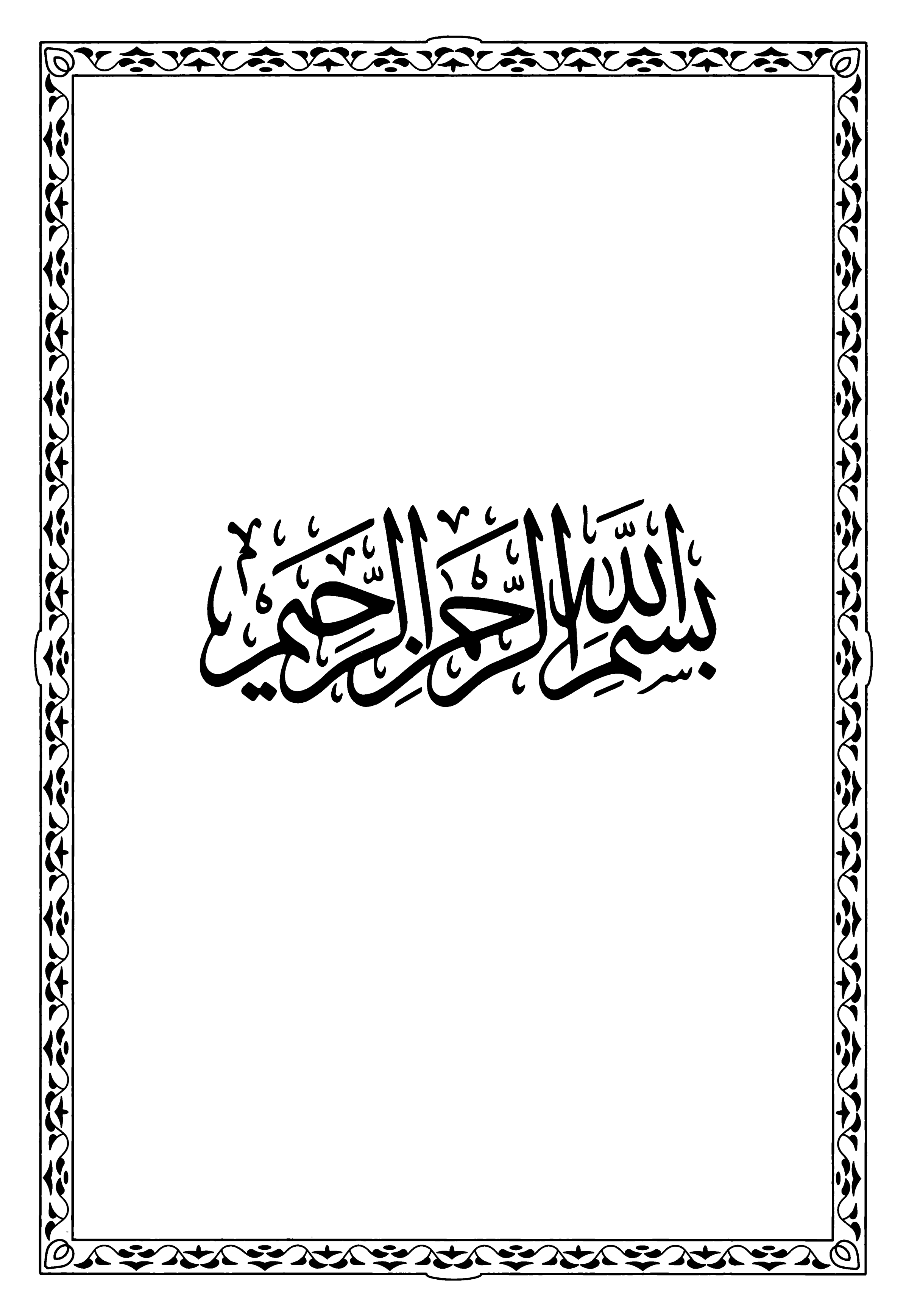
راجعه

أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر
أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود



الإصدار (٤١)


بسم الله الرحمن الرحيم



تصدير

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، بل نزَّله قيّمًا مفصّلًا بيّنًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولا يقدر الجن والأنس على أن يأتوا بمثله أبدًا، والصلاة والسلام على مَنْ أنزل اللهُ عليه القرآنَ ليبلِّغه إلى الناس، ويبيِّنه لهم، ويعلِّمهم الحكمة، ويزكِّيهم.

أما بعد.

فهذا «المدخل إلى علم إعجاز القرآن» يبسط القول في وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويعرِّف بها، ويفرِّق بينها، ويمثِّل لها، ويبيِّن ضوابطها؛ نصرة للقرآن، وردًا على من ينكر أن يكون القرآن في نفسه معجزًا أو ينكر أن يكون الناس غير قادرين على الإتيان بمثله أو يحصر إعجازه في البلاغة أو في الإخبار بالغيب أو يعلله بأمر خارجي؛ لولاه لكان الناس قادرين على الإتيان بمثل القرآن.

وقد التزم فيه المؤلف -وفقه الله- بالمنهج الذي أحاله عليه المعهد، وهو وثيقة المعايير الأكاديمية لمحتوى مقرر إعجاز القرآن في برامج بكالوريوس الدراسات القرآنية في مؤسسات التعليم العالي التي وضعتها الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي في المملكة العربية السعودية، عام ١٤٣٧هـ الموافق لعام ٢٠١٦م، وهي مستويات موضوعية مستمدة من مراجع أكاديمية قياسية يجب الوصول إليها؛ لضمان جودة المؤسسة التعليمية أو البرنامج الأكاديمي.

وقد استخلصه من عشرات المصادر والمراجع المتنوعة، بلغت أكثر من ٢٥٠ مرجعًا، وأحسن في عرضه للموضوعات، وفي معالجته للأفكار مستعينًا بما ينقله من كلام العلماء؛ حيث ظهرت شخصيته في المناقشة والترجيح، كما ورد في تقرير محكمي الكتاب، الذي قرر كونه يفي بالغرض الذي أُلِّف من أجله، وهو أن يكون مرجعًا لمقرر إعجاز القرآن في برامج بكالوريوس الدراسات القرآنية في مؤسسات التعليم العالي.

وبهٰذه المناسبة أشكر محكِّمي الكتاب: فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، أستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمٰن بن معاضة الشهري، أستاذ الدراسات القرآنية في كلية التربية بجامعة الملك سعود، اللذين زادت مقترحاتهما وتنبيهاتهما الكتاب قيمة وحسنًا؛ فأسأل الله ﷻ أن يجزيهما خير الجزاء، كما أشكر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالمعهد علىٰ مراجعة الكتاب، وصنع خلاصات لمباحثه وفصوله، وأسئلة عن معانيها ومفاهيمها، ورسوم توضح أقسامها والعلاقات بينها، وهي وسائل تسهل الوصول إلى المعرفة، وتساعد على التعلم والتعليم، والغاية من وراء ذٰلك كله نشر الكتاب ضمن سلسلة المقررات الدراسية التي يصدرها المعهد.

وأسأل الله ﷻ أن يجزي فضيلة الدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي خيرًا علىٰ هٰذا الكتاب النافع، كما أسأله سبحانه أن ينفع بهٰذا الكتابِ طلابَ العلم، وأن يعينهم علىٰ فهم مقاصده، وتحقيق فوائده، وتأمل ما فيه، وأن يكون لهم فيه متاع، وبلاغ إلىٰ حين.

والحمد لله رب العالمين.

المشرف العام علىٰ معهد الإمام الشاطبي

أ.د. نوح بن يحيى الشهري



مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل إليه القرآن، ليكون بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وهاديًا إلىٰ ما ارتضىٰ له من دينه، ودليلًا علىٰ وحدانيته، ومبينًا لصفات جلاله، وعلو شأنه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علىٰ أفصح الخلق لسانًا، وأصحهم بيانًا، وأكملهم إيضاحًا، وأعلم الخلق بالحق: محمد بن عبد الله الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبينه للناس، وضمَّنه دلائل صدقه، وبراهين انفراده بالربوبية والألوهية، وقطع بمعجز التأليف الطمع في معارضته، وأبانه بعجيب النظم عن حيل الشعراء والمتكلمين.

أما بعد.

فمن أهم ما يجب علىٰ أهل دين الله كشفه، وأولىٰ ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قوامًا، ولقاعدة توحيدهم عمادًا ونظامًا، وعلىٰ صدق نبيهم، ﷺ، برهانًا، ولمعجزته ثبتًا وحجة[1].

فقد أنزل الله كتابه العظيم (القرآن) علىٰ نبيه محمد ﷺ ليكون آية النبوة وحجة الرسالة، وتحدى العالمين أن يأتوا بمثله، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧- ٣٨]. فطلب من القائلين: افتراه؛ أن يأتوا بمثله؛ متحديًا لهم بأن يعارضوه، ومضمون تحديه أنه لا يقدر أحد على الإتيان بمثله من دون الله، وأنه إنما أنزله الله، وأنه آية بينة تدل على الرسالة وعلى التوحيد.

وهٰذا الكتاب يفصِّل مضمون هٰذه الآية ونظائرها من آيات التحدي والإعجاز، ويبين المقصود بإعجاز القرآن وأهميته، ويستعرض سبعة من مجالات إعجاز القرآن؛ وهي: الإعجاز البياني، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز العددي،

---

(١) من مقدمتَي: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، وإعجاز القرآن، للباقلاني.

والإعجاز النفسي، والإعجاز الاجتماعي، وأدلة كل وجه وأمثلته، وضوابطه، وموقف العلماء منه، ويناقش الشبهات والشكوك التي تعرض لبعض الأفهام في إعجاز القرآن.

وسبب كتابته طلبُ معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه من كاتبه تأليفَ كتاب في إعجاز القرآن يحقق المعايير الأكاديمية لمحتوى مقرر إعجاز القرآن في برامج بكالوريوس الدراسات القرآنية في مؤسسات التعليم العالي.

فاستعرضت ما كتب في إعجاز القرآن الكريم والمسائل المتعلقة به في شتى أوعية المعلومات من كتب ورسائل جامعية ومقالات؛ ورقية وإلكترونية، واستخرجت منها ما وجدت أنه يحقق المعايير المذكورة، وألفت بين المواد المتفرقة في موارد الكتاب بروابط تكوِّن منها نسيجًا متناسبًا؛ فكان هذا الكتاب.

ثم طلبَ المعهدُ من متخصصين في موضوع الكتاب الحكم عليه وتقييمه؛ فتنامت أفكاره بآرائهم القيمة، كما أولى المعهدُ مركزَ الدراسات والمعلومات القرآنية فيه مهمةَ مراجعة الكتاب، وخدمته بتوفير المواصفات والشروط التي ينبغي توفرها في الكتاب الدراسي؛ من توضيحِ أهداف الكتاب، ووضعِ عناوين للموضوعات التي تبيَّن أثناء مراجعته أنها تحتاج إلى عناوين؛ تكون مفاتيح لفهمها أو روابط تربط بينها وبين الموضوعات الرئيسة أو غيرها من الموضوعات المتعلقة بها، وتضمينِ الكتاب أسئلةً في نهاية كل فصل، ورسومًا بيانية لبعض المسائل ذات الأقسام والفروع.

وشأننا في هذا الكتاب كما قال الرافعي في خاتمة كتابه «إعجاز القرآن» (ص٢٧٤): «لو ذهبنا نستقصي في استخراج كل معنى على حدوده وجهاته، ونستحمل النفس حاجة الشرح والتمثيل، والموازنة والتعديل، ونوسع هذا الباب اعتبارًا ونظرًا؛ لخرجنا منه إلى ما يستنفد العمر كله، وإن كنا لا نهاوِن بالنفس، ولا نرفق بها في العمل؛ ولصرنا من بعد ذلك إلى فصل تعجز عنده المؤونة، ويقصر مقدار العقل دونه، فإنما هو كتاب الله؛ أحكمت آياته ثم فصلت من لدنه على حكمته وعلمِه، فإن نفد من أسراره في النظم والنسق، بقي ما وراء ذلك مما هو علة النظم والنسق؛ وإن استطعنا القول في كيفية إجماله، لم نستوعبه في كيفية تفصيله، إنما طريقنا في كل ذلك دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير».

أسال الله ﷻ أن يجزي القائمين على معهد الإمام الشاطبي والعاملين فيه، وكل من ساهم في إخراج الكتاب؛ خيرًا، وأن يوفقهم لخدمة أعظم نعمة أنعم الله بها على خلقه، وهي كتابه العظيم، الذي لا تفنى عجائبه، ولا يحاط بمعجزاته.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. مُحَمَّد بن عَبد العَزِيز العَوَاجِي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



أهداف المقرر

- أن يبيّن الطالب المقصود من إعجاز القرآن الكريم وأهميته.
- أن يفرِّق الطالب بين وجوه إعجاز القرآن الكريم.
- أن يمثِّل الطالب لكل وجه من وجوه إعجاز القرآن.
- أن يبيِّن الطالب ضوابط الإعجاز العلمي والعددي للقرآن.
- أن يردَّ الطالب على الشبهات الواردة على وجوه إعجاز القرآن.

موضوعات المقرر:

مدخل إلىٰ إعجاز القرآن الكريم، ويشمل ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما، والموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما.

المطلب الثاني: الموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين.

المبحث الثاني: الأدلة علىٰ ثبوت إعجاز القرآن.

المبحث الثالث: أهمية علم إعجاز القرآن وثمرته.

المبحث الرابع: التحدي بالقرآن: مراحله، والمقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن، وامتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مراحل التحدي بالقرآن.

المطلب الثاني: المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن.

المطلب الثالث: امتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك.

المبحث الخامس: تعريف الصَّرْفَة في إعجاز القرآن وإبطال القول بها.

المبحث السادس: التعريف بأهم المصنفات في إعجاز القرآن.

الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز البياني وأنواعه ونظرياته.

- المقصود بالإعجاز البياني.
- أنواع الإعجاز البياني.
- نظريات الإعجاز البياني.

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز البياني للقرآن، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نظم القرآن، وفيه: مقدمة عامة، وأربعة فروع؛ تشتمل على تطبيقات قرآنية على إعجاز القرآن فيها:

- تعريف نظم القرآن، والإعجاز فيه.

أولاً- نظم حروف القرآن وإعجازه.

ثانيًا- نظم كلمات القرآن وإعجازه.

ثالثًا- الفاصلة القرآنية وإعجازها.

رابعًا- إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره.

المطلب الثاني: بلاغة القرآن، ومخالفة نظمه لجميع كلام الناس.

المطلب الثالث: الإعجاز في أسلوب القرآن، وفيه مقدمة عنه، وتطبيقات قرآنية عليه، وبيان لخصائص الأسلوب القرآني، وستة فروع؛ تشتمل على تطبيقات قرآنية على إعجاز القرآن فيها:

أولاً- التكرار والترادف في القرآن الكريم، والإعجاز فيه.

- الرد على شبهة وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته.

ثانيًا- الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم.

ثالثًا- الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم.

رابعًا- الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن الكريم.

خامسًا- الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

سادسًا- الإعجاز في أسلوب القصص القرآني.

- الرد على شبهة وجود اختلاف التعبير بين قصص القرآن.

المطلب الرابع: إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية، وتطبيقات قرآنية عليه.

المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات، وتطبيقات قرآنية عليه.

المبحث الثالث: أهم المؤلفات في الإعجاز البياني.

الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم، ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز الغيبي، وأنواعه:

- المقصود بالإعجاز الغيبي.

- أنواع الإعجاز الغيبي.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز بالإخبار عن الغيب.

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم، ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز التشريعي.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي:

أولاً- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العقيدة.

ثانيًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العبادات.

ثالثًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال المعاملات.

رابعًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال الأخلاق.

الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ويشمل خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز العلمي، وبيان عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي:

أولاً- المقصود بالإعجاز العلمي.

ثانيًا- عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي.

المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، ومذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها.

المبحث الثالث: ضوابط الإعجاز العلمي.

المبحث الرابع: تسليم بعض الكفار بإعجاز القرآن.

المبحث الخامس: أمثلة تطبيقية للإعجاز العلمي.

الفصل الخامس: مجالات أخرى للإعجاز القرآني وموقف العلماء منها مع أمثلة تطبيقية لها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز العددي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز العددي.

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في الإعجاز العددي، والموقف منه بين القبول والرد.

المطلب الثالث: ضوابط الإعجاز العددي.

المطلب الرابع: أمثلة تطبيقية للإعجاز العددي.

المطلب الخامس: المؤاخذات على الإعجاز العددي.

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز النفسي.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز النفسي.

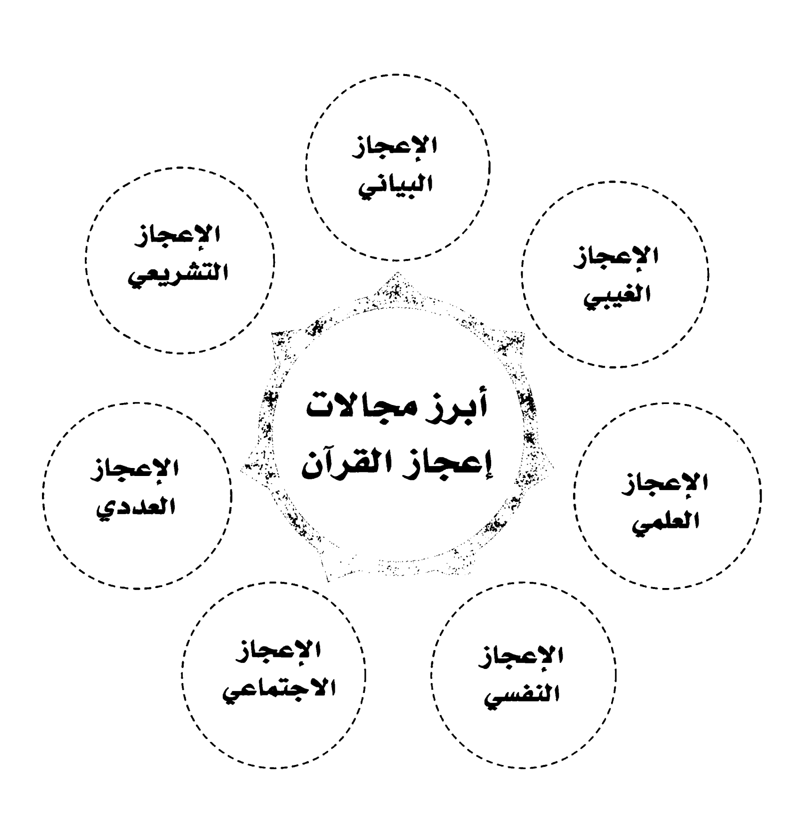
المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز النفسي.

المبحث الثالث: الإعجاز الاجتماعي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز الاجتماعي.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز الاجتماعي.

المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز الاجتماعي.





مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم

ويشمل ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما، والموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما

المطلب الثاني: الموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين.

المبحث الثاني: الأدلة على ثبوت إعجاز القرآن.

المبحث الثالث: أهمية علم إعجاز القرآن وثمرته.

المبحث الرابع: التحدي بالقرآن: مراحله، والمقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن، وامتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك، وفيه ثلاثة مطالب:

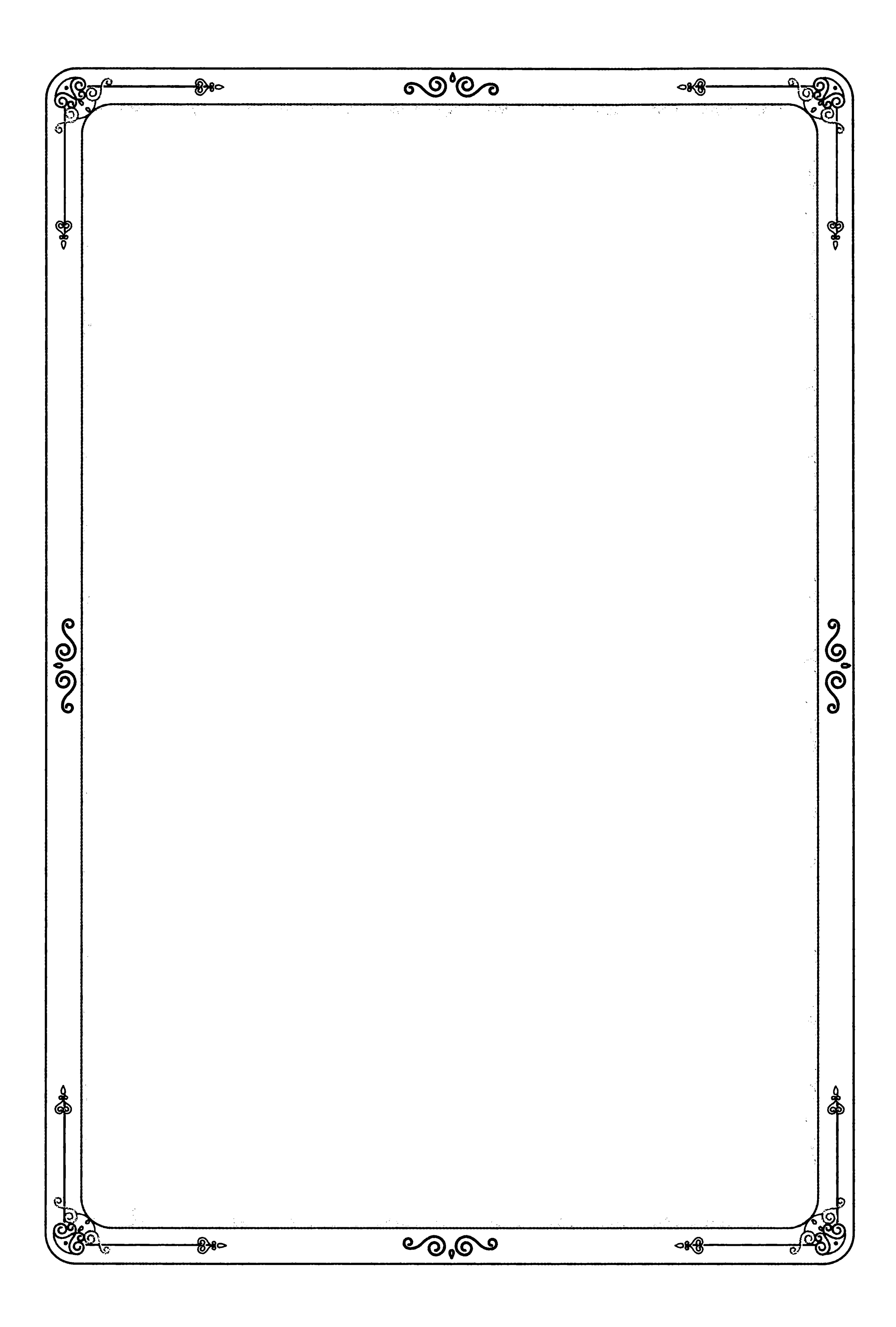
المطلب الأول: مراحل التحدي بالقرآن.

المطلب الثاني: المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن.

المطلب الثالث: امتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك.

المبحث الخامس: تعريف الصَّرْفَة في إعجاز القرآن وإبطال القول بها.

المبحث السادس: التعريف بأهم المصنفات في إعجاز القرآن.



المبحث الأول
تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما، والموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين

المطلب الأول: تعريف الإعجاز والمعجزة، والفرق بينهما:

الإعجاز والمعجزة في اللغة:

عَجَزَ: عجز الشيء يَعْجَز عَجْزًا فهو عاجز أي: ضعيف؛ غير قادر.

ويقال أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وجاء في التنزيل: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١]. أي: أَضَعُف عقلي وتفكيري أن أفعل هٰذا الفعل، ولم أهتد إليه لضعفي وعجزي، وقلة حيلتي؟!

ومصدر أعجز: إعجاز، ومعناه: الفوت والسبق. ومنه اشتقت «المعجزة» وهي اسم فاعل ألحقت به التاء للمبالغة، كما وقعت للمبالغة بالهاء في قولهم: علّامة ونسّابة ونحوها. فالمعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة.

والمعجز في الحقيقة هو فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه وتعالىٰ، كما أنه هو المقدِّر لأنه فاعل القدرة في غيره.

وإنما قيل لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات، لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتها بأمثالها(١).

الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح:

لفظا «المعجزة» و«الإعجاز» ليسا موجودين في الكتاب والسنة، وإنما في القرآن لفظ «الآية» و«البينة» و«البرهان»(٢). و«كون الآية خارقة للعادة [كما سيأتي في تعريف المعجزة عند المتكلمين] أو غير خارقة للعادة؛ هو وصف لم يصفه القرآن والحديث، ولا السلف»؛

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهري: (٣/ ٨٨٤)، مقاييس اللغة لابن فارس: (٤/ ٢٣٢)، اللسان لابن منظور: (٥/ ٣٧٠).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤١٢)، وينظر: مداخل إعجاز القرآن، لأبي فهر محمود محمد شاكر (ص: ١٩ - ٣٤)، وكتاب: وصف القرآن بالمعجزة في التراث العربي: عرض وتقويم، للأستاذ الدكتور إبراهيم بن منصور التركي.

لِـ «أن هٰذا وصف لا ينضبط، وهو عديم التأثير؛ فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء، خارقة للعادة بالنسبة إلىٰ غيرهم»[١].

قال ابن تيمية: الآيات والبراهين الدالة علىٰ نبوات الأنبياء، يسميها من يسميها من النظار والمتكلمين «معجزات»، وتسمىٰ «دلائل النبوة» و«أعلام النبوة»، وهٰذه الألفاظ أدل علىٰ المقصود من لفظ المعجزات[٢].

وقد بيَّن ابن تيمية الإشكالات الواردة علىٰ تعريف المتكلمين (من الأشاعرة والمعتزلة) للمعجزة[٣] في كتابيه: «النبوات» و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، لكن إذا عُرِّف اللفظ تعريفًا صحيحًا جامعًا مانعًا؛ لا إشكال فيه؛ جاز استعماله؛ كأن يقال: المعجزة: هي الآية التي تدل علىٰ نبوة النبي، وتستلزم صدقه، وتخرق عادة الأنس والجن، ولا يمكن معارضتها[٤].

وهٰذه نبذة مما قيل في تعريف الإعجاز والمعجزة:

قال الجرجاني: الإعجاز في الكلام أن يؤدَّى المعنىٰ بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[٥].

وقال أبو البقاء الكفوي: إعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلىٰ أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته[٦].

وعرف الرافعي **الإعجاز** بقوله: «ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته علىٰ شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هٰذا الضعف علىٰ تراخي الزمن وتقدمه»[٧].

والمعجزة: قال السيوطي: هي «أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ عن المعارضة،

---

(١) النبوات، لابن تيمية (١/ ١٦٣).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤١٢).

(٣) سيأتي قريبًا ذكر تعريف المعجزة عند المتكلمين نقلًا عن السيوطي.

(٤) ينظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٨٦٣)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، زاهر بن محمد بن سعيد الشهري (ص:١٥٣).

(٥) التعريفات: (ص: ٣١). وهٰذا التعريف في نظري جيد لأنه أشمل من غيره.

(٦) الكليات: (ص: ١٤٩).

(٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: (ص: ٩٨).

وهي إما حسية وإما عقلية»[١].

وقال الزرقاني: إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به؛ فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول، وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به.

ويمكن تعريف إعجاز القرآن بأنه: كون القرآن بألفاظٍ ونظمٍ ومعانٍ؛ لا يقدر غير الله على الإتيان بمثلها[٢].

أو هو عبارة عن: عدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن.

الفرق بين الإعجاز والمعجزة:

الإعجاز مصدر أَعْجَز، ويدل على الفعل من غير تقييد بزمن، أما المعجزة فاسم فاعل من أعجز، «والمراد باسم الفاعل ما دل على حدثٍ وفاعله؛ جاريًا مجرى الفعل في الحدوث والصلاحية للاستعمال، بمعنى الماضي والحال والاستقبال»[٣]. يقال: أعجز القرآن الإنس والجن أن يأتوا بمثله إعجازًا؛ فهو مُعْجِز، والمعنى أن القرآن أتى بما لا يقدر غير الله على الإتيان بمثله.

ومن كلام أهل العلم الذي استعملت فيه كلمتا الإعجاز والمعجزة، ويتبين منه الفرق بينهما = قول الحافظ ابن حجر في شرح حديث: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[٤]: «أي: إن معجزتي التي تحدَّيتُ بها: الوحيُ الذي أنزل علَيَّ، وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يُؤتَ من المعجزات ما أوتي من تقدَّمه، بل المراد أنه المعجزة العُظمى التي اختصَّ بها دون غيره»[٥].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: (٤/ ٣)، ينظر: مجموع الفتاوى: (١١/ ٣١١-٣٣٥)، شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٧٤٦)، والتعريف المذكور من التعريفات التي ناقشها شيخ الإسلام ابن تيمية، وبيَّن الإشكالات الواردة عليها.

(٢) قد يظهر من هذا التعريف أنه على وجه واحد من وجوه الإعجاز (الآتي بيانها، وهو الإعجاز اللغوي)، وليس هو كذلك؛ لأن قوله: «ومعان» يشمل جميع وجوه الإعجاز.

(٣) شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو (ص: ١٨٠).

(٤) رواه البخاري (٦/ ١٨٢) (٤٩٨١)، ومسلم (١/ ١٣٤) (٢٣٩).

(٥) فتح الباري (٩/ ٦).

المطلب الثاني: الموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين:

اختصّ الله سبحانه وتعالىٰ خير الأنام محمدًا صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن دون سائر الرسل والأنبياء، فما من نبي إلا وكان معه آية صدقه، ودليل تفضيله علىٰ من أُرسل إليهم بالاصطفاء، فالله يصطفي من خلقه ما يشاء قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

وهٰذا الاختيار من الله سبحانه وتعالىٰ سُنة سَنها في إرساله الرسل؛ أن يكون معهم ما يثبت صدقهم فما من رسول يرسل إلىٰ قوم إلا بمعجزة من جنس ما برعوا فيه؛ ليثبت لهم أنه يختلف عنهم، وأنه مرسل من قِبَل ربه سبحانه وتعالىٰ.

وتتميّز معجزة القرآن الكريم بالعديد من الخصائص عن غيرها من معجزات الرُّسل الأخرىٰ، ومن هٰذه الخصائص ما يأتي(١):

١- القرآن الكريم معجزة متجدّدة، أما معجزات الرّسل فقد وقعت مرّة واحدة: يتميّز القرآن الكريم عن غيره من معجزات الرسل السابقين؛ فأنَّ معجزاتهم وقعت مرّةً واحدةً وانتهت، لٰكنَّ معجزة القرآن الكريم تتكرّر كل يومٍ، حتىٰ رأىٰ بعض العلماء أنَّه يُمكن تفسير القرآن الكريم في كل عصرٍ من العصور، فهو كتابٌ معجزٌ لا تفنىٰ عجائبه فكلّما درس عالمٌ القرآن الكريم؛ بدَت له معانٍ وجوانب جديدة لم تظهر في سابق الأزمان.(٢)

٢- القرآن الكريم معجزة تكفَّل الله تعالىٰ بحفظه من التحريف والتبديل والنقص: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقد أنفذ الله تعالىٰ وعده بحفظه؛ بأن حفظه في صدور الحفاظ وفي سطور المصاحف، وألقىٰ حبّه في نفوس أمة محمد ﷺ، مما أدّىٰ إلىٰ حفظه من التبديل والتحريف.

٣- القرآن الكريم معجزة باقية، بينما انتهت معجزات الرّسل السابقة: القرآن سيبقىٰ حُجّةً إلىٰ يوم القيامة، وقد جاء خلاصة وافية لما جاء في كتب الرسل السابقة، وزيادة عليها بما يناسب العصور الممتدة إلىٰ يوم الدين، وبما شاء رب العالمين، وهو يسدّ مسدّ الكتب

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: (٤/ ٣-٤)، وينظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: (١٤/ ٣٩٧-٣٩٨).

(٢) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، (الطبعة الأولىٰ)، المملكة العربية السعودية-جدة، دار المنارة: (ص: ١٨٣). بتصرّف.

السابقة وهي لا يمكن أن تسدّ مكانه، وقد قال تعالىٰ في وصفه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨][١].

وقال صاحب مناهل العرفان: «إن معجزات الرسول ﷺ في القرآن الكريم وحده هي آلافٌ مؤلّفة، ومتمتّعة بالبقاء إلىٰ يوم القيامة، بينما معجزات الأنبياء السابقين كانت محدودة في العدد والأَمَد، بدليل أنَّها ماتت بموتهم، ولولا أن ذكرها وصدَّقها القرآن الكريم لما آمنّا بها، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهٰذه الميّزة جعلت القرآن الكريم يرتفع عن سائر الكتب»[٢].

٤- القرآن الكريم معجزة عقلية، بينما معجزات الرّسل حسّية:

تُعرَّف المعجزة بأنَّها أمرٌ خارقٌ للعادة فيه تحدٍّ، وهو سالم من المعارضة، وتُقسم المعجزات إلىٰ نوعين:

معجزات حسيّة: وهي معجزات تُشاهد بالبصر؛ كمعجزات بني إسرائيل، ومعجزات الأنبياء السابقين؛ كناقة صالح، وعصا موسىٰ عليهما السلام.

معجزات عقلية: هي معجزات تُشاهد بالبصيرة؛ كمعجزة النبيّ محمد ﷺ، ويعود السبب في اختصاص رسالة نبينا بهٰذا النوع من المعجزات إلىٰ أنَّها خاتمة الرسالات السماويّة إلىٰ يوم القيامة، فتطلّب الأمر أن تكون باقية ببقاء العقل البشري وقدرته على التفكير، لا كمعجزات الأقوام السابقة التي اندثرت وانتهت مع موت من رآها.

قال ﷺ: «ما مِنَ الأنْبياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»[٣]، فالقرآن الكريم هو معجزة خالدة إلىٰ يوم القيامة، خارقة للعادة في البلاغة والأسلوب والإخبار بالأمور الغيبية التي تُظهر صحّته في كل عصرٍ من العصور، قال السّيوطي ﵀: «لأن هٰذه الشريعة، لما كانت باقية علىٰ صفحات الدهر إلىٰ يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر».

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/ ٣٣٦).

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، عن أبي هريرة: (الرقم: ٤٩٨١).

٥- القرآن الكريم رسالة معجزة، بينما معجزات الرسل كانت منفصلة عن ذات رسالتهم؛ فقد جمع القرآن الكريم بين كونه رسالة محمد ﷺ إلىٰ قومه وبين كونه معجزة، علىٰ عكس رسالات الأنبياء السابقين؛ فمعجزات الرسل دليل، من غير جنس الرسالة، علىٰ صحة الرسالة، ومعجزة رسالة محمد، هي رسالته نفسها، صلى الله عليه وعلىٰ إخوانه الأنبياء والمرسلين(١).





(١) تعريف عام بدين الإسلام: (ص: ١٨٣)، بتصرّف.

المبحث الثاني

الأدلة على ثبوت إعجاز القرآن

قام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يعرض دعوته على الناس، وكان يخبرهم أنه رسول الله إليهم جميعا، ولما سألوه أن يأتيهم بمعجزة تدلّ علىٰ صدق دعوته، وتبرهن علىٰ صحة رسالته، أجابهم بما أخبره به الله تعالىٰ، وأبان لهم أن معجزته الواضحة، وآيته الساطعة، ودليله الصادق، الذي يقوم مقام معجزات من سبقه من الأنبياء هو ما يتلوه عليهم من قرآن: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١]. ويتجلّىٰ دليل الإعجاز بالمظاهر التالية:

١- أن القرآن لا يشبه كلام البشر:

«إن القرآن له شأن اختص به لا يشبهه كلام البشر؛ لا كلام نبي، ولا غيره، وإن كان نزل بلغة العرب؛ فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة ولا ببعض سورة مثله»(١).

قال الشيخ صالح آل الشيخ تعليقًا علىٰ قول الطحاوي عن القرآن: «ولا يُشْبِهُ قولَ البشر»: «كلام الله لا يشبه كلام البشر، ولا يماثل كلام البشر...

لهٰذا تجد التفاسير من أول الزمان إلى الآن، وكل واحد يُخْرِجُ من عجائب القرآن ما يُخْرِجُ، والقرآن كنوزه لا تنفذ، ولا يفتر علىٰ كثرة الرد؛ لا من جهة التِّلاوة، ولا من جهة التفسير.

فكلام الطحاوي من أَنْفَسِ ما سمعت، وأصح الأقوال في مسألة إعجاز القرآن، وهو: أنَّ الكلام لا يشبه الكلام.

إذا تبين هٰذا فنقول: كلام الله ﷻ في كونه لا يشبه كلام البشر، له خصائص.

فأوجه إعجاز القرآن التي ذَكَرَهَا من ذَكَر، هي خصائص لكلام الله ﷻ أوجبت أن يكون كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر»(٢).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٥٣٦).

(٢) شرح الطحاوية صالح آل الشيخ: (ص: ١٢٥) الشاملة مختصرًا.

وقال القاضي عياض ﷺ: والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم، وهو أبهر آية، وأقمع دلالة، وعلىٰ كل حال فما أتوا في ذٰلك بمقال، بل صبروا علىٰ الجلاء والقتل، وتجرعوا كاسات الصغار والذل، وكانوا من شموخ الأنف، وإباء الضيم بحيث لا يؤثرون ذٰلك اختيارًا، ولا يرضونه إلا اضطرارا، وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم لأسرعوا بالحجج، وقطع العذر، وإفحام الخصم لديهم، هٰذا وهم ممن لهم قدرة على الكلام، وقدوة بالمعرفة به لجميع الأنام، وما منهم إلا من جهد جهده، واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره، وإطفاء نوره، فما حلوا في ذٰلك بحبة من بنات شفاههم، ولا أتوا بنقطة من معين مياههم مع طول الأمد، وكثرة العدد، وتظاهر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبسوا، ومنعوا فانقطعوا. اهـ مختصرًا[1].

٢- سلامته من أي نقص أو خطأ أو تعارض:

لو كان القرآن من عند غير الله لحصل فيه اختلاف، كما قال تعالىٰ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولكنه سالم من أي نقص أو خطأ أو تعارض، والبشر مهما بلغوا في العلم والفهم، فلابد أن يقع منهم الخطأ والسهو والنقص، أما القرآن فهو كما قال الله تعالىٰ عنه ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١،٤٢].

٣- تحدي المشركين أن يعارضوه وتكرر ذٰلك:

لما طلب هٰؤلاء المعجزة، وجاءهم ذاك الجواب من رب العزة لم يذعنوا للحق الذي عرفوه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. ولم يكتفوا بذٰلك بل مالوا إلى العناد والمكابرة، غافلين عن العاقبة التي ستكشف حالهم، وقالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

وهنا حان الوقت لكشف هٰذا العناد والمكابرة، فجاء القرآن يتحداهم بدعواهم نفسها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]. فوجم هٰؤلاء أمام هٰذا التحدي الصارم الذي لم يتوقّعوه، وسقط في أيديهم.

ثم أخذ القرآن يبكّت عليهم دعواهم، وينوّع لهم في أشكال من التحدي:

---

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: (ص٦-١٤).

يقرّعهم تارة ويحمّسهم أخرىٰ، ويبالغ في تحديهم وإثبات عجزهم: فيتدرج من التحدي بالإتيان بمثل القرآن، إلى التحدي بالإتيان بعشر سور مثله فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تحداهم بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤][1].

ثم يتدرج فيتحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. بل إن لم تكن مثله فلتكن شبيهة به، قريبة منه ويكرر ذلك مرة أخرىٰ كما في سورة البقرة المدنية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]. كل ذلك مع السماح لهم أن يستعينوا بمن شاءوا ممن يتصورون لديهم العون، ويتوقعون منهم النصرة.

بل يصل التحدّي غايته، ويبلغ منتهاه، ليدفعهم بالحقيقة التي لا مرية فيها، ويقطع عليهم الطريق ويسد في وجههم السبل، فيسجل عليهم العجز ولو اجتمع لذلك الجن والإنس: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. بل يصل الأمر إلىٰ صراحة في التحدي لا يمكن أن يجرؤ عليها بشر ذو عقل- لو كان هو الذي يقول ذلك- فينفي عنهم القدرة علىٰ سبيل التأبيد: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

فإقدام محمد ﷺ في أول الأمر وهو بمكة، وأتباعه قليل، علىٰ أن يقول خبرًا، يقطع به أنه لو اجتمع الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، لا في ذلك العصر، ولا في سائر الأعصار المتأخرة، لا يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقنه له، وإلا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه.

وإذا كان جازمًا بذلك -متيقنًا له- لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله له بذلك. وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه إلا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر، والعلم بهذا يستلزم كونه معجزًا، فإنا نعلم ذلك وإن لم يكن علمنا بذلك خارقًا للعادة، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم، وإلا كان العلم جهلًا،

---

(١) الواضح في علوم القرآن: (ص: ١٥١) وما بعدها.

فثبت أنه على كل تقدير يستلزم كونه خارقًا للعادة(١).

٤- عجزهم عن المعارضة واضطراب موقفهم:

كان هذا التحدي والعرب في ذروة مجدهم فصاحة وبلاغة، وكانوا ذوي معرفة بفنون القول وأساليب الكلام، فكان مقتضى ذلك- وهم أكثر ما يكونون حرصا على إطفاء نور القرآن وإخفاء أمره- أن يهبوا لمعارضته، ويدفعوا بذلك خطره عنهم، ويمحوا الخزي الذي ألصقه بهم- لو كان ذلك في مقدورهم- كيف لا، وهم الذين قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا؟ ولكن شيئًا من هذا لم يحصل، ولم ينقل عن واحد منهم أنه استجاب لتحدي القرآن في محاولة ما، أو حدّث نفسه بشيء من ذلك.

وإنما الذي حصل هو أنهم تعدوا هذا وعدلوا إلى مسالك شائكة، وانتهجوا أساليب ملتوية، فما أن قرع القرآن أسماعهم بهذا التحدي الصارخ حتى اضطربوا في قولهم، وحاروا في أمرهم، ولجؤوا إلى وصفه بالشعر تارة، وبالسحر أخرى، وبالكهانة مرة، وبالجنون حينا، وغير ذلك مما اضطربوا فيه وتلجلجوا وسجله عليهم القرآن: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠]. ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٦]. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣].

ولما كانت أباطيلهم هذه بادية العوار- كما فندها القرآن- ظاهرة في إعلان ضعفهم وعجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة، وهربًا صريحًا من التحدي، لم يجدوا بدا من سلوك الطريق الصعب، واللجوء إلى القوة، ولو كلفهم الغالي والنفيس، وحكمت السيوف في أعناقهم، وأفقدتهم الأزواج والأولاد، وأباحت دماءهم وأموالهم. وكل هذا قد حصل، وآثروه- وهم أكثر الناس حمية وأنفة- على أن يتصدوا لمعارضة القرآن، وما ذلك إلا لأنهم علموا أنه ليس بمقدورهم الإتيان بمثله، وإلا لبادروا إليه ولكان أهون عليهم وأقل كلفة. وإذا ثبت أنه ليس في مقدورهم ثبت- من باب أولى- أنه ليس في مقدور غيرهم، فثبت بذلك أنه ليس من كلام البشر.

وقد استمرّ هذا التحدّي يقرع آذان من يشكك في القرآن من الأدباء والشعراء والبلغاء- على اختلاف نحلهم ومذاهبهم- في كل عصر وقرن، واستمر هذا الوجوم أمام شموخ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٠٩).

القرآن في إعجازه، ولم يجرؤ أحد- ممن عنده أثارة من علم أو فهم- علىٰ أن يتصدىٰ لهٰذا الشموخ، وأن يحاكي القرآن، وهٰذا دليل مادي ملموس من أقوىٰ دلائل الإعجاز في القرآن، وما ورد من محاولات سخيفة في معارضته فإنما هو هذيان[(١)].

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عقب بيان دلالة التحدي والإخبار عن جميع الثقلين - إنسهم وجنهم - أنهم إذا اجتمعوا علىٰ أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذٰلك = علىٰ نبوة محمد ﷺ، وقال: «دع ما سوىٰ ذٰلك من الدلائل الكثيرة علىٰ أنه معجز؛ مثل: عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص علىٰ معارضته، وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة، فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة، علم عجز جميع الأمم عند معارضته، وهٰذا برهان ثان يعلم به صدق هٰذا الخبر، وصدق هٰذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز، فإن ذٰلك آية مستقلة لنبوته، وهي آية ظاهرة باقية إلىٰ آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات؛ فإن كونه معجزًا يُعْلم بأدلة متعددة»[(٢)].

٥- تأثيره النفسي:

لعل من أقوىٰ دلائل الإعجاز في القرآن هو ذاك التأثير الذي يبعثه في النفوس، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتىٰ يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة، لا تجدهما في غيره من الكلام، يستوي في ذٰلك أصحاب القلوب القاسية وذوو الأفئدة الخاشعة.

ولا أدل علىٰ هٰذا التأثير النفسي الذي يؤكد إعجاز القرآن من ذٰلك القول الذي كان يتواصىٰ به المشركون، وحكاه عنهم القرآن: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. ومع ذٰلك فقد كانوا يأتون إلىٰ بيت محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ليستمعوا لهٰذا القرآن الذي أخذ بمجامع قلوبهم، ولا غرابة وهو الكلام المنزل من عند الله الذي يقول الله تعالىٰ فيه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

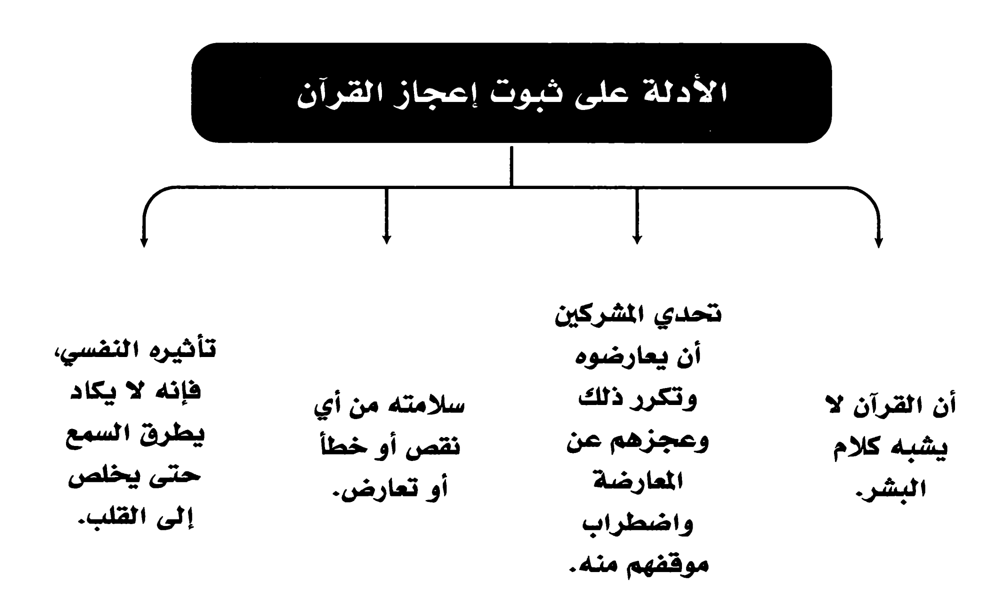
---

(١) الواضح في علوم القرآن: (ص: ١٥١) وما بعدها.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٠٩).

وأمثلة تأثيره في النفوس كثيرة، وليس غريبًا عنك قول الوليد بن المغيرة فيه: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى. وقول عتبة بن ربيعة: إني سمعت قولا، والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة. فقال له القوم: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم(١)، وقصة إسلام عمر ﷺ(٢)(٣).

وسيأتي الحديث عن تأثير القرآن النفسي باعتباره جزءًا من أحد أوجه الإعجاز؛ وهو الإعجاز النفسي، وهو دليل على التقارب بين الموضوعين، كما أن موضوعات الكتاب -في الجملة- متشابهة ومترابطة.





(١) رواه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٥٠٦) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٧٢، ٧٨) والإتقان؛ للسيوطي: (٢/ ١٠٠٤)، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: قصة إسلام عمر في أسد الغابة: (٣/ ٦٤٣) وشرح المواهب: (١/ ٣١٧).

(٣) الواضح في علوم القرآن: (ص: ١٥١) وما بعدها.



المبحث الثالث
أهمية علم إعجاز القرآن وثمرته

تظهر أهمية علم إعجاز القرآن الكريم في أمور؛ منها:

١- بيان ثبوت إعجاز القرآن، وأنه مازال يتحقق عبر العصور والأزمان.

٢- إثبات صدق النبي ﷺ وإلزام المعاند بذٰلك كما فعل شيخ الإسلام في الجواب الصحيح حيث ألزم النصارىٰ إثبات صدق النبي ﷺ بطريق إثبات إعجاز القرآن.

٣- إثبات صحة دين الإسلام، وأنه من عند الله، وبيان فضله علىٰ سائر الأديان، وهٰذا واضح جلي، لمن تأمل في أسرار هٰذا الكتاب الكريم.

وبنحو ذٰلك تظهر ثمرة علم إعجاز القرآن في أمور؛ منها:

١- زيادة الإيمان في قلب المسلم؛ بأن القرآن كلام الله حقيقة، وإقامة إيمان المؤمن بكتاب الله علىٰ معرفة به وفهم له، وإحساس صادق بما تحمل آياته وكلماته من معاني الحق والخير، ومن أسرار قدرة الله سبحانه وتعالىٰ وحكمته وعلمه...

ويتكشف ذٰلك كله من آيات القرآن الكريم في شتىٰ أنواع دلالاتها اللغوية والعقلية العلمية الصحيحة.

٢- حصول هداية الخلق وقيام الحجة على الجميع والمعذرة إلى الله، ولهٰذا جعله الله حجة على الناس إلىٰ يوم الدين: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

إذا تقرر هٰذا كان لزامًا علىٰ كل مسلم أن يقف بين يدي القرآن؛ وقوف من دعاه داعي الحق ليشهد معجزات الله تتنزل عليه من كلمات الله وآياته.





المبحث الرابع
التحدي بالقرآن: مراحله، والمقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن، وامتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك



المطلب الأول: مراحل التحدي بالقرآن:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «التحدي هو أن يحدوهم إلى أن يعارضوه. وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة، ولكن أصله الأول»[1].

فالتحدي في اللغة - كما يقول شيخ الإسلام- هو أن يحدوهم، أي: يدعوهم ويبعثهم إلى المعارضة[2]، وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: الحاء والدال والحرف المعتل أصل واحد، وهو السَّوقُ[3].

والتحدي بالقرآن في الاصطلاح: طلب القرآن من الإنس والجن معارضته، والإتيان بمثله؛ إظهارًا لعجزهم عن ذلك.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد ذكر الله براهين التوحيد والنبوة قبل ذكر الفرق بين أهل الحق والباطل، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤]. فلما تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله مفتريات، هم وجميع من يستطيعون من دونه: كان في مضمون تحديه أن هذا لا يقدر أحد على الإتيان بمثله من دون الله، كما قال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وحينئذ فعلم أن ذلك من خصائص من أرسله الله، وما كان مختصًا بنوع فهو دليل عليه، فإنه مستلزم له، وكل ملزوم دليل على لازمه كآيات الأنبياء كلها، فإنها مختصة بجنسهم.

وهذا القرآن مختص بجنسهم، ومن بين الجنس خاتمهم، لا يمكن أن يأتي به غيره،

---

(١) الجواب الصحيح: (٥/ ٤٢٢- ٤٢٣) مختصرًا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مقاييس اللغة (حدا).

وكان ذلك برهانًا بينًا على أن الله أنزله، وأنه نزل بعلم الله الذي أخبر بخبره، وأمر بما أمر به، كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وثبوت الرسالة ملزوم لثبوت التوحيد، وأنه لا إله إلا الله: من جهة أن الرسول أخبر بذلك، ومن جهة أنه لا يقدر أحد على الإتيان بهذا القرآن إلا الله، فإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله، إلى غير ذلك من وجوه البيان فيه»[(١)].

وقد تحدى الله ﷺ من يقول: إن محمدًا تقوَّل القرآن؛ بأن يأتوا بحديث مثله، «قال تعالى في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]. فهنا قال: ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه تقوله، فإنه إذا كان محمد قادرًا على أن يتقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر، كان هذا ممكنًا للناس، الذين هم من جنسه فأمكن للناس أن يأتوا بمثله.

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. ثم تحداهم بسورة واحدة منه[(٢)]، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨]. فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة هم ومن استطاعوا، وهذا التحدي كان بمكة فإن هذه السور مكية[(٣)]، سورة يونس وهود والطور.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٥/ ١٠٦-١٠٧).

(٢) اختلف العلماء في أيهما نزل أولاً سورة هود أم سورة يونس وملخص الخلاف:

أ- أكثر العلماء على أن هذا التحدي (بعشر سور) وقع أولاً فلما عجزوا تحداهم (بسورة من مثله) وهو وإن تأخر تلاوة فهو متقدم نزولًا، ولا يجوز العكس إذ لا معنى للتحدي بعشر لمن عجز عن التحدي بواحدة.

ب- وذهب ابن عطية إلى أن هذا التحدي (بعشر سور) إنما وقع بعد التحدي (بسورة واحدة) وروى هذا عن المبرد وأنكر تقدم سورة هود على سورة يونس بل قال: بل نزلت سورة يونس أولاً، ثم نزلت سورة هود. انظر: روح المعاني للألوسي: (١٢/ ٢٠)، والفخر الرازي: (١٧/ ١٠٠)، والمدخل لأبي شهبه: (ص: ٨)، ومعالم التنزيل: (٤/ ١٦٥)، والمحرر الوجيز: (٧/ ٢٥١).

(٣) المكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وقيل غير هذا، ولكن هذا أرجحها. انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: (١/ ١٨٧-١٩١).

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال في البقرة، وهي سورة مدنية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]. و«لن» لنفي المستقبل، فثبت بالخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله، كما أخبر قبل ذٰلك، وأمره أن يقول في سورة الإسراء، وهي سورة مكية؛ ما يبين ذٰلك بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق معجزًا لهم، قاطعًا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم، لا يأتون بمثل هٰذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا علىٰ ذٰلك»[١][٢].

نتيجة التحدي:

«وهٰذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق، وهٰذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذٰلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث، وإلىٰ اليوم، الأمر علىٰ ذٰلك، مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفارًا قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس علىٰ إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق ممكن؛ تارة يذهبون إلىٰ أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب، حتىٰ يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع علىٰ ما يقولونه فيه[٣]،

---

(١) الجواب الصحيح: (٥/ ٤٢٣-٤٢٦) مختصرًا.

(٢) هٰذا التدرج المنطقي في التحدي هو المشهور عند المفسرين، وقد عارضه بعضهم بأنه لم يثبت نزول آيات التحدي وفق هٰذا الترتيب. ينظر في ذٰلك: التحدي في آيات الإعجاز للدكتور قحطان الدوري، دار البشير ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ، آيات التحدي في القرآن الكريم: الدلالة والإيحاء للدكتور عبد العزيز العمار، دار كنوز إشبيليا.

(٣) ومنها علىٰ سبيل المثال ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤٧ أنه اجتمع عليه من أشراف قريش عند الكعبة وبعثوا إلى النبي ﷺ فجاء سريعًا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء -أي أن يتبعوه علىٰ دين الله- ثم حاجوه وزعموا أنهم يعطونه ما شاء من الأموال أو الرياسة أو يعالجوه إن كان به جن فلما رأوا إصراره علىٰ تبليغ الرسالة طلبوا منه مطالب علىٰ وجه العناد لا علىٰ وجه طلب الهدىٰ والرشاد من إزاحة الجبال وتكشفها عن ذهب وبعث آبائهم وأجدادهم وإنزال الملائكة... الخ. الخبر بطوله ا. هـ ملخصًا.

وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبهة ما، مع ظهور الفرق؛ فتارة يقولون: مجنون(١)، وتارة يقولون: ساحر(٢)، وتارة يقولون: كاهن(٣)، وتارة يقولون: شاعر(٤)، إلىٰ أمثال ذٰلك من الأقوال، التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة، مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها؛ لفعلوها، مع وجود هٰذا الداعي التام المؤكد -إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هٰكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهٰذا القدر يوجب علمًا بينا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن، بحيلة وبغير حيلة. وهٰذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتىٰ، فإن هٰذا لم يأت أحد بنظيره»(٥).اهـ

ولازم هٰذا ثبوت صدق النبي ﷺ وصحة هٰذا الدين وأنه من عند الله وانتفاء الشبهة وانقطاع حجة المعاندين.

ويرى الباقلاني أن قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤]. يدل علىٰ أن الله جعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلًا علىٰ أنه منه، ودليلًا علىٰ وحدانيته سبحانه وتعالىٰ...

فإذا ثبت إعجازه، وأن الخلق لا يقدرون عليه؛ ثبت أن الذي أتىٰ به غيرهم، وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم، وأنه صدق، وإذا كان كذٰلك؛ كان ما يتضمنه صدقًا.

---

(١) الجنون: اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال علىٰ نهج العقل إلا نادرًا. اللسان: (١٣/ ٩٢)، التعريفات للجرجاني: (ص: ٧٩).

(٢) ساحر: هو من السحر: وهو كل ما لطف وخف ودق والمراد به عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، انظر: اللسان: (٤/ ٣٤٨).

(٣) كاهن: وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرف الأسرار ومطالعة علوم الغيب. انظر: اللسان: (١٣/ ٣٦٢)، والتعريفات للجرجاني: (ص: ١٨٣).

(٤) شاعر: قائل الشعر وهو الكلام الموزون المقفىٰ علىٰ سبيل القصد. اللسان: (٤/ ٤١٠)، والتعريفات للجرجاني: (ص: ١٢٧).

(٥) الجواب الصحيح: (٥/ ٤٢٦-٤٢٨).

وقد ثبت بما بيناه أنه تحداهم إليه، ولم يأتوا بمثله، وفي هذا أمران:

أحدهما: التحدي إليه. والآخر: أنهم لم يأتوا له بمثل.

والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين[1].

وقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[هود: ١٤]، كقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترى كما قال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]. أي: ما كان لأن يفترى، يقول: ما كان ليفعل هذا، فلم ينف مجرد الفعل، بل نفى احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنى: ما يمكن، ولا يحتمل ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك[2].

المطلب الثاني: المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن:

وقع التحدي بالقرآن كله، وبعشر سور مثله، وبسورة مثله، وبحديث مثله، وهذا كله جاء في القرآن الكريم.

وقد وقع الخلاف بين العلماء في أقل قدر يكون به الإعجاز، ويمكن ترتيب الأقوال في ذلك على النحو التالي:

١- يقع الإعجاز بجميع القرآن. وهذا مروي عن المعتزلة[3].

٢- يقع الإعجاز بالسورة التي ليست قصيرة. وهذا يدل عليه كلام ابن عقيل الحنبلي[4].

٣- يقع الإعجاز بكل سورة برأسها. وهذا يروى عن المعتزلة[5].

٤- يقع الإعجاز بكل سورة من القرآن طويلة كانت أو قصيرة، أو ما يعادلها من القرآن الكريم،

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ١٧-١٨) بتصرف.

(٢) الجواب الصحيح: (٥/ ٤٢٥).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (٤/ ١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٤٨٢).

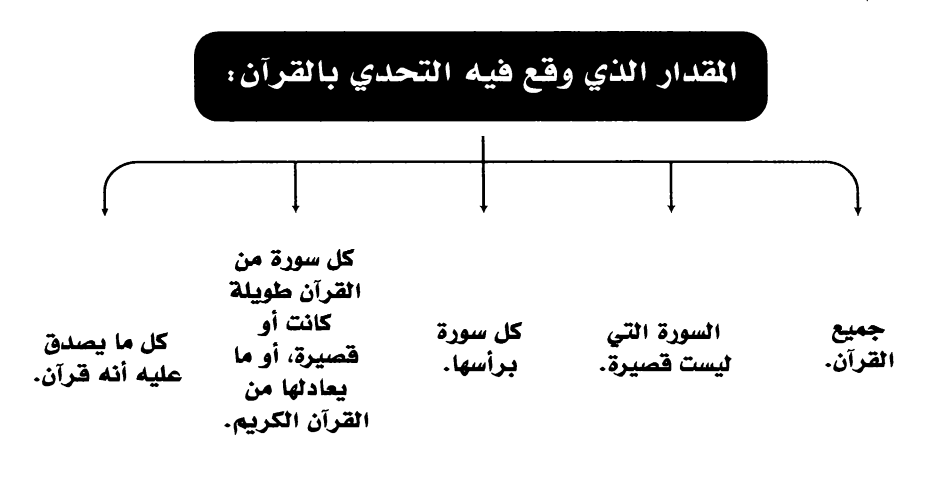
(٥) كما ذكره الباقلاني انظر: إعجاز القرآن: (ص: ٢٥٤-٢٥٨).

وهٰذا ذكره الباقلاني، وذكر ابن كثير الاتفاق عليه[١]. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: قال بعض العلماء: «أقصر سورة في القرآن ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ فكل قرآن من سورة أخرىٰ كان قدر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية؛ فهو داخل فيما تحداهم به»[٢]. وقال ابن عاشور ﷺ في المقدمة السادسة من المقدمات التي جعلها فاتحة بين يدي تفسيره «التحرير والتنوير»: «وأما الإعجاز فلا يلزم أن يتحقق في كل آية من آي القرآن؛ لأن التحدي إنما وقع بسورة مثل سور القرآن، وأقصر سورة ثلاث آيات، فكل مقدار ينتظم من ثلاث آيات من القرآن يجب أن يكون مجموعه معجزًا» اهـ[٣].

٥- يقع الإعجاز بكل ما يصدق عليه أنه قرآن[٤] لقوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]. وهٰذا ذكره ابن تيمية، وأشار إليه الباقلاني.

٦- وذهب بعضهم إلىٰ أن التحدي بنوع القرآن، لا بعدد محدد وإن قل من الآيات؛ مستندًا في ذٰلك إلىٰ أن المقصود بالتحدي القدرة على الإتيان بجنس القرآن.

هٰذه هي خلاصة الأقوال في القدر المعجز من القرآن، وهي لا يجمعها كتاب واحد. والله أعلم بالصواب.



---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٥٤-٢٥٨)، تفسير القرآن العظيم: (١/ ٦٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر: (٦/ ٥٨٢).

(٣) «التحرير والتنوير» (١/ ٦٣).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٣/ ١٢-١٣-١٤)، مجموع الفتاوىٰ: (٢٠/ ٤٨٢)، والإتقان: (٤/ ١٨)، ومناهل العرفان: (٢/ ٢٣٠)، ومباحث في علوم القرآن: (ص: ٢٦٤).

وقد تكلم الباقلاني ﷺ عن القدر المعجز من القرآن، وذكر مذهب أصحابه (الأشاعرة) وأنهم نصوا على أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها.

وذكر اختلاف الحكاية في مذهب المعتزلة في ذلك ثم شرع يؤيد مذهبه واختياره، ودفع ما يعارضه؛ بأن قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]؛ راجع إلى القبيل دون التفصيل، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وذلك لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره[١].

وشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في أثناء رده على ابن عقيل في قضية المجاز في اللغة والقرآن، لما ذكر قول ابن عقيل« إن السورة القصيرة لا إعجاز فيها»؛ قال: «ما ذكره من أن السورة القصيرة لا إعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء، ويقولون بل السورة معجزة[٢]، بل ونازعه بعض الأصحاب في الآية والآيتين»[٣]. فذكر عن بعض أصحاب الإمام أحمد أن الآية والآيتين معجزة، وقالوا بأن الكل محترم. فاعتبروا كل ما يطلق عليه قرآن معجزة.

وفي موضع آخر يشير إلى ذلك بقوله: «إن القرآن له شأن اختص به... فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله»[٤].

يقول د. ناصر الحميد: «ولم أعلم أن هناك... من عارض القرآن حقيقة، فأتى بكلام -ولو كان قليلًا- استطاع به أن يعارض القرآن؛ فكان الرد عليه بأن ذلك القدر غير كاف في الإعجاز.

وأقل ما قيل في القدر المعجز هو أن الإعجاز حاصل بكل ما يصدق عليه أنه قرآن، وهذا هو أبلغ الآراء التي قيلت حول هذا وأعمها، ولم يأت ما يعارضه من الناحية العلمية، وعلى هذا؛ فلا مانع من الأخذ به»[٥].

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٥٤) باختصار. وقد نص ابن حزم على أن الأشاعرة خالفوا الجمهور في هذا. ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٣/ ١٢-١٣-١٤).

(٢) بل إن الإمام ابن كثير ﷺ نص أنه لا نزاع في ذلك بين الناس سلفًا وخلفًا. تفسير القرآن العظيم: (١/ ٦٢)، وهذا القول هو قول عامة الناس.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٤٨١-٤٨٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (١٦/ ٥٣٦).

(٥) ابن تيمية ومنهجه في التفسير، د. ناصر بن محمد الحميد، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام، ١٤٠٥هـ (١/ ٢٢٧).

وهذا الذي ذكره أشار إليه ابن حزم ﷺ في الفصل في الملل والأهواء والنحل ونسبه إلى سائر أهل الإسلام بعد أن ذكر القدر المعجز وهو أنه سورة أو ما يعادلها[١].

أما المثلية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. فقد اختلف أهل العلم في مرجع الضمير في [مثله] فقال بعضهم: إن المراد من مثل محمد ﷺ من البشر؛ لأن محمدًا ﷺ بشر مثلكم؛ يعني: من رَجُلٍ أُمِّيٍّ مِثْلِه.

وقال آخرون منهم مجاهد وقتادة: إن المراد من مثل القرآن حقًا وصدقًا، ومعناه: أن الله -جَلَّ ذِكْرُه- قال لِمَن حاجَّه في نبيه محمد ﷺ من الكفار: فَأْتُوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيتها العرب، كما أتى به محمد بلغاتكم، ومعاني مَنطِقِكم. وهذا هو الذي رجحه الطبري[٢]، واستدل له، وكذلك الباقلاني، وابن تيمية، وهو الصحيح؛ لأن الحديث عن القرآن، فوجب أن يكون معاد الضمير على القرآن.

المطلب الثالث: امتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك:

المعارضة من عارضه في المسير أي: سار حياده وحاذاه، وعارضه بمثل ما صنع؛ أي: أتى إليه بمثل ما أتى به، وفعل مثل ما فعل.[٣] وقال الجرجاني: هي إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم[٤].

فالمراد بمعارضة القرآن: الإتيان بمثله، وهذا الذي تحدى به القرآنُ العربَ.

ونتيجة التحدي بالقرآن أن العرب وغيرهم من الأمم تركوا معارضة القرآن مع أن دواعيهم كانت متوفرة، وكانت حاجتهم لهذه المعارضة شديدة قوية، بيان ذلك:

أن العرب كان لهم حظ وافر ونصيب واف من القول، ولقد كانت البلاغة طبعًا فيهم والفصاحة سليقة لهم، وأعطوا من ذلك ما لم تعطه أمة من الأمم، يقول الرماني: «أما توفر الدواعي فيوجب الفعل مع الإمكان لا محالة، في واحد كان أو جماعة. والدليل على ذلك أن إنسانًا لو توفرت دواعيه إلى شرب ماء بحضرته من جهة عطشه واستحسانه لشربه،

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٣/ ١٢-١٣-١٤).

(٢) انظر: جامع البيان: (١/ ٣٧٣) وما بعدها.

(٣) انظر اللسان مادة عرض: (٧/ ١٦٥-١٨٧).

(٤) التعريفات: (ص: ٢١٩).

وكل داع يدعو إلىٰ مثله، وهو مع ذٰلك ممكن له؛ فلا يجوز ألّا يقع شربه منه حتىٰ يموت عطشًا لتوفر الدواعي علىٰ ما بينا، فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذٰلك علىٰ عجزه عنه. فذٰلك[1] توفر الدواعي إلىٰ معارضة على القرآن لما لم تقع المعارضة؛ دل ذٰلك علىٰ العجز عنها»[2].

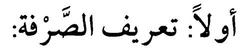
فتوفر دواعي المعارضة -وهٰذا قيل: شرطٌ في الإعجاز والمعجزة، وهو وجود المقتضي الذي يدفع المتحدي إلى المنازلة- يوجب الفعل، أي: المعارضة، مع الإمكان؛ لا محالة؛ سواء أكان التحدي لواحد أم جماعة، واستدل الرماني كما تقدم بإنسان وجدت دواعيه لشرب ماء كان بحضرته، وهو في حاجة للشرب، فإن مات عطشًا دون أن يشرب، دل ذٰلك علىٰ عجزه عن الشرب، إذ لو كان قادرًا؛ لشرب؛ لينقذ نفسه من الموت.

وبالجمع بين ترك المعارضة وتوفر الدواعي وشدة الحاجة؛ ينتج لنا دليل علىٰ إثبات إعجاز القرآن، وهٰذا دليل واقعي؛ غير وجوه إعجاز القرآن التي هي علة العجز عن معارضته، وهناك من ادعىٰ أن الإعجاز لم يقع بالعجز عنه، وإنما لأن الله صرفهم عن المعارضة، وهٰذا قولٌ فاسدٌ، كما سنبين في المبحث التالي، ويُعْرفُ بالصَّرْفة.



(١) كذا في المصدر، ولعلها: فكذٰلك.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: (ص: ١٠٩).



المبحث الخامس

تعريف الصَّرْفَة في إعجاز القرآن، وإبطال القول بها

أولاً: تعريف الصَّرْفة:

الصَّرْفَة لغةً: مأخوذةٌ من الفعل الثلاثي صرف، يقال: صرفه يصرفه صرفًا فانصرف، فهو من باب ضرب[١].

والصرف: رد الشيء من حالةٍ الى حالة أو إبداله بغيره[٢].

ومما سبق يمكن القول إن معنى الصرف هو التحويل من حالةٍ إلى أخرى.

الصرف في القرآن الكريم: لم تأت كلمة الصرف في القرآن بنصها، ولكن جاءت فيه مشتقات الفعل صرف الأخرى، فقد وردت اثنتين وثلاثين مرة على ثمانية معانٍ[٣].

تعريف الصَّرْفَة اصطلاحًا: الصَّرفَة: اسم مرة[٤] من الصرف؛ وضع بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص؛ فصارت كالعلم بالغلبة[٥].

ويمكن أن تعرف الصرفة بأنها: **منع الله تعالى قلوب الناس أن تريد معارضة القرآن، أو سلبهم القدرة التامة على الفصاحة والبلاغة، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه لهم بأن يأتوا بمثله**[٦].

وقد اختلفت تعاريف الصَّرْفَة تبعًا لاختلاف أنظار القائلين بها. لكنها لا تخرج في مجملها عن ثلاثة تعاريف. كما قال الباقلاني في إعجاز القرآن، ويحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز[٧]،

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: (٩/ ٢٢٦). ومعجم العين للخليل ابن احمد: (٧/ ١١٠). ومختار الصحاح: (ص: ١٥٢) مادة صرف.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: (ص: ١١٣).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: (ص: ١٠١).

(٤) اسم المرة :هو مصدر مصوغ من الفعل للدلالة على حصول الحدث مرة واحدة، نحو: ضرب ضَربة، وجلس جَلسة، ووقف وَقفة.

(٥) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (١/ ١٠٣).

(٦) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٢٩).

(٧) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. للإمام يحيى بن حمزة العلوي: (٣/ ٣٩٢)، مناهل العرفان: (٢/ ٣٠١).

وملخص كلامه هو أن المراد من الصَّرْفَة لا يخرج عن ثلاثة أمور:

الأول: أن بواعث هٰذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

الثاني: أن صارفًا عن المعارضة زهدهم فيها؛ فلم تتعلق بها إرادتهم، ولم تنبعث إليها عزائمهم؛ فكسلوا وقعدوا علىٰ رغم توافر البواعث والدواعي.

الثالث: أن يراد بالصَّرْفَة أن الله تعالىٰ منعهم بالإلجاء عن جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين عليها، وسلب قواهم، فلأجل هٰذا لم تحصل من جهتهم المعارضة[1].

وإذا تأملت الفروض الثلاثة التي التمسوها أو التمست لهم للقول بالصَّرْفَة؛ علمت أن عدم معارضة العرب للقرآن لم تجِئ من ناحية إعجازه البلاغي في زعمهم بل جاءت علىٰ الفرضين الأولين من ناحية عدم اكتراث العرب بهٰذه المعارضة، ولو أنهم حاولوها؛ لنالوها، وجاءت على الفرض الأخير من ناحية عجزهم عنه، لٰكن بسبب خارجي عن القرآن، وهو وجود مانع منعهم منها قهرًا؛ ذٰلك المانع هو حماية الله لهٰذا الكتاب وحفظه إياه من معارضة المعارضين وإبطال المبطلين، ولو أن هٰذا المانع زال لجاء الناس بمثله؛ لأنه لا يعلو علىٰ مستواهم في بلاغته ونظمه.

ثانيًا: نشأة القول بالصرفة[2]:

نشأة القول بالصرفة كانت متزامنة مع بداية الجدل ومحاولة الكشف عن إعجاز القرآن، في بيئة المتكلمين من المعتزلة وغيرهم، وذٰلك في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين، وقد اشتهر أن أول من قال بها إبراهيم بن سيار النظَّام البصري المعتزلي (ت:٢٣١)، وأول من نسبها إليه الجاحظ (عمرو بن بحر المعتزلي، ت ٢٥٥) وردَّ عليه في كتابه في نظم القرآن[3] الذي يُعدّ أول كتاب اشتمل علىٰ مباحث متعلّقة بإعجاز القرآن، كما سيأتي،

---

(١) وقد قيل: إنهم عارضوه، ولم ينقل لنا. وهٰذا ينافي القول بالصرفة، وإن قيل: إن معارضتهم لم تُنقل... مع أنه لو كان وجد له مثل؛ لنقل إلينا، ولعرفناه، كما نقل إلينا أشعار أهل الجاهلية، وكلام الفصحاء، والحكماء من العرب، والكهان، وأهل الرجز والسجع والقصيد، وغير ذٰلك من أنواع بلاغاتهم، وصنوف فصاحاتهم (إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٤))، مع كثرة أعدائه علىٰ مر العصور، فلو وجد ذٰلك لتناقلوه، كما نقلوا أقوال مسيلمة وغيره ممن قال كلامًا يُضْحك منه.

(٢) ينظر: القول بالصرفة في إعجاز القرآن: عرض ونقد، للدكتور عبد الرحمٰن بن معاضة الشهري، (ص:٢٨-٣٣).

(٣) ينظر: مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، (ص: ٦١-٦٤).

ومن أول من نسبها إليه من غير المعتزلة أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤) في مقالات الإسلاميين حيث قال: «وقال النظَّام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم»[١]. مما دفع كثيرًا من العلماء للرد عليه، وتفنيد قوله، والتصنيف في وجوه إعجاز القرآن. وقيل: إن أصل القول بالصرفة مأخوذ من البراهمة الهنود حيث ذُكر عنهم أن «منهم من يقول [عن كتابهم المقدس عندهم، الذي يسمونه «بيذ»]: إنّه معجز لا يقدر أحد منهم أن ينظم مثله، والمحصّلون منهم يزعمون أنّ ذلك في مقدورهم، لكنّهم ممنوعون عنه احترامًا له»[٢].

ثالثًا: إبطال القول بالصَّرْفَة:

وهذا القول بفروضه التي افترضوها أو بشبهاته التي تخيلوها لا يثبت أمام البحث ولا يتفق والواقع[٣]. والرد عليه من طريقين: عام، ومفصل على كل معنى من معانيه.

الرد العام على القول بالصَّرْفَة:

أولاً: إنه يلزم من القول بالصَّرْفَة أن الإعجاز ليس في القرآن ذاته، وإنما في غيره، وهو عدم استطاعتهم، فالقرآن بزعمهم ليس معجزًا، إنما الإعجاز في المنع، وهذا باطل، قال أبو بكر الباقلاني: «ومما يبطل القول بالصَّرْفَة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصَّرْفَة؛ لم يكن الكلام معجزًا، وإنما يكون المنع معجزًا، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»[٤].

ثانيًا: أنه لو كان الإعجاز بالصرفة، لكان نزول القرآن في مرتبة أقل من حيث البلاغة والفصاحة أبلغ في التحدي للعرب من نزوله بهذه الدرجة العالية من البلاغة؛ إذ المنع من معارضة ما كان في مستوى بلاغة الناس أدل على الإعجاز[٥].

ثالثًا: يمكن الاستدلال على القائلين بالصرفة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/ ١٧٩).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ) (ص: ٨٩).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٣٢١).

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٥٤).

(٥) شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن لمؤلف مجهول ٨٩.

فإن معنى الآية أن من أشد الظلم والافتراء الزعم بالقدرة على الإتيان بمثل القرآن، وهذا مقتضى قول أهل الصرفة، الذين يرون أنه لولا الصرفة لأمكن الإتيان بمثل القرآن، وهذا القول كفر بدلالة الآية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]؛ فإن معنى الآية أن الكفار هم الذين يقولون إنهم قادرون على الإتيان بمثل القرآن، وأن هذا من صفات المكذبين بالقرآن[١].

الرد المفصل على القول بالصرفة:

الرد على الفرض الأول: أما الفرض الأول وهو أن دواعيهم وبواعثهم لم تتوفر؛ فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه[٢].

وقد سجل التاريخ، وأثبت التواتر أن دواعي المعارضة كانت قائمة موفورة ودوافعها كانت مليئة متآخذة؛ وذلك لأدلة كثيرة:

منها أن القرآن تحداهم غير مرة أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه، ثم سجل العجز عليهم، وقال بلغة واثقة: إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا، ولن يفعلوا، ولو ظاهرهم الإنس والجن؛ فكيف لا تثور حميتهم إلى المعارضة بعد هذا، ولو كانوا أجبن خلق الله؟!

ومنها أن العرب الذين تحداهم القرآن كانوا مضرب المثل في الحميَّة والأنفة وإباء الضيم؛ فكيف لا يحركهم هذا التحدي والاستفزاز؟!

ومنها أن صناعتهم البيان وديدنهم التنافس في ميادين الكلام؛ فكيف لا يطيرون بعد هذه الصيحة إلى حلبة المساجلة؟!

ومنها أن القرآن أثار حفائظهم، وسفه عقولهم وعقول آبائهم، ونعى عليهم الجمود والجهالة والشرك؛ فكيف يسكتون بعد هذا التقريع والتشنيع؟!

ومنها أن القرآن أقام حربًا شعواء على أعز شيء لديهم، وهي عقائدهم المتغلغلة فيهم، وعوائدهم المتمكنة منهم؛ فأي شيء يلهب المشاعر، ويحرك الهمم إلى المساجلة أكثر من هذا،

(١) القول بالصرفة في إعجاز القرآن: عرض ونقد، د. عبد الرحمن الشهري، (ص: ١٠٠).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٢٩).

ما دامت هٰذه المساجلة هي السبيل المتعين لإسكات خصمهم؛ لو استطاعوا[١].

الرد على الفرض الثاني: وأما الفرض الثاني وهو أن صارفًا زهَّدهم؛ فينقضه الواقع التاريخي أيضًا، ودليلنا علىٰ هٰذا ما تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلى المعارضة قد وجدت سبيلها إلىٰ نفوسهم، ونالت منالها من عزائمهم؛ فهبوا هبة رجل واحد يحاولون القضاء علىٰ دعوة القرآن بمختلف الوسائل؛ فلم يتركوا طريقًا إلا سلكوه، ولم يدعوا بابًا إلا دخلوه.

لقد آذوه ﷺ وآذوا أصحابه، وعذبوا من عذبوا، وقتلوا من قتلوا.

واتهموه ﷺ مرة بالسحر، وأخرىٰ بالشعر، وثالثة بالجنون، ورابعة بالكهانة، وكانوا يتعقبونه، وهو يعرض نفسه علىٰ قبائل العرب أيام الموسم؛ فيبهتونه ويكذبونه أمام من لا يعرفونه، كما في حديث ربيعة بن عباد الديلي، قال: «رأيت النبي ﷺ بذي المجاز يدعو الناس»، وخلفه رجل أحول، يقول: لا يصدنكم هٰذا عن دين آلهتكم، قلت: من هٰذا؟ قالوا: هٰذا عمه أبو لهب[٢]. ولقد شدوا وطأتهم علىٰ أتباعه حتى اضطروهم أن يهاجروا من وطنهم، ويتركوا أهلهم وأولادهم وأموالهم فرارًا إلى الله بدينهم.

ولقد تآمروا على الرسول ﷺ أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه لولا أن حفظه الله وحماه من مكرهم، وأمره بالهجرة من بينهم.

ولقد أرسلوا إليه الأذىٰ بعد ذٰلك في مهاجره فشبت الحرب بينه وبينهم في خمس وسبعين موقعة؛ منها سبع وعشرون غزوة، وثمان وأربعون سرية.

فهل يرضىٰ عاقل لنفسه أن يقول بعد ذٰلك كله: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن، وإنهم كانوا مُخْلِدين إلى العجز والكسل زاهدين في النزول إلىٰ هٰذا الميدان؟

وهل يصح مع هٰذا كله أن يقال: إنهم كانوا في تشاغل عن القرآن غير معنيين به، ولا آبهين له؟[٣]

وفي هٰذا دليل علىٰ أن عجزهم كان مع بقاء قدرتهم، ولو لم يكن عندهم قدرة؛ لما صح تحديهم؛ إذ لا يصح لأحد أن يتحدى الموتىٰ، إذ ليس عجز الموتىٰ مما يحتفل بذكره[٤] كما لا يصح أن يتحدى المبصر الأعمىٰ، وإنما يصح التحدي؛ إذا تحدىٰ من يملك البصر،

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني: (٢/ ٣٢١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠٢١)، قال محققوه: إسناده صحيح. وله رواية أخرىٰ في المسند أيضًا.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني: (٢/ ٣٢٢).

(٤) الإتقان: السيوطي: (٢/ ١٥١).

أما إذا سلب البصر؛ لم يصح تحدي مثله، كما أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] يدل على وجود القدرة؛ لأن المعاونة والمظاهرة إنما تمكن مع القدرة، ولا تصح مع العجز والمنع[١][٢].

الرد على الفرض الثالث: وأما الفرض الثالث وهو أن الله منعهم ما كانوا يستطيعونه؛ فينقضه ما هو معروف من أن العرب حين خوطبوا بالقرآن؛ قعدوا عن معارضته اقتناعًا بإعجازه وعجزهم الفطري عن مساجلته، ولو أن عجزهم هذا كان لطارئ مباغت عطَّل قواهم البيانية؛ لأُثِر عنهم أنهم حاولوا المعارضة بمقتضى تلك الدوافع القوية التي شرحناها؛ ففوجئوا بما ليس في حسبانهم، ولكان ذلك مثار عجب لهم، ولأعلنوا ذلك في الناس؛ ليلتمسوا العذر لأنفسهم، وليقللوا من شأن القرآن في ذاته، ولعمدوا إلى كلامهم القديم؛ فعقدوا موازنة بينه وبين القرآن؛ يغضون بها من مقام القرآن وإعجازه، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله، ولأمكننا نحن الآن، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر أن يتبينوا الكذب في دعوى إعجاز القرآن؛ وكل هذه اللوازم باطلة؟ فبطل ما استلزمها؛ وهو القول بالصَّرْفَة بناء على هذه الشبهة الهازلة.

ثم ألم يكف هؤلاء شهادة أعداء القرآن أنفسهم في أوقات تخليهم من عنادهم، كتلك الشهادة التي خرجت من فم الوليد؟! والفضل ما شهدت به الأعداء.

ثم ألم يكفهم ما في القرآن من وجوه الإعجاز الكثيرة التي لا تزال قائمة ماثلة ناطقة إلى يومنا هذا، ولا تزيدها الأيام، وما يَجِد في العالم من علوم ومعارف وتجارب إلا وضوحًا وبيانا؟![٣].

وديوان العرب محفوظ شعره ونثره، وليس فيه قبل أن يسلبوا الاهتمام بالإتيان بمثله، أو تسلب منهم العلوم، كما يزعم هؤلاء وأولئك = ما يماثل القرآن أو يدانيه.

كما أنهم يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه.

وقد انتدب غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار الهمداني: (١٦/ ٣٢٣).

(٢) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي: (ص: ٢٧٣ ومابعدها).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني: (٢/ ٣٢٤).

به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب، كقوله: (يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين)[١].

وأصلَ العدل عند المعتزلة لمن تأمله يرد قولهم بالصرفة من أساسه، حيث إنَّ تحدِّي الله للعرب أن يأتوا بمثل القرآن مع سلبهم القُدرة أو الداعي لذلك يتنافىٰ مع العدل الذي يراه المعتزلة أصلاً من أصولهم، كما أن المعتزلة ترىٰ أن الرب لا تتعلق مشيئته بأفعال العباد أصلاً، فالعبدُ هو الذي يخلق فعله. وهٰذا من أعجب ما وقع فيه النظام وأتباعه ممن قالوا بالصرفة؛ لأن الصرفة فيها أن الله تعالىٰ تعلقت مشيئته بالعباد هنا حيث صرفهم[٢].

القول بالصرفة علىٰ سبيل الجدل والتنزل:

قد يقال بالصرفة -لا علىٰ سبيل التقرير، وإنما- علىٰ سبيل الجدل والتنزل لمن يدعي -فرضًا أو جحدًا أو عنادًا- أن الناس قادرين علىٰ معارضة القرآن؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي -مع تمام الموجب لها- أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا، مثل قوله تعالىٰ لزكريا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٠]. وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام. فإن هٰذا يقال علىٰ سبيل التقدير والتنزل، وهو أنه إذا قدر أن هٰذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم -جميعهم- عن هٰذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة، من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل هٰذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون علىٰ أن يشكوا إلى الله، أو إلىٰ ولي الأمر، وليس فيهم -مع ذلك- من يشتكي، فهٰذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

ولو قدر أن واحدًا صنف كتابًا يقدر أمثاله علىٰ تصنيف مثله، أو قال شعرًا، يقدر أمثاله أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه كان هٰذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٢٩).

(٢) القول بالصرفة في إعجاز القرآن: عرض ونقد، د. عبد الرحمٰن الشهري، (ص: ٩٣).

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعًا، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم كلهم طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هٰذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد علىٰ أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدًا لا يأتي بمثله.

فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين.

فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هٰذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام، ولا علىٰ الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد = فهٰذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقًا علىٰ تقدير النقيضين: النفي والإثبات. فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر.

فهٰذا غاية التنزل(١)، وإلا فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون علىٰ ذٰلك، ولا يقدر محمد ﷺ -نفسه- من تلقاء نفسه علىٰ أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنىٰ تدبر، كما قد أخبر الله به في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨](٢).

وقال ابن كثير في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]: «وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة، وقول المعتزلة في الصرفة، فقال: إن كان هٰذا القرآن معجزًا في نفسه؛ لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعىٰ، وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا ذٰلك مع شدة عداوتهم له، كان ذٰلك دليلًا علىٰ أنه من عند الله؛ لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم علىٰ ذٰلك، وهٰذه الطريقة -وإن لم تكن مرضية- لأن القرآن في نفسه معجز؛

(١) يعني: علىٰ فرض صحة هٰذا القول، والتنزل مع الخصم فيه.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٢٩).

لا يستطيع البشر معارضته، كما قررنا، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق، وبهذه الطريقة أجاب فخر الدين في تفسيره عن سؤاله في السور القصار؛ كالعصر و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾»[1].

المراد بالصَّرْفَة

لا يخرج عن ثلاثة معان:

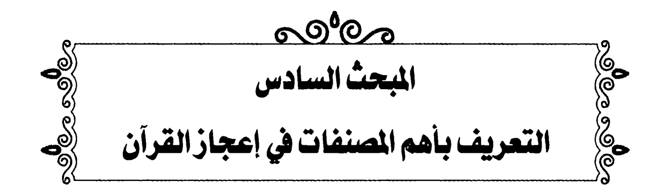
الأول: أن بواعث معارضة القرآن ودواعيها لم تتوافر لدى الناس.

الثاني: أن صارفًا عن معارضة القرآن زهَّد الناس فيها.

الثالث: أن الله تعالى منع الناس بالإلجاء قسرًا عن معارضة القرآن مع كونهم قادرين عليها، وسلب قواهم.



(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠١).



المبحث السادس
التعريف بأهم المصنفات في إعجاز القرآن

لقد كثر الكاتبون في إعجاز القرآن من العلماء وأئمة البيان قديمًا وحديثًا، فمنهم من تعرّض لهٰذا الموضوع في غضون الكلام عن علوم أخرىٰ، ومنهم من أفرده بالبحث.

ويمكن تقسيم التصنيف في إعجاز القرآن على النحو التالي:

أولاً- التصنيف الضمني: ضمن كتب العلوم الأخرىٰ، ومن ذٰلك:

١- كتب علوم القرآن: فإعجاز القرآن من علومه؛ ولهٰذا لا يكاد يخلو كتاب في علوم القرآن من ذكره وبيان وجوهه، ومن أبرز مصنفات علوم القرآن الجامعة التي اعتنت به باعتباره علمًا من علوم القرآن: جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت٧٩٤هـ)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت٩١١هـ)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي (ت١١٥٠هـ).

٢- كتب الانتصار للقرآن[1].

٣- كتب تفسير القرآن ومقدماتها[2].

٤- كتب العقيدة[3]، والرد على الملحدين أو الديانات الأخرىٰ[4].

---

(١) كما في الانتصار للقرآن للباقلاني.

(٢) كما في مقدمة تفسير الماوردي (ت٤٥٠هـ) النكت والعيون، ومقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ومقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت٥٤٢هـ)، ومقدمة الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت٦٧١هـ)، ومقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (ت٧٤١هـ)، ومقدمة البحر المحيط في التفسير، لابي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، والمقدمة الأخيرة من المقدمات العشر التي جعلها محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) فاتحة بين يدي تفسيره التحرير والتنوير، وقد شرحها أ.د عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر في كتاب مستقل بعنوان: الأزهار المتناثرة على المقدمة العاشرة.

(٣) كما في هداية المسترشدين للباقلاني (ت٤٠٣هـ).

(٤) كما في الإعلام بمافي دين النصارىٰ من الأوهام للقرطبي (ت٦٧١هـ)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).

٥- كتب اللغة عمومًا[١]، والبلاغة[٢] خصوصًا.

ثانيًا- التصنيف المفرد، وتنقسم المصنفات المفردة في إعجاز القرآن قسمين:

١- مصنفات مفردة شاملة أو جامعة؛ تحاول جمع وجوه إعجاز القرآن أو تعرض أكثر من وجه من وجوه إعجاز القرآن.

٢- ومصنفات مفردة جزئية؛ تعنىٰ بمجال من مجالات إعجاز القرآن، مثل: الإعجاز البياني أو الإعجاز العلمي أو العددي أو النفسي.

والحديث هنا عن **أبرز المصنفات المفردة الشاملة** أو الجامعة التي تعرض أكثر من وجه من وجوه إعجاز القرآن:

١- **بيان إعجاز القرآن**، لأبي سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي (ت: ٣٨٨هـ)؛ كتب كتابه هٰذا في الإعجاز علىٰ وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما؛ فكان من أوائل الذين كتبوا في الإعجاز، وقد أنكر الخطابي فكرة الإعجاز بالصَّرْفَة، ورأىٰ أن الإعجاز لابد أن يكون في إطار الأمور الخارجة عن مجاري العادات، وأشار في كتابه إلىٰ تأثير القرآن في النفوس، فإذا سمعه المؤمنون خروا سجدًا وبكيًا، واستقرت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم لكلام الله، وأصابهم من مشاعر الروعة والبشرىٰ ما جعلهم في أمن نفسي وروحي. وكتابه مطبوع عدة طبعات؛ أجودها التي حققها الأستاذ الدكتور يوسف العليوي.

٢- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ويُسمَّىٰ إعجاز القرآن ومعترك الأقران، لعبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)؛ تحدث فيه عن وجوه الإعجاز، وأوصلها إلىٰ خمسة وثلاثين وجهًا، وخصص الوجه الأخير للحديث عن مشترك القرآن، وجمع في هٰذا الباب ألفاظًا من القرآن، وفسرها وبيّن معانيها، واعتمد في ذٰلك كله علىٰ كتب التفسير والحديث واللغة، وقال في بداية كلامه في معرض حديثه عن وجوه الإعجاز: إنه لا نهاية لوجوه الإعجاز. وكتابه مطبوع.

٣- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لمصطفىٰ صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، وهو- كما قال- كان مبحثًا من مباحث (تاريخ آداب العرب). ثم أفرده حتىٰ تعمّ به المنفعة،

---

(١) كما في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ).

(٢) كما في سر الفصاحة لعبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ).

ويسهل على الناس تناوله. وهو خير ما كتب حديثًا في هذا الموضوع، وقد عُني فيه مؤلفه عناية خاصّة بالنظم الصوتي في القرآن، وفيه كلمات رائعة ولمحات موفقة في فهم كتاب الله ﷻ، حتى قال فيه أحد المقرّظين له: يجب على كل مسلم عنده نسخة من القرآن أن تكون عنده نسخة من هذا الكتاب[1].

٤- **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم**، لمحمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، وقد جاء هذا الكتاب ليعرّف المسلم المعاصر وغير المسلم بحقيقة القرآن، ولرد الشبهات عن حقيقة تنزيله، وإيضاح إعجاز بيانه، وجمال صياغته، وللتفرقة بينه وبين الحديث، وقد تحدث فيه عن الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، والإثبات بالحجة والبرهان على أن السورة الواحدة من القرآن إنما هي كالبناء المتماسك لا يمكن أن تنزع منه لبنة واحدة، كما استشهد على بيان القرآن وقوة حجته بسورة البقرة وترتيبها وما جاء فيها. وقد طبع في دار القلم للنشر والتوزيع.

٥- **مداخل إعجاز القرآن**، لمحمود محمد شاكر، وقد ضمنه المؤلف ثلاث مقدمات مهمة في نشأة مصطلح الإعجاز والمعجزة، وناقش القائلين بالصرفة وجهـًا من أوجه إعجاز القرآن، وأسلوبه أدبي فيه إطالة، والوصول للمقصود منه يحتاج لتأني وصبر.

٦- **المعجزة الكبرى: القرآن**، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، وقد طبع في دار الفكر العربي.

٧- **إعجاز القرآن**، للدكتور حسين نصار، وهذا الكتاب جامع لكل ما كتبه العلماء عن الإعجاز، وقد حاول أن يلم به إلمامًا دقيقًا، ويناقشه مناقشة علمية للخروج بالصواب في كل مسألة.

٨- **الإعجاز في دراسات السابقين: دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها**، لعبد الكريم الخطيب (ت: ١٤٠٦هـ)، وهو من منشورات دار الفكر العربي، في عام ١٩٧٤م.

٩- **فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق**، للأستاذ نعيم الحمصي، وهو مجلد واحد، تتبع فيه الدراسات والمؤلفات في إعجاز القرآن الكريم منذ بدايتها حتى عصر المؤلف. وقد عرض فيه الآراء عرضًا تاريخيًا، وحرص على أن يكون حياديًا لا ثناء فيه على ما يستحسنه، ولا ذم لما لا يرتضيه، وناقش الأقوال التي عرضها،

---

(١) الواضح في علوم القرآن (ص: ١٧٨).

واختصر تلك المؤلفات في أبرز ما جاء فيها من مسائل؛ فهو كتاب قيم، ينتفع به الطالب في تتبع المؤلفات الكثيرة في إعجاز القرآن، واستعراضها سريعًا.

١٠- **مباحث في إعجاز القرآن**، لمصطفىٰ مسلم محمد، نشرته دار المنارة للنشر والتوزيع: السعودية، عام ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م وقد أعده لما أسند إليّه تدريس مادة (إعجاز القرآن) في قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت فقرات المنهج المقرّر قريبة من محتوىٰ رسالته (إعجاز القرآن) التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراة من كلية أصول الدين بالأزهر، فقام بمراجعة المباحث الموجودة في الرسالة، وأعاد فيها النظر اختصارًا وإضافة لتتناسب وفقرات المنهج المقرر، وأسلوبه سهل، ومدعم بالأمثلة والشواهد.

١١- **إعجاز القرآن الكريم**، لفضل حسن عباس، وسناء فضل حسن عباس، صدر عن دار الفرقان بعمّان، عام ١٩٩٩م، في ٣٧٩ ص.

١٢- **مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن: عرض ومناقشة**، لغانم قدوري الحمد، بحث نشر في العدد الثامن عشر من مجلة الحكمة، عام ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، في ٢٠ص.

وغيرها من الكتب والدراسات المستقلة في الموضوع، فضلًا عما كتب عن الإعجاز في أثناء كتب علوم القرآن والتفسير والاعتقاد واللغة العربية وغيرها، كما سبق ذكره في مقدمة هٰذا المبحث.



خلاصة المدخل

تعريف الإعجاز: يمكن تعريف إعجاز القرآن بأنه: كون القرآن بألفاظٍ ونظمٍ ومعانٍ؛ لا يقدر غير الله على الإتيان بمثلها. أو هو عبارة عن: عدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن.

* تتميّز معجزة القرآن الكريم بالعديد من الخصائص عن غيرها من معجزات الرُّسل الأخرىٰ، ومن هٰذه الخصائص ما يأتي:

١- القرآن الكريم معجزة متجدّدة، أما معجزات الرّسل فقد وقعت مرّة واحدة.

٢- القرآن الكريم معجزة تكفّل الله تعالىٰ بحفظه من التحريف والتبديل والنقص.

٣- القرآن الكريم معجزة باقية، بينما انتهت معجزات الرّسل السابقة.

٤- القرآن الكريم معجزة عقلية، بينما معجزات الرّسل حسّية.

٥- القرآن الكريم رسالة معجزة، بينما معجزات الرسل كانت منفصلة عن ذات رسالتهم.

* يتجلّىٰ دليل الإعجاز بالمظاهر التالية:

١- أن القرآن لا يشبه كلام البشر.

٢- سلامته من أي نقص أو خطأ أو تعارض.

٣- تحدي المشركين أن يعارضوه وتكرر ذٰلك.

٤- عجزهم عن المعارضة واضطراب موقفهم.

٥- تأثيره النفسي، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتىٰ يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة، لا تجدهما في غيره من الكلام.

* تظهر أهمية علم إعجاز القرآن الكريم في أمور؛ منها:

١- بيان تحقق إعجاز القرآن، وأنه مازال يتحقق عبر العصور والأزمان.

٢- إثبات صدق النبي ﷺ وإلزام المعاند بذٰلك.

٣- يلزم من إثبات إعجاز القرآن إثبات صحة دين الإسلام، وأنه من عند الله، وبيان فضله علىٰ سائر الأديان.

* ثمرة علم إعجاز القرآن تظهر في أمور؛ منها:

١- زيادة الإيمان في قلب المسلم؛ بأن القرآن كلام الله حقيقة، وإقامة إيمان المؤمن بكتاب الله علىٰ معرفة به وفهم له، وإحساس صادق بما تحمل آياته وكلماته من معاني الحق والخير، ومن أسرار قدرة الله سبحانه وتعالىٰ وحكمته وعلمه...

٢- حصول هداية الخلق وقيام الحجة على الجميع والمعذرة إلى الله.

* التحدي بالقرآن في الاصطلاح: طلب القرآن من الإنس والجن معارضته، والإتيان بمثله؛ إظهارًا لعجزهم عن ذٰلك.

مراحل التحدي بالقرآن:

- تحدى الله ﷻ من يقول: إن محمدًا تقوَّل القرآن؛ بأن يأتوا بحديث مثله.

- ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله.

- ثم تحداهم بسورة واحدة منه.

- ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة.

المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن:

وقد وقع الخلاف بين العلماء في أقل قدر يكون به الإعجاز.

قال بعض العلماء: «أقصر سورة في القرآن ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ فكل قرآن من سورة أخرىٰ كان قدر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية؛ فهو داخل فيما تحداهم به».

وأقل ما قيل في القدر المعجز هو أن الإعجاز حاصل بكل ما يصدق عليه أنه قرآن، وهو أبلغ الآراء التي قيلت حول هٰذا وأعمها، ولم يأت ما يعارضه من الناحية العلمية.

امتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذٰلك:

* العرب الذين تحداهم القرآن كانوا مضرب المثل في الحميَّة والأنفة وإباء الضيم؛ فكيف لا يحركهم هٰذا التحدي والاستفزاز؟

* صناعة العرب البيان وديدنهم التنافس في ميادين الكلام؛ فكيف لا يطيرون بعد التحدي إلىٰ حلبة المساجلة؟

* القرآن أثار حفائظ العرب، وسفه عقولهم وعقول آبائهم، ونعىٰ عليهم الجمود والجهالة والشرك؛ فكيف يسكتون بعد هٰذا التقريع والتشنيع؟

* عدم معارضة القرآن مع توفر الدواعي إليها؛ دليل على العجز عنها.

* يمكن أن تعرف الصرفة بأنها: منع الله تعالىٰ قلوب الناس أن تريد معارضة القرآن أو سلبهم القدرة التامة على الفصاحة والبلاغة أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه لهم بأن يأتوا بمثله.

* يلزم من القول بالصَّرْفَة أن الإعجاز ليس في القرآن ذاته، وإنما في غيره، وهو عدم استطاعتهم، فالقرآن بزعمهم ليس معجزًا، إنما الإعجاز في المنع، وهٰذا باطل.

* ديوان العرب محفوظ شعره ونثره، وليس فيه قبل أن يسلبوا الاهتمام بالإتيان بمثله، أو تسلب منهم العلوم، كما يزعم القائلون بالصرفة = ما يماثل القرآن أو يدانيه.

* لو لم يكن عند الناس قدرة؛ لما صح تحديهم؛ إذ لا يصح أن يتحدى الموتىٰ، إذ ليس عجز الموتىٰ مما يحتفل بذكره كما لا يصح أن يتحدى المبصر الأعمىٰ، وإنما يصح التحدي؛ إذا تحدىٰ من يملك البصر، أما من سلب البصر؛ لم يصح تحدي مثله.

* قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] يدل علىٰ وجود القدرة؛ لأن المعاونة والمظاهرة إنما تمكن مع القدرة، ولا تصح مع العجز والمنع.

* مما يدل علىٰ بطلان الصرفة:

* شهادة أعداء القرآن أنفسهم في أوقات تخليهم من عنادهم، كتلك الشهادة التي خرجت من فم الوليد، والفضل ما شهدت به الأعداء.

* ما في القرآن من وجوه الإعجاز الكثيرة التي لا تزال قائمة، ولا تزيدها الأيام إلا وضوحًا وبيانًا.

أسئلة المدخل

١- بيِّن معنى الإعجاز، والمعجزة.

٢- وازن معجزة القرآن بمعجزات الأنبياء السابقين.

٣- دلل على ثبوت إعجاز القرآن.

٤- بيِّن أهمية علم إعجاز القرآن وثمرته.

٥- ما معنى التحدي بالقرآن؟

٦- ما المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن؟

٧- ما الدواعي عند كفار العرب لمعارضة القرآن؟

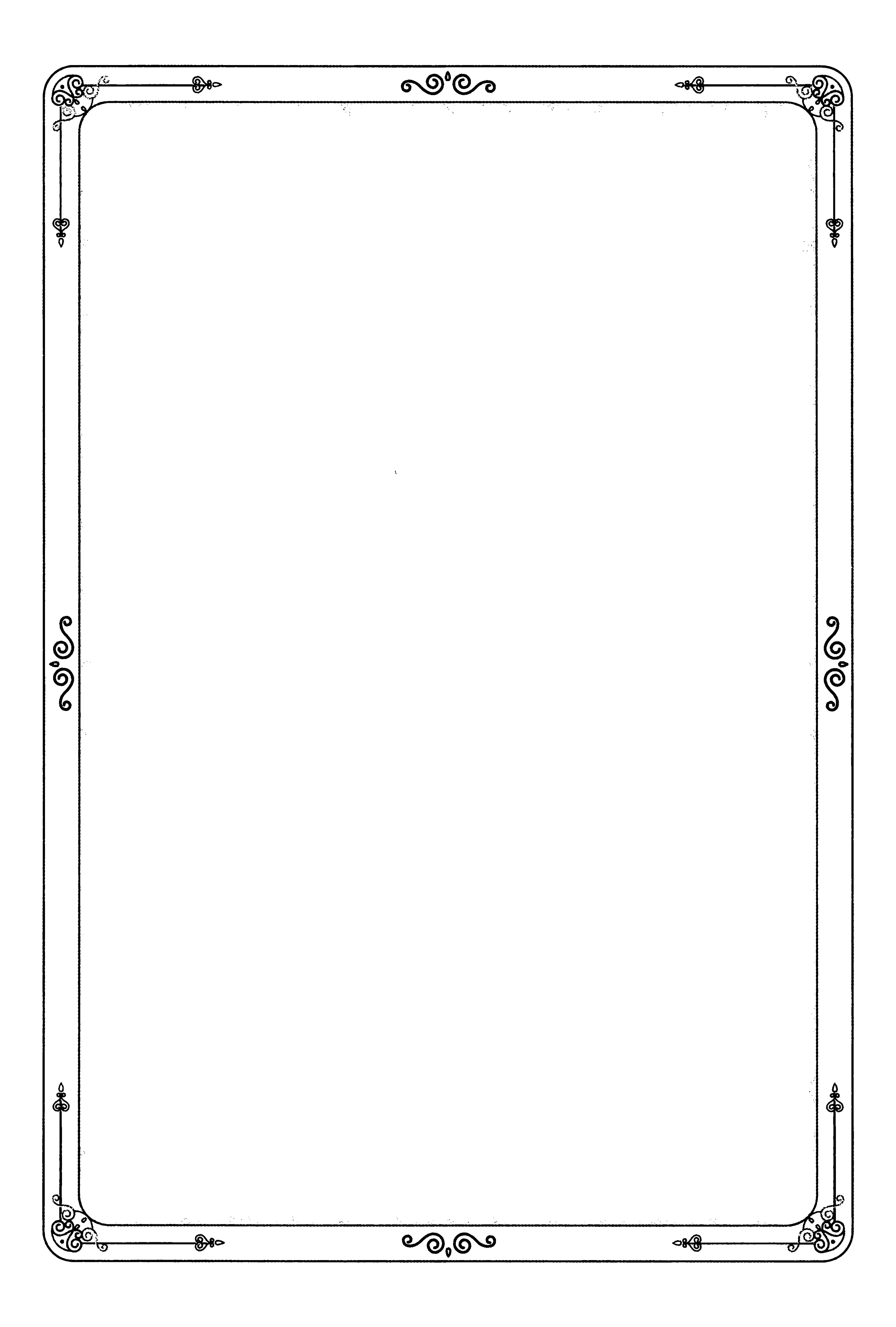
٨- على ماذا يدل عدم معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك؟

٩- عرِّف الصَّرْفَة؟

١٠- وضِّح وجه بطلان القول بالصرفة.

١١- اذكر ثلاثة من أهم المصنفات في إعجاز القرآن.





الفصل الأول

الإعجاز البياني للقرآن الكريم

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز البياني وأنواعه وعلاقته بمجالات الإعجاز الأخرىٰ ونظرياته.

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز البياني للقرآن، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نظم القرآن، وفيه: مقدمة عامة، وأربعة فروع؛ تشتمل علىٰ تطبيقات قرآنية علىٰ إعجاز القرآن فيها:

تعريف نظم القرآن، والإعجاز فيه، وتطبيقات قرآنية عليه.

أولاً- نظم حروف القرآن وإعجازه.

ثانيًا- نظم كلمات القرآن وإعجازه.

ثالثًا- الفاصلة القرآنية وإعجازها.

رابعًا- إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره.

المطلب الثاني: بلاغة القرآن، ومخالفة نظمه لجميع كلام الناس.

المطلب الثالث: الإعجاز في أسلوب القرآن، وفيه مقدمة عنه، وتطبيقات قرآنية عليه، وبيان لخصائص الأسلوب القرآني، وستة فروع؛ تشتمل علىٰ تطبيقات قرآنية علىٰ إعجاز القرآن فيها:

أولاً- التكرار والترادف في القرآن الكريم، والإعجاز فيه.

الرد على شبهة وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته.

ثانيًا- الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم.

ثالثًا- الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم.

رابعًا- الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن الكريم.

خامسًا- الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

سادسًا- الإعجاز في أسلوب القصص القرآني.

الرد على شبهة وجود اختلاف التعبير بين قصص القرآن.

المطلب الرابع: إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية، وتطبيقات قرآنية عليه.

المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات، وتطبيقات قرآنية عليه.

المبحث الثالث: أهم المؤلفات في الإعجاز البياني.

نستعرض في هذا الفصل وما بعده مجالات إعجاز القرآن الكريم، والمسائل المتعلقة بها، وسنتحدث عن سبعة مجالات لإعجاز القرآن؛ أربعة منها؛ سنعقد لكل واحد منها فصلاً مستقلاً، ثم نتناول الثلاثة الباقية في فصل خامس؛ نختم به الكتاب.

المبحث الأول

المقصود بالإعجاز البياني وعلاقته بمجالات الإعجاز الأخرى وأنواعه ونظرياته

المقصود بالإعجاز البياني:

تقدم تعريف الإعجاز، وأمّا تعريف البيان فهو في اللغة: الكشف والإيضاح[١]، وهو اصطلاحًا: إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وتارةً يكون بالاستعارة، وتارةً يكون بالتشبيه، وتارةً بالكناية[٢].

غير أن هٰذا المعنىٰ للبيان لا يشكل الوجه الرئيس في إعجاز القرآن اللغوي، وإنما هو جزءٌ منه، فقد استقر الحال عند المحققين أن جوهر الإعجاز البياني -الذي قد يسمىٰ الإعجاز اللغوي- يقوم علىٰ فكرة النظم، والنظم كما عرفه الجرجاني: «تعليق الكلام بعضه علىٰ بعض... والتصرف فيه بالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكلٍّ من ذٰلك مكانه، ويستعمله علىٰ الصحة، وعلىٰ ما ينبغي له»[٣]. فهو أعم من البيان بالمعنى السابق المذكور عند البلاغيين، وهو المقصود بالبيان الذي أضيف إليه الإعجاز.

وعليه فيعرف الإعجاز البياني بأنه: عدم القدرة على الإتيان بمثل بيان القرآن الكريم أو نظمه في كلماته وحروفه وجمله.

وفي ضوء هٰذا التعريف تتلخص مفردات الإعجاز البياني، وهي: الكلمة والحرف والجملة.

فأما الكلمة: فمن خلال النظر في بلاغتها وسر اختيارها وموقعها في الجملة من حيث علاقتها مع غيرها وتناسقها مع سياقها ثم البحث في بنيتها لمعرفة قيمتها من حيث المعنىٰ، يقول ابن عطية: «إن كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب علىٰ لفظةٍ غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفىٰ علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة»[٤].

---

(١) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني: (ص: ١٥٧).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: (ص: ١٦٢).

(٣) دلائل الإعجاز، للجرجاني: (ص: ٥٥ وص: ٨١-٨٢).

(٤) المحرر الوجيز، لابن عطية: (١/ ٣٩).

وأما الحرف: ففي البحث في رسالته التي يؤديها، وسر اختياره، والقيمة العلمية المترتبة علىٰ ذلك، وتقرير حقيقة أن لا تناوب في الحروف(١).

وأما الجمل: فمن حيث صوغها وترابطها وتناسق كلماتها وحروفها وتلاؤمها وكل ما يحتويه تركيبها، حتىٰ إنها لتختلف ولا تراها إلا متفقة، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان، وتنتقل في منازل البلاغة... وهذه هي «روح التركيب» التي لم تعرف قط في كلامٍ عربي غير القرآن، وبها عرف نظمه، وخرج مما يطيقه الناس(٢).

ذلك بإجمالِ مفهوم الإعجاز البياني ومفرداته.

علاقة الإعجاز البياني بمجالات إعجاز القرآن الأخرىٰ:

الإعجاز البياني هو الأساس في إعجاز القرآن بإقرار أهل اللغة وجهابذتها ممن أسلم، ومن لم يسلم، ولم يملك أمامه العرب الأقحاح إلا الخضوع والاستسلام لعظمته وهيمنته على النفوس.

والوجه البياني في إعجاز القرآن عظيم الصلة بمجالات الإعجاز الأخرىٰ، لأنه يشكل الوعاء والقالب الذي تصاغ من خلاله تلك المجالات، ويحوي بجماله مضمونها، فيزيدها إيضاحًا وكشفًا لما تحويه من المعاني، وهو أكثر وأبرز في مظاهره؛ لانتظامه القرآن.

أنواع الإعجاز البياني(٣):

هذا الوجه من الإعجاز يقع في القرآن الكريم من جميع الوجوه؛ نظمًا ومعنىً ولفظًا، بحيث لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين، مميزًا عن خطب الخطباء وشعر الشعراء باثني عشر معنىٰ، لو لم يكن للقرآن غير معنىٰ واحد من تلك المعاني لكان معجزًا، فكيف إذا اجتمعت جميعًا فيه.

---

(١) للاستزادة حول بلاغة الحرف ينظر: النبأ العظيم، لعبد الله دراز: ص (١٠١-١٠٤)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: (ص١٧٠-١٧٥).

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: (٢/ ١١٩)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (١٩٢-١٩٥).

(٣) أنواع الإعجاز البياني عبارة عن وجوه للإعجاز البياني كالتي سيأتي ذكرها في مبحث وجوه الإعجاز البياني، لكن مسميات الأنواع أو الوجوه ذكرت هنا مجملة دون تصنيف، وسيأتي ذكرها في مبحث وجوه الإعجاز البياني مصنفة ومفصلة، وقد تسمىٰ مظاهر، فلينتبه لهذا.

وهذا قول الفيروزابادي عندما عرض لأوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، أوجزها بوجود اثني عشر معنىٰ في القرآن الكريم، وبدأ في بيانها والتمثيل لها، فذكر:

أولها: إيجاز اللفظ مع تمام المعنىٰ؛ علىٰ سبيل الحذف، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: واسأل أهل القرية. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: ولكن البر بر من آمن. أو علىٰ سبيل الاختصار، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ثانيها: تشبيه الشيء بالشيء نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩] وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وكما قيل الأمثال سُرج القرآن.

وثالثها: استعارة المعاني البديعة، كالتعبير عن تكوير الليل والنهار بالسلخ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، والتعبير عن المضي والقيام بالصدع: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ولا يخفىٰ ما في أَمثال هٰذه الاستعارات من كمال البلاغة، ونهاية الفصاحة. يُحْكىٰ أَنَّ أَعرابيّاً سمع هٰذه الآية فلم يتمالك أَن وقع على الأَرض وسجد، فسئل عن سبب سجدته، فقال: سجدت فى هٰذا المقام، لفصاحة هٰذا الكلام.

رابعها: تلاؤم الكلمات والحروف تلاؤمًا فيه جمال المقال وكمال الكلام، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠] ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩]، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ونظائرها.

خامسها: فواصل الآيات ومقاطعها، وهي علىٰ نوعين: إما علىٰ حرف؛ كسورة طه؛ فإِنَّ فواصل آياتها على الأَلف: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ١-٥]، وكسورة القمر؛ فإِنَّ مقاطع آياتها على الراء: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]. إلىٰ آخر الآيات، وإِمَّا علىٰ حرفين كالفاتحة؛ فإِنَّها بالميم والنُّون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ونحو ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ١-٢] فإِنَّها بالباءِ والدَّال.

سادسها: تجانس الألفاظ، وهو نوعان أيضًا: إما من قبيل المزاوجة، كقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]،

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وإما من قبيل المناسبة كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧] ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ [النور: ٣٧].

سابعها: تصريف القصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، بحيث لو تأمّل غوّاصو بحار المعانىٰ، وخوّاضو لُجَج الحُجَج، وتفكّروا فى حقائقها، وتدبّروا فى دقائقها، لعلموا وتيقّنوا (وتحققوا) وتبيَّنوا أَنَّ ما فيها من الألفاظ المكرّرة المعادات، إنَّما هي لأسرار ولطائف...

ثامنها: تضمين الحكم والأسرار، ومن ذٰلك أن في الفاتحة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ التجاءَ الخَلْق إلىٰ ظلِّ عنايته، وكلمة الجلالة تضمَّنت آثار القدرة والعظمة، وكلمة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إشارة إلىٰ أَنَّ مصالح الخَلْق فى هٰذه الدَّار منوط بكفايته. وكلمة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بيان لاحتياج العالَمين إلىٰ فيض من خزائن رحمته. والنِّصف الأَوّل من الفاتحة يتضمَّن أَحكام الرُّبوبيَّة. والنصف الثَّانى يقتضى أَسباب العبوديَّة. وخُذْ علىٰ هٰذا القياس. فإِنَّ كلَّ كلمة من كلمات القرآن كنزُ معانٍ، وبحر حقائق.

ومن جوامع آيات القرآن قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فإنها جامعة لجميع مكارم الأخلاق، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] مستجمعة لجميع أَسباب السِّياسة والإِيالة. وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١] محتوية علىٰ حاجات الحيوانات كلها. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلىٰ آخر الثلاث الآيات جامعة لجميع الأَوامر والنَّواهى، ومصالح الدُّنيا والآخرة، وقوله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] يشتمل علىٰ أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين.

تاسعها: المبالغة في الأَسماءِ والأَفعال؛ فالأَسماءُ كقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، والأفعال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

عاشرها: حسن بيان المقاصد، والأَغراض، وتمهيد المصالح، والأَسباب؛ ومن ذٰلك قوله في البرهان على الوَحْدانيَّة والفَرْدانيَّة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وفي دليل ثبوت الرِّسالة ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وتمهيداً لمصالح الطَّهارات ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وللمعاملات ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]،

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٣٢] ولرعاية مصلحة النفوس: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وعلىٰ هٰذا القياس جميع أَحكام الشريعة فإنها تأيَّدت بالآيات القرآنية.

الحادي عشر: الإخبار عما كان، وضرب له الفيروزابادي أمثلة من تخليق العرش، والكرسي، وحال الحملة والخزنة، وكيفية اللوح والقلم، ووصف السدرة وطوبىٰ وسير الكواكب ودور الأفلاك، ورفع السماء، وتمهيد الأرض.

الثاني عشر: الإخبار عما يكون، كأخبار الموت والقبر والبعث والنشر والقيامة والحساب والعقاب والعرض والحوض والسؤال ووزن الأعمال والميزان والصراط... إلىٰ غير ذٰلك مما جاء به القرآن الكريم وبينه رسولنا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم(١).

وما ذكرنا من وجوه إعجازه قل من كثر، ووشل من فيض، وقبس من روح، وقطرة من بحر، فهو الكتاب الذي لا تنفد عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد.

نظريات الإعجاز البياني:

نظريات الإعجاز البياني هي آراء أهل العلم في تفسير ماهية الإعجاز البياني أو البيان الذي أضيف إليه الإعجاز، وحقيقة ذٰلك، وقد برزت في كلام المتقدمين ثلاث نظريات في إعجاز القرآن البياني، وهي:

النظرية الأولىٰ: قول الرمانيُّ (ت: ٣٨٤هـ): «إيصال المعنىٰ إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»:

يرى الرمانيُّ أنْ: «ليست البلاغةُ إفهام المعنىٰ؛ لأنه قد يفهم المعنىٰ متكلّمان، أحدهما بليغٌ، والآخر عيِي، ولا البلاغة أيضًا بتحقيق اللّفظ على المعنىٰ؛ لأنه قد يحقّق اللّفظُ علىٰ المعنىٰ، وهو غثٌّ مستكره، ونافر متكلّف، وإنما البلاغةُ: إيصال المعنىٰ إلى القلب، في أحسنصورة من اللّفظ»(٢). هٰذا من حيث تأصيل الرمانيّ لمفهوم البلاغة؛ فهي عنده تتكون من وسيلة وغاية؛ فالوسيلة: حسن صورة اللّفظ، والغاية: إيصال المعنىٰ إلىٰ قلب المُخاطب.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروابادي، وبيانه لوجوه إعجاز القرآن: نظمًا، ومعنىٰ، ولفظًا، في ج ١ من ص ٦٨ إلىٰ ص ٧٤. وقد ذكر الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» عشرة وجوه من البلاغة؛ مفصلة (ص٢٦٢- ٢٨٠)، وإنما ذكرنا قول الفيروزابادي تيسيرًا للدارس.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، للرمانيّ: (ص: ٧٥).

أما من جهة عناصر هذه البلاغة، فيصرح بأنها: على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمُبالغة وحسن البيان[١].

وهذا مما يدل على أنه قد يطلق البيان، ويراد به اللغة؛ لأن المُحدثين يعُدّون بابي (الفواصل) و(التصريف) من الإعجاز اللّغوي لا البيانيّ، لتعلُّقها بالمُفردة القرآنية من جهة، ثمّ بالجانب الصوتيّ للمفردة من جهة أُخرى؛ ما يسوِّغ نظمهما في عقد الإعجاز اللغوي. ولهذا حكم بعض الدارسين المُحدثين على قسمة الرمانيّ للبلاغة إلى عشرة أقسام بأنها غير منطقية؛ وعلّل ذلك باختلاف مصادرها، يقول الدكتور إحسان عباس: «.. ومن الواضح أنّ هذه القسمة لأنواع البلاغة تنتمي إلى مصادر مختلفة؛ فبعضها في الصورة، وبعضها في النظم، وبعضها في المعنى، ومنها ما يتصل باللّفظة الواحدة (كالفواصل)، ولاختلاف مصادرها، كانت قسمةً متداخلة غير منطقية»[٢].

ولمْ يرتضِ الباقلاّنيّ (ت: ٤٠٣هـ) التسليم بأنّ الإعجاز البيانيّ يمكن فهمه وتعقّله من خلال الأوجه العشرة جميعها، بل قسمها قسمين: قسم يمكن تعلُّمه والإحاطة به، فهذا لا يتعلّق به الإعجاز؛ لأنه في مقدور البشر، وقسم لايمكن الإحاطة به؛ وهو الّذي يدلّ على إعجاز القرآن، يقول: «واعلم أنّ الّذي بيناه قبل هذا وذهبنا إليه هو سديد، وهو أنّ هذه الأمور تنقسم: فمنها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له، ويدرك بالتعلّم، فما كان كذلك، فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به. وأما ما لا سبيل إليه بالتعلُّم والتعمل من البلاغات، فذلك هو الّذي يدلّ على إعجازه»[٣].

ثمّ بين ﷺ أنّ من بين ما يتعلّق به الإعجاز (حسن البيان)، والقرآن الكريم في أعلى درجاته؛ يقول: «ومن تلك الوجوه، ما قد بينا أن الإعجاز يتعلّق به: كالبيان... فالقرآن أعلى منازل البيان؛ وأعلى مراتبه، ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه؛ من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللّسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المُشاهد، وتشكُّله على جهته، حتى يحلَّ محلّ البرهان، ودلالة التأليف، مما لاينحسر حسنًا وبهجة، وسناءً ورِفعة»[٤].

---

(١) المرجع السابق: (ص: ٧٦).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس، ط٤، دار الثّقافة، لبنان، ١٤٠٤هـ١٩٨٣م: (ص: ٣٤٠).

(٣) إعجاز القرآن، للبلاقلاني: (ص: ٤١٧).

(٤) المرجع السابق: (ص: ٤١٨، ٤١٩).

النظرية الثّانية: قول الخطّابي (ت:٣٨٨هـ): «لفظٌ حامل، ومعنىٰ به قائم، ورباط لهما ناظم»:

من أبرز الأقوال في تفسير الإعجاز البيانيّ، قول الخطّابي، الّذي لا يمكن لباحث في هٰذا المجال، أن يغفله بحال من الأحوال؛ ذٰلك أنه يمثّل مرحلة هامةً في تاريخ إعجاز القرآن الكريم. يرى الخطّابي أنه: «إنما يقوم الكلام بهٰذه الأشياء الثّلاثة: لفظٌ حامل، ومعنىٰ به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملْت القرآن، وجدت هٰذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتىٰ لا ترىٰ شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترىٰ نظما أحسن تأليفًا وأشد تلاؤما وتشاكلًا من نظمه. وأما المعاني؛ فلا خفاءَ علىٰ ذي عقل أنها هي الّتي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقّي إلىٰ أعلىٰ درجات الفضل من نعوتها وصفاتها...

فتفهمِ الآن واعلم، أنّ القرآن إنما صار معجِزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أصح المعاني»[١].

فمكمن إعجاز القرآن البيانيّ عند الخطّابي في ثُلاثية: اللّفظ، والمعنىٰ، والرابط بينهما (النظم)، وهٰذه الثّلاثة نفسها هي الّتي تؤثّر في المُتلقّي وتترك فيه بصمات مختلفة؛ بين الابتهاج والخوف، والسعادة والحُزن. يقول الدكتور إحسان عباس: «إلّا أنّ الخطّابي يلمح تنوع هٰذا الأثر وتردده بين إثارة البهجة، وإثارة الخوف والفزع، عن طريقِ الائتلاف بين الثّلاثة: المعنىٰ واللّفظ والرباط الناظم، وليس هو تأثيرا مستمدًا من التشبيه أو الاستعارة أو ما أشبه من نكت بلاغية»[٢].

في إشارة واضحة من الدكتور إحسان إلىٰ أنّ الخطّابي، وإن وافق الرمانيَّ في اعتبار الإعجاز البيانيّ هو المُقدم من أنواع الإعجاز، إلّا أنه يخالفه خلافًا كبيرا في ماهيته وحقيقته؛ فنجد عند الرمانيّ شيئًا من التركيز على اللّفظ (حسن الصورة)، ونجد أنّ الخطّابي يعمق الفكرة، لتشمل المعنى المفهوم من اللّفظ، والروابط الّتي تصل الألفاظ ببعضها (النظم).

النظرية الثّالثة: قول عبد القاهر الجُرجانيّ (ت: ٤٧١هـ) «تعليق الكلم بعضها ببعض في النظم»:

وقول الإمام الجُرجاني من أهم الأقوال الّتي يعنىٰ بها الدارسون في هٰذا الشأن، وقد كان الجرجانيّ نحويًا بلاغيًا فذًا؛ أضفىٰ على النحو شيئًا من التحليلات البلاغية الّتي أخرجته للناس في صورة فريدة؛ تربط بين عمل النحوي؛ الّذي يعنىٰ بحركات الكلم ومواقعها الإعرابية،

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي: (ص: ٢١).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: (ص: ٣٤٥).

وعمل البلاغي؛ الّذي يهتم بالتركيب وما له من فضيلة ومزية في الدلالة؛ فقد «انتبه عبد القاهر لعمل النحوي كما هو مفروض، واتضح ذٰلك فيما يظنه كثير من الدارسين علمه الأوحد (قضية النظم) الّذي انتبه فيه، أو طبق فيه تلك المهمة الأساسية للنحوي، ولعلّ ذٰلك يرجع إلىٰ صريح عباراته الّتي يقول فيها: واعلم أنّ النظم ليس إلّا أن تضع كلامك الموضع الّذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علىٰ قوانينه، وأصوله الّتي تحفظ الرسوم الّتي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها»[(١)].

فإعجاز القرآن البيانيّ، عند الجرجاني كامن في (النظم) ومعلوم أن النظم: «ليس سوىٰ تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض»[(٢)]. كما بين هو نفسه. ولا شك أنّ هٰذا التعلُّق راجع إلىٰ معاني الكلم، لا إلىٰ ذوات ألفاظها. وهٰذه المعاني أيضًا، لا يتضح تناسقها إلّا من خلال السياقات المُختلفة الّتي ترد ضمنها، وهي وحدها الّتي تكشف ما فيها من تلاؤم وعدمه. وفي هٰذا الصدد يقول الدكتور إحسان عباس: «ما المقصود بالنظم والتأليف، وهما مترادفان في رأي عبد القاهر؟ يقرر الجرجانيّ أولاً: أنه ليس للفظة في ذاتها؛ لا في جرسها، ولا دلالتها؛ ميزة أو فضل أوليٌّ، وليس بين لفظة وأخرىٰ في حال انفراد كلٍّ منهما عن الأخرىٰ من تفاضل؛ لا يحكم على اللّفظة بأي حكم قبل دخولها في (سياق) معين، لأنها حينئذ -وحسب- ترىٰ في نطاق من التلاؤم أو عدم التلاؤم، وهٰذا السياق هو الّذي يحدث (تناسق الدلالة)، ويبرر فيه (معنىٰ) علىٰ وجه يقتضيه العقل ويرتضيه، وربط الألفاظ في سياق، يكون وليد الفكر لا محالة، والفكر لا يضع لفظة إزاء الأخرىٰ لأنه يرىٰ في اللّفظة نفسِها ميزة فارقة، وإنما يحكم بوضعها لأنّ لها معنىٰ ودلالة بحسب السياق نفسه، ولهٰذا كانت (المعاني) لا الألفاظ، هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف؛ فلا نظم في الكلم ولا تأليف، حتىٰ يعلّق بعضها ببعض، ويبنىٰ بعضها علىٰ بعض، وبهٰذا يكون اللّفظ تابعًا للمعنىٰ، بحسب ما يتم ترتب المعنىٰ في النفس»[(٣)].

ويقرر الجرجانيُّ في أواخر كتابه (الدلائل): «أنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه، ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانه،

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية، رجاء عيد، والتطور، ط٢، منشأة المعارف، مصر: (ص: ١٤٤).

(٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق أبي فهر محمود شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠٤م: (ص: ٤).

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: (ص: ٤٢٠).

وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارٌّ نفسه بالكاذب من الطّمع، ومُسْلِمٌ لها إلى الخدع، وأنه إن أبىٰ أن يكون فيها، كان قد أبىٰ أن يكون القرآن معجزًا بنظمه»[١].

الموازنة بين نظريات المتقدمين في الإعجاز البياني:

فهٰذه ثلاثة أقوال في تفسير الإعجاز البياني؛ جميعها يُمِدُّ هٰذا الباب في جزئية من جزئياته، وإن كان لابد من ترجيح بينها، فالواجب اعتبار ما لا مطعن فيه من الأقوال، ولا يرِد عليه شيء يأتي عليه بالإبطال.

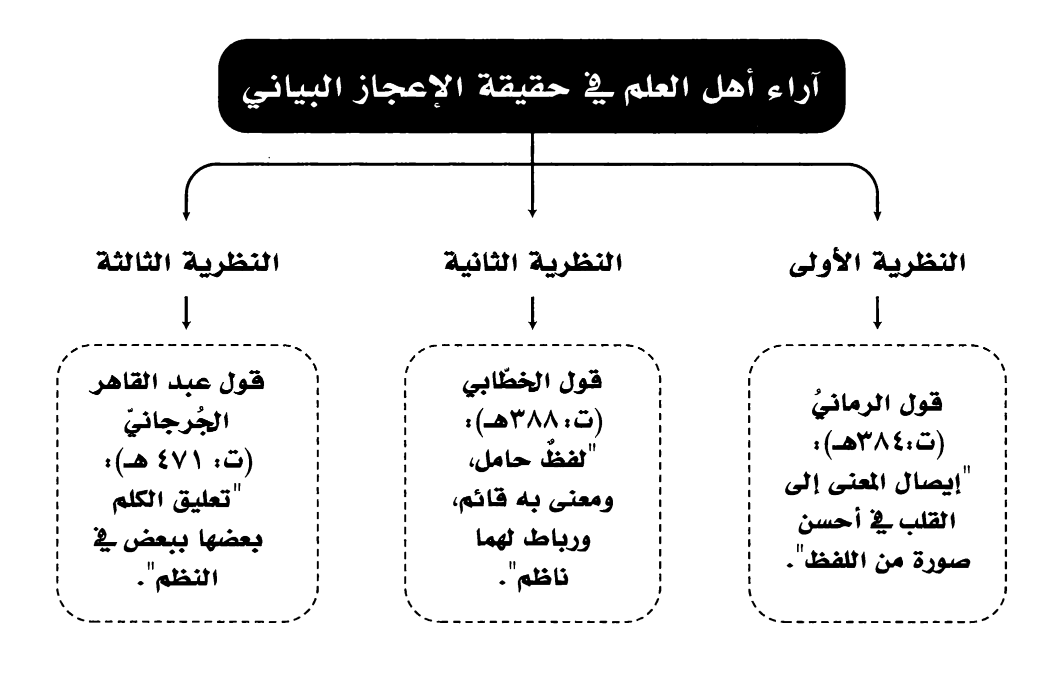
فأما قول الرمانيّ، فإنه يفيد في معرفة أنواع البلاغات التي حازها نص التنزيل، إلّا أنه يرِد عليه: أنّ هٰذه الأنواع، لا يختص بها القرآن الكريم، وإنما هي منشورة في فنون القول عامةً؛ من منظوم ومنثور، فكانت معرفة الإعجاز من جهتها تقتضي كُلفةً وتمرسًا، وقد تتعسر.

وأما قول الخطّابي وقول الجرجانيّ، فإنهما قولان متكاملان؛ يتمم الآخر الأولَ؛ ذٰلك أنّ الخطّابي رسم المعالم الكبرىٰ للإعجاز البيانيّ؛ وهي ثلاثية اللّفظ، والمعنىٰ، والرباط الناظم، وهي ركائز متينة يمكن للمتأمل أن يدرك إعجاز القرآن من خلالها. ثمّ جاء من بعده الجرجانيّ، فأرسىٰ دعائم هٰذه النظرية، وركّز علىٰ مسألة الرباط الناظم (النظم)، أو تعلّق الكلم ببعضها، وأنها هي الّتي -من خلال السياقات المختلفة- تجعل الألفاظ تكتسب معاني متنوعة وثرية، حسب تلك السياقات؛ فالإبداع في تعليق الكلم ببعضها يولِّد إبداعًا فيما تحمله هٰذه الكلم من معان، وبهٰذا تظهر فضيلة القرآن ومزيته علىٰ كلّ منظوم ومنثور. فالخطّابي أجملَ، والجرجانيُّ فصل، وتحصل لنا من جملة ذٰلك قولٌ في الإعجاز البيانيّ، يمكن اعتماده والركون إليه[٢].

---

(١) دلائل الإعجاز: (ص: ٥٢٦).

(٢) تنظر نظريات الإعجاز البياني في رسالة: «جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوّي والبياني للقرآن الكريم -ابن القيم نموذجًا-» للعيد حذّيق، من ص٤٧ إلىٰ ٥٤. وهي رسالة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من قسم اللّغة والحضارة العربية الإسلامية بكلية العلوم لإسلامية في جامعة الجزائر.


آراء أهل العلم في حقيقة الإعجاز البياني
النظرية الأولى
النظرية الثانية
النظرية الثالثة
قول الرمانيُ (ت:٣٨٤هـ): "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ".
قول الخطّابي (ت:٣٨٨هـ): "لفظٌ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم".
قول عبد القاهر الجُرجانيّ (ت: ٤٧١ هـ): "تعليق الكلم بعضها ببعض في النظم".



خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (١-٥)

المقصود بالإعجاز البياني:

* عدم القدرة على الإتيان بمثل بيان القرآن الكريم أو نظمه في كلماته وحروفه وجمله.

* الوجه البياني في إعجاز القرآن يشكل الوعاء والقالب الذي تصاغ من خلاله مجالات إعجاز القرآن الأخرى.

أنواع الإعجاز البياني:

عرض الفيروزابادي أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم في اثني عشر معنى، هي:

أولها: إيجاز اللفظ مع تمام المعنى؛ على سبيل الحذف.

ثانيها: تشبيه الشيء بالشيء.

وثالثها: استعارة المعاني البديعة.

رابعها: تلاؤم الكلمات والحروف تلاؤمًا فيه جمال المقال وكمال الكلام.

خامسها: فواصل الآيات ومقاطعها.

سادسها: تجانس الألفاظ.

سابعها: تصريف القصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، بحيث لو تأمّل غوّاصو بحار المعاني، وخوّاضو لُجَج الحُجَج، وتفكّروا في حقائقها، وتدبَّروا في دقائقها، لعلموا وتيقّنوا (وتحققوا) وتبيَّنوا أَنَّ ما فيها من الأَلفاظ المكرَّرة المعادات، إِنَّما هي لأَسرار ولطائف...

ثامنها: تضمين الحكم والأسرار. فإِنَّ كلَّ كلمة من كلمات القرآن كنزُ معانٍ، وبحر حقائق.

تاسعها: المبالغة في الأَسماءِ والأَفعال.

عاشرها: حسن بيان المقاصد، والأَغراض، وتمهيد المصالح، والأَسباب.

الحادي عشر: الإخبار عما كان.

الثاني عشر: الإخبار عما يكون.

نظريات الإعجاز البياني:

نظريات الإعجاز البياني هي آراء أهل العلم في تفسير ماهية الإعجاز البياني أو البيان الذي أضيف إليه الإعجاز، وحقيقة ذلك، وقد برزت في كلام المتقدمين ثلاث نظريات في إعجاز القرآن البياني، وهي:

النظرية الأولىٰ: قول الرمانيُّ (ت: ٣٨٤هـ): «إيصال المعنىٰ إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ».

النظرية الثّانية: قول الخطّابي(ت: ٣٨٨هـ): «لفظٌ حامل، ومعنىٰ به قائم، ورباط لهما ناظم».

النظرية الثّالثة: قول عبد القاهر الجُرجانيّ (ت: ٤٧١ هـ) «تعليق الكلم بعضها ببعض في النظم».

أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (١)

١- ما المقصود بالإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

٢- اعرض أنواع الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

٣- بيِّن آراء أهل العلم في تفسير ماهية الإعجاز البياني؟



المبحث الثاني

وجوه الإعجاز البياني للقرآن

المطلب الأول: نظم القرآن:

تعريف نظم القرآن:

النظم يعني: الجمع والضم والاتساق، ونقول: النظام والتأليف، قال ابن منظور: «النظم: التأليف، نظمه نظمًا ونظامًا ونظمه، فانتظم وتنظَّم، ونَظَمْتُ اللؤلؤ، أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظَّمته، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر، أو ضممت بعضه إلىٰ بعض قد نظمته، والانتظام والاتساق»[1] والنظم عند الفيروزابادي: هو التأليف، وضم شيء إلىٰ شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظمًا ونظامًا ونظمه: ألفَّهُ وجمعهُ في سلك فانتظم...»[2].

إذا النظم القرآني: هو ترتيب الكلمات ترتيبًا مخصوصًا، بحيث تؤدي المعنى المراد علىٰ أكمل وجه، وتكون متلائمة مع بعضها في ترابط وثيق، وترتيبها علىٰ حسب ترتيب المعاني في النفس، بحيث يكون كل لفظ موضوعًا في مكانه، ولو وضع غيره في مكانه لم يصح.

ولقد ارتبط مفهوم النظم بقضية الإعجاز عند المتقدمين، وكان معروفًا عند اللغويين والبلاغيين، مثل سيبويه (١٨٠هـ)، الذي أشار إلى النظم بكلمة: «التأليف»[3]، ومثل الجاحظ (٢٥٥هـ) صاحب الكتاب المفقود: «نظم القرآن» الذي ذكره في كتابه: «الحيوان»، فإنه فرَّق فيه بين النظم القرآني ونظم الكلام، وتحدث عن اللفظة المفردة، واشترط فيها أن تكون خالية من تنافر الحروف، جارية علىٰ ألسنة العرب، وجارية علىٰ حسب الاستعمال العربي[4]، وأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ (٢٠٩هـ) عندما ناقش مجاز القرآن، لكنه لم يحدد معالم هذا النظم[5]، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والمبرِّد (٢٨٦)، والرمَّاني (٣٨٤هـ)، والخطابي(٣٨٨هـ)،

---

(١) لسان العرب، طبع دار المعارف: (٦/ ٤٤٦٩)، مادة نظم.

(٢) القاموس المحيط، نشر مؤسسة الرسالة، ط٢، مادة نظم: (ص: ١٥٠٠).

(٣) نظرية النظم، د. صالح بلعيد، دار هومة، بوزريعة، الجزائر: (ص: ٩٥).

(٤) ينظر: البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل: (١/ ١٢).

(٥) تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز بن المعطي عرفة، ط١، القاهرة، سنة: ١٩٨٣م، دار الطباعة المحمدية: (ص: ٣٠).

وأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، والباقلاني (٤٠٣هـ)، والقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ)[(١)]، حيث كان مفهومًا عامًا غير متميز عن الجوانب الأخرىٰ للغة، وحيث كان التركيز في كل مرحلة يستهدف معنىٰ من معان يتضمنها النظم، وهي:

١- البسط: عرض العناصر التي تدخل في بناء الجمل.

٢- الترتيب: نظم علاقة توجب ترتيب العناصر التي تتكون منها الجمل.

٣- الربط: وصل العناصر التي يتكون منها مجال المنظوم وصلًا يولد منها عناصر جديدة للإضافة والاتباع.

٤- التوسيع: نظم علاقة توجب تولد المنظومات بعضها من بعض، بحيث يكون بعضها أوسع من الآخر (وهو التفريع والتزايد والتضخم).

٥- التشكيل: تكون المنظومات المولدة بعضها يستدعي بعضًا (استدعاء/ تعلق)[(٢)(٣)].

الإعجاز في نظم القرآن:

نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هٰذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا وجوه إعجاز القرآن الكريم: «وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم علىٰ معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة:

- من جهة اللفظ.
- ومن جهة النظم.
- ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنىٰ.

---

(١) انظر: نظرية النظم: (ص: ٩٣)، وما بعدها.

(٢) اللسان والميزان، طه عبد الرحمٰن، ط١، الدار البيضاء ١٩٩٨م، المركز الثقافي العربي، بتصرف قليل.

(٣) خصائص النظم القرآني، د. رياض عميراوي- مجلة المعيار- ع ٤٣، يناير ٢٠١٨م- ص ٢١-٢٢.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٣٣).

- ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك.

- ومن جهة معانيه، التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل.

- ومن جهة ما أخبر به عن المعاد.

- ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة»(١).

وقال في موضع آخر: «والقرآن مما يعلم الناس؛ عربهم، وعجمهم أنه لم يوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب علىٰ معارضته؛ فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية. وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية. كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»(٢).

تطبيقات قرآنية على الإعجاز في النظم:

من كلام أهل العلم في بيان حسن نظم القرآن وعلوه:

التنبيه علىٰ سر تأخير الجار والمجرور (به) عن الفعل (آمنا)، وتقديم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكّلنا) في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] والسر في أنه لم يقل: وتوكلنا عليه، وهو «أن الإيمان لما لم يكن منحصراً في الإيمان بالله، بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الأخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه»؛ أخر الجار والمجرور (به) عن الفعل (آمنا)، «بخلاف التوكل فإنه لا يجوز إلا على الله وحده؛ لتفرده بالقدرة»؛ ولهذا قدَّم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكّلنا)(٣). والله أعلم.

ومن ذلك بيان مناسبة النظم لطبيعة مضمونه وأسباب نزوله في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣]، بأن سجعة الراء ترد على الأذن في مسافات زمنية صوتية قصيرة جدًا، وخاصية السجع القصير في الآيات المكية تتناسب مع طبيعة مضمونها وأسباب نزولها، حيث يتحقق منها إيقاع الرعب في نفوس المشركين بالتهديد بالنار، وبالوعيد بالويل والثبور(٤).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٢٨).

(٢) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٦).

(٣) أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، (ص: ٢٦). بتصرّف.

(٤) خصائص النظم القرآني، د. رياض عميراوي- مجلة المعيار- ع ٤٣، يناير ٢٠١٨م- ص ٣٣-٣٤.

أولاً- نظم حروف القرآن وإعجازه، وتطبيقات قرآنية عليه:

١- الحروف المقطعة:

من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم افتتاح بعض السور بالحروف المقطعة، وهي نصف الحروف الهجائية التي تتركب منها الكلمات، فإن الحروف التي بُنِيَ عليها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفًا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف المقطعة ثمان وعشرون سورةً، وجملة ما ذكر من هٰذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهي أربعة عشر حرفًا، جمعها بعضهم في قوله: «صله سُحيرًا مَن قطعك».

وينطق بها في القرآن مفردة مثل: ألف لام ميم ونحو ذٰلك، فهي في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفًا باسم مسماها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الحروف التي ينطق بها مفردة مثل: ألف لام ميم ونحو ذٰلك؛ فهٰذه في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفًا باسم مسماها... وليس في القرآن من حروف الهجاء -التي هي أسماء الحروف- إلا نصفها، وهي أربعة عشر حرفًا، وهي نصف أجناس الحروف: نصف المجهورة، والمهموسة، والمستعلية، والمطبقة، والشديدة، والرخوة، وغير ذٰلك من أجناس الحروف. وهو أشرف النصفين. والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل»[١].

وجمعها بعضهم في قولهم: «نص حكيم قاطع له سِر»، كما أن هٰذه الأحرف المقطعة تحتوي أسرارًا من علم الله -سبحانه وتعالىٰ- لذا نجد المفسرين -عادةً- لا يقفون علىٰ معنًى صريحٍ واضحٍ في دلالات هٰذه الفواتح، وإنما يتركون أو يفوِّضون علمها إلى المولىٰ -سبحانه وتعالىٰ- في كثير من المواقع، فهي مظهرٌ من مظاهر الإعجاز.

فهٰذه الحروف التي يستخدمها العرب في كلامهم، جاءت علىٰ مثال فريد لم يبتكر قَبْل كتاب الله -عز وجل- ولم يستخدموه في أساليبهم وشعرهم ونثرهم وسجعهم، وما ذهبوا إليه من فنون الكلام، فجاء القرآن الكريم بهٰذه الطريقة المعجزة في الاستخدام؛ ليعرِّف العربَ، ويتحداهم بهٰذه الحروف التي يتكون منها كلامهم، ويدل بالمذكور علىٰ غيره، وليعرفوا أن هٰذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامَهم.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية: (١٢/ ٤٤٨).

٢- حروف الهجاء:

مخارج الحروف في نظم القرآن متلائمة مؤتلفة، وبينها انسجام في الجرْس، وتآخي الجرس في الألفاظ والحروف يعدُّ من حلاوة الكلام ومحسناته، وهٰذا بالنسبة للقرآن الكريم من تأثيره في النفوس، فهو في القرآن طريق الوصول إلى القلوب، وإنَّ نظمه علىٰ ما سنبيِّن يسير هو وأسلوبه بألفاظه ومعانيه إلى القلوب ليأخذها من طبعها الأرضي ليعلوَ بها إلى الأفق السماوي.

ويذكر أبو عيسى الرماني فائدة التلاؤم فيقول: «والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل النفس لمعناه، لما يرد عليها من حسن الصورة، وطريق الدلالة، ومثل ذٰلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون الخط والحرف، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، فذٰلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة».

وإنَّ الكلام يذاق كما يذاق الطعام، فكلما كان التنسيق والتلاؤم موجودًا في الكلام؛ حسن في الذوق.

ويرى الرافعي أن المراد بالتلاؤم، أن: تكون نغمات الحروف متلائمة بعضها مع بعض في الكلمة، والكلمات يتألف نغمها بعضها مع بعض في الجمل، والجمل يتألف بعضها مع بعض في القول كله، كما نرىٰ في القرآن الكريم، فإنَّ الآية تتضافر ألفاظها في نغم هادئ إن كانت الآية في تبشير، أو داعية إلى التأمل والتفكير إن كانت في عظة، وتتلاءم نغماتها قوية إذا كانت في إنذار، أو في وصف عذاب[1].

تطبيقات قرآنية على الإعجاز في نظم حروف القرآن:

اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١-١٠].

إنك تسمع في هٰذه الآيات الكريمات، وهي إنذار بما يكون يوم القيامة، وما يستقبل الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، من عذاب شديد يترقبهم -تسمع في الجرس قوة شديدة قارعة لأسماع الذين يشركون، ويكفرون بالله تعالىٰ، ويفسدون ويعتدون، ويظلمون،

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد أبو زهرة، ص ٢١١.

ويشترك في جرس الترهيب الألفاظ بحروفها، والجمل بكلماتها، والخواتم بشدة جرسها، وقرع الأسماع بها.

ثم اقرأ في سورة الضحى جرس الرحمة الواسعة، إذ يقول سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١-١١]، [الضحى كلها].

وانظر إلى الآيات الداعية إلى التأمّل في الكون، وما فيه من أمور هادية تجد فيها الجرس الهادئ اللافت الموجّه من غير قرع للأسماع، بل بتوجيه للأفهام، اقرأ في سورة الغاشية.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ١٧-٢٦].

وإنك تسمع في هذا النص المبين أنه قد اجتمع التأمل ذو الجرس الهادئ الموجه من غير عنف، الذي يسترعي الأسماع ويصرف الأنظار، واجتمع الإنذار الشديد القوي، ولم يكن ثمة تنافر بين الإنذار الشديد، والتأمل السديد، بل كان الانتقال من مقام إلى مقام لا يبدو فيه التباين، وإن كان المقام الثاني إنذارًا؛ ذلك لأن الإنذار كالثمرة للتوجيه بالنسبة لمن لم تهده الآيات، وتوجهه النظرات إلى الكون وما فيه.

وإنك إذ تنظر في وصف الجحيم تجده في جرس كأنما يخرج منه ريح السموم، وإن وصف الجنة تجد في جرسه أصواتًا حلوة كأنها روح وريحان؛ لأنها جنة، واقرأ بعض السورة التي تلونا منها آنفًا، وصفًا للجحيم ووصفًا للنعيم، فإنك واجد لا محالة الفرق.

والتلاؤم ضد التنافر، وعرّفه الرماني، فقال: «التلاؤم نقيض التنافر، وهو تعديل الحروف في التأليف، والتأليف: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا»(١)، ثم يضرب الأمثلة على التنافر الذي هو ضد التلاؤم، ثم يذكر أنَّ التلاؤم الذي يكون في الدرجة الوسطى هو التلاؤم الذي يكون في كلام البلغاء وأهل الفصاحة من الناس، أمَّا التلاؤم في الطبقة العليا فإنه لا يكون إلَّا في القرآن الكريم.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، للرماني (ص: ٩٤).

ويستفاد من هٰذا الكلام أنَّه يرجع السبب في علوِّ التلاؤم في القرآن كله إلى التعديل بين الحروف بأن تكون الحروف متلاقية في النطق، فليس فيها تباعد في المخارج شديد، بحيث يصعب الانتقال من مخرج إلىٰ مخرج، ولا التقارب الشديد الذي يجعل بعض الحروف يندغم في بعض.

وإنَّ ذٰلك ينطبق على النطق، فالتعديل في المخارج بالبعد عن الاختلاف الشديد أو القرب الشديد، إنما هو يتعلق بالنطق، وإنك بلا ريب تجد ألفاظ القرآن الكريم وجمله بعيدة عن هٰذا كل البعد، بل إنه المثل الأعلىٰ في ذٰلك.

وإن التلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم وجمله وآياته ومواضع الوقف فيه ليس في المخارج فقط، بل هو فيما هو أعلىٰ من ذٰلك، إنما هو في جرس القول و[أثره في النفس]، فلا تجد حرفًا ينشز... عن أخيه، ولا الكلمة عن أختها، ولا الجملة عن لاحقتها، والآية كلها تكون مؤتلفة [الجرس] في الغرض الذي سيقت له، فإن كان إنذارًا كان النغم إرعادًا، وإن كان تبشيرًا كان نسيمًا، وإن كان عظة كان تنبيهًا، وإن كان تفكيرًا كان توجيهًا لافتًا عمَّا سواه، وهٰكذا[(١)].

ثانيًا- نظم كلمات القرآن وإعجازه، وتطبيقات قرآنية عليه:

للكلمة في القرآن الكريم قيمةٌ عظيمة، وأهمية كبرىٰ؛ فالكلمة هي الأصل الذي يدور عليه المعنىٰ، فإذا جاءت الكلمة في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، فهي عين الإصابة والبلاغة.

واختيار المفردات في القرآن الكريم من أسرار إعجازه، ومن عجائبه التي لا تنفد؛ لذٰلك تجد كلَّ كلمة في القرآن لا يصلح غيرها في مكانها، فكل كلمة تأتي في مكانها المناسب لها، فلو غُيِّر موضعها بتقديم أو تأخير أو جمع أو تثنية أو إفراد؛ لتأثر المعنىٰ، ولم يؤد ما أريد منه، وكذٰلك لو جيء مكانها بكلمة أخرىٰ ترادفها لم تقم بالمطلوب أبدًا، ولو أُدير لسان العرب علىٰ كلمة غيرها لتؤدي معناها في مكانها؛ لأن معناها في هٰذا الموضع الذي وضعت فيه أمر يقتضيه السياق والحال[(٢)]. وقال ابن القيم: «أسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين»اهـ[(٣)].

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد أبو زهرة، ص ٢١١- ٢١٣.

(٢) من أسرار الكلمات في القرآن الكريم، للدكتور طارق السيد الطبل- مقال منشور في موقع طريق الإسلام..

(٣) جلاء الأفهام (ص: ١٨٠).

ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه، وطريق يأخذ فيه، وباب يتهجم عليه، ووجه يؤمه، على ما وصفه الله تعالى به - لا يتفاوت، كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. ولا يخرج عن تشابهه وتماثله، كما قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]. وكما قال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]. ولا يخرج عن إبانته، كما قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وغيره من الكلام كثير التلون، دائم التغير، والتنكر، يقف بك على بديع مستحسن، ويعقبه بقبيح مستهجن، ويطلع عليك بوجه الحسناء، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء، ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلئ الزهر. وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم، وقد يقع إليك منه الكلام المشبج، والنظم المشوش، والحديث المشوه. وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه، ولا يتآلف ولا يتماثل وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى:

وشعر كبَعْرِ الكبش فَرّقَ بينه لسانٌ دعيٌّ في القريض دخيل[(١)]

تطبيقات قرآنية على الإعجاز في نظم كلمات القرآن:

وإليك بعضَ النماذج التي تبين مدى دقة التعبير، وبلاغة التركيب، وبراعة النَّظم، في اختيار المفردات في القرآن الكريم.

انظر إلى قوله - تعالى - حكاية عن إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧].

فاستعمل (أكله) الشائع الاستعمال، دون (افترسه) الفصيح المختار، والذي هو مِن فعل السَّبُع ونحوه، وما ذلك إلا أنَّ الافتراس لا يؤدي تمام المعنى؛ لأن معناه القتل فحسب، والقوم إنما أرادوا أن الذئب أتى عليه كله، ولم يترك منه شيئًا، لا لحمًا، ولا عظمًا، ولو قالوا: (افترسه الذئب)، لطالبهم أبوهم ببقية منه، تشهد بصحة دعواهم؛ ولهذا لم يصلح في هذا الموضع إلا أن يعبِّروا عنه بلفظ (الأكل)، وهو شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع.

كذلك نرى قوله ﷻ حكاية عن إحدى المرأتين اللتين سَقى لهما سيدُنا موسى -عليه السلام-:

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٠٥، ٢٠٦).

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: ٢٥]، فاستخدم القرآن (تمشي) دون (تسعىٰ) التي هي أفصح وأخص؛ وذٰلك أن القرآن العظيم إنما أراد أن يبيِّن ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من وقار وسكينة في مشيتها، دون عجل يثير الغرائز، ويوقظ الفتن، ولفظة (تمشي) هي الأقرب لهٰذا المعنىٰ؛ لأنها تدل علىٰ أنها أتتْ على العادة المعهودة للمرأة من السكينة وحسن الأدب، بخلاف (تسعىٰ) التي تدل على السرعة والعجلة، فإنك تقول: مشيت إلىٰ فلان، إذا لم تكن علىٰ عجلة من أمرك، بخلاف سعيت إليه.

وانظر كذٰلك إلىٰ قوله تعالىٰ عن موسىٰ ﷺ لما أراد الخروج من المدينة، بعد افتضاح أمره، بقتل رجل من آل فرعون؛ قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، فاستعمل الاسم مع الخوف، والفعل مع الترقب، ولم يقل: يخاف يترقب، أو خائفًا مترقبًا؛ وذٰلك لأن المعنىٰ لا يستقيم مع حال سيدنا موسىٰ، إلا بما ورد في القرآن الكريم؛ لأن التعبير بالاسم (خائفًا) يدل على الدوام والثبوت، والخوف إنما كان ملازمًا لموسىٰ لا ينفك عنه، أما الترقب (يترقب)، فإنه يقع مرة بعد مرة، كلما مشىٰ في طريقه؛ ولذٰلك عبَّر بالفعل المضارع (يترقب)، الذي يدل على التجدُّد والحدوث.

وانظر إلىٰ قوله – تعالىٰ –: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾ [ص: ٦]، فقد زعموا أن المشي في هٰذا ليس بأبلغ الكلام، ولو قيل بدل ذٰلك: أن امضوا، أو انطلقوا، لكان أبلغ وأحسن، ولو تأملنا حال القوم، وسياق الآية، لوجدنا الأمر علىٰ خلاف ما زعموا؛ بل المشي في هٰذا المحل أولىٰ، وأشبه بالمعنىٰ؛ وذٰلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية، ولزوم السجية المعهودة، من غير انزعاج منهم وانتقال عن الأمر الأول[1].

والمشي هو الملائم لهٰذا المعنىٰ، وكأنهم قالوا: امشوا علىٰ هيئتكم المعهودة، ولا تبالوا بهٰذا الأمر، ولا تعيروه اهتمامًا منكم، وفي قوله: امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج، ليس في قوله: امشوا.

وتأمل اختيار لفظ (آنست) علىٰ (أبصرت) في حديث القرآن عن سيدنا موسىٰ عليه السلام؛ يقول سبحانه: ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: ١٠]، وقد تظن أن الموقف يستدعي أو يطلب (أبصرت) دون (آنست)، وليس الأمر علىٰ ما ترىٰ؛ لأن حال سيدنا موسىٰ من الخوف، والفزع، والمجهول الذي يلاقيه أثناء سفره؛ أدعىٰ إلى الإيناس والطمأنينة،

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم: (ص: ٤٣).

وهو ما يقوم به لفظ (آنست)؛ فإنه ليس مجرد الإبصار فحسب؛ ولكن يزيد عليه بالطمأنينة المؤنسة، (وآنست) تدل على الاطمئنان والأنس معًا.

وتأمل منهج القرآن الكريم في استخدام الفعلين (فعل - عمل)، مع أنهما شديدا التقارب، إلا أن القرآن يستخدم كلًا في موضعه استخدامًا عجيبًا، ويستعملهما استعمالًا بديعًا.

فـ(عمل) في القرآن تأتي لما يمتد زمانه، كما أنها لم تُسند إلى الله تعالىٰ أو إلى اسم من أسمائه؛ وذلك لأنها تحتاج إلىٰ تفكُّر وتعمل، ومقارنة بين الفعل والترك، وتقلب النظر في الصورة، واختيار ما يهدي إليه النظر فيها، والله سبحانه وتعالىٰ لا يخفىٰ عليه شيء، ولا يلتبس عليه أمر من الأمور[1].

ومن ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر: قوله - تعالىٰ -: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]. وقوله - سبحانه -: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أما مادة (فَعَل)، فإنها تكون لما يقع دفعة واحدة، ولا يحتاج إلىٰ إعمال فكر؛ ولهذا أسندت إلى الله ﷻ في كثير من استعمالاتها في القرآن، خذ مثلًا قوله - تعالىٰ -: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وانظر إلى استعماله لفظي (الجهاد والقتال)، تجد ما يملؤك روعة وبيانًا؛ فـ(الجهاد والقتال) وإن ترادفا في المعنىٰ، إلا أن القرآن يفرِّق بينهما؛ فالجهاد أوسع دائرة من القتال، وهو يصدق علىٰ نشاطات الدعوة كلها، كما يشمل كل عمل يؤدِّيه المؤمن، من شأنه إعلاء دين الله، فيجاهد نفسه وأهله؛ لينأىٰ بهم عن النار.

أما القتال، فهو أخص من الجهاد، ولا يستعمل إلا في إعلاء كلمة الله، ومع الذين يقاتلوننا، ونجده مشروطًا بعدم الاعتداء والتجاوز.

من آيات الجهاد قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

---

(١) دراسات جديدة في إعجاز القرآن الكريم، د.عبد العظيم المطعني: (ص:١٣١).

فسمَّى الدعوة إلى الله جهادًا؛ لما فيها من تحمُّل الجهد والمشقة.

ومن آيات القتال قوله تعالى: ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]. ﴿وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: ٧٤]. ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠].

كذلك فرق القرآن بين الفعلين (أفوض - وأتوكل)، فنجد الفعل أفوض يأتي حيث لا تنفع الأسباب، ولا تُجدي الحيلة؛ قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]. بينما الفعل (أتوكل) يأتي مع وجود الأسباب ورجاء نفعها؛ قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

كذلك فرق القرآن في الاستعمال بين الجسد والجسم؛ فالأول يكون للميت، والثاني للحي، وبين (القَسَم والحلف)؛ فالقسم يكون لمطلق اليمين، بينما الحلف يكون للحنث في اليمين، وبين (جاء وأتى)؛ فالمجيء يكون من مكان أو زمان قريب، بينما الإتيان يكون في حال المكان والزمان البعيد.

كما استعمل بعض الكلمات مفردة، وإذا جمعها جاء لها بجمع من غير جنسها؛ كالصراط مفرد، وإذا جمع قيل: سُبل، والنهار مفرد، وإذا جُمع قيل: أيام، واستعمل النور مفردًا في القرآن كله؛ لأنه واحد لا تعدد فيه؛ إذ المراد به الهدى، بينما استعمل الظلمات جمع؛ لأنها متعددة؛ إذ المراد بها الضلال، وطرق الضلال شتى.

وهكذا نجد استعمالًا فريدًا للمفردات في القرآن، وتحديدًا دقيقًا، ولا عجب؛ فهو «لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليه مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نَظمهم ونَثرهم»[1][2].



(١) المفردات، للراغب الأصفهاني: (ص: ١٠).

(٢) النماذج التي تبين مدى دقة التعبير، وبلاغة التركيب، وبراعة النَّظم، في اختيار المفردات في القرآن الكريم، من مقال: «من أسرار الكلمات في القرآن الكريم»، للدكتور طارق السيد الطبل- وهو منشور في موقع طريق الإسلام.

خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٢-٥)

* النظم القرآني: هو ترتيب الكلمات ترتيبًا مخصوصًا، بحيث تؤدي المعنى المراد على أكمل وجه، وتكون متلائمة مع بعضها في ترابط وثيق، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، بحيث يكون كل لفظ موضوعًا في مكانه، ولو وضع غيره في مكانه لم يصح.

* نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم.

* من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم افتتاح بعض السور بالحروف المقطعة، على طريقة لم تبتكر قَبْل كتاب الله -عز وجل- ولم يستخدمها العرب في أساليبهم وشعرهم ونثرهم وسجعهم، وما ذهبوا إليه من فنون الكلام.

* الخلق عاجزون عن معارضة ما ذُكِرَ في أوائل السور من الحروف المقطعة بمثله، مع أنه من الحروف التي يتخاطبون بها.

* كل سورة افتُتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وعظمته.

* مخارج الحروف في نظم القرآن متلائمة مؤتلفة، وبينها انسجام في النّغَم، وتآخي النغم في الألفاظ والحروف يعدُّ من حلاوة الكلام ومحسناته.

* يرجع السبب في علوِّ التلاؤم في القرآن كله إلى التعديل بين الحروف بأن تكون الحروف متلاقية في النطق، فليس فيها تباعد في المخارج شديد، بحيث يصعب الانتقال من مخرج إلى مخرج، ولا التقارب الشديد الذي يجعل بعض الحروف يندغم في بعض.

* التلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم وجمله وآياته ومواضع الوقف فيه ليس في المخارج فقط، بل هو في النغم، وجرس القول.

* اختيار المفردات في القرآن الكريم من أسرار إعجازه، ومن عجائبه التي لا تنفد؛ لذلك تجد كلَّ كلمة في القرآن لا يصلح غيرها في مكانها، فكل كلمة تأتي في مكانها المناسب لها.

* نظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه، وطريق يأخذ فيه، ووجه يؤمه، على ما وصفه الله تعالى به؛ لا يتفاوت، ولا يخرج عن إبانته.

أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٢)

١- ما معنى نظم القرآن؟

٢- بيِّن وجه الإعجاز في نظم حروف القرآن؟

٣- وازن بين نظم الكلمات في القرآن وفي غيره من الكلام.



ثالثًا- الفاصلة القرآنية وإعجازها، وتطبيقات قرآنية عليها:

الفاصلة لغة: هي ما يفصل بين شيئين[١].

واصطلاحًا: هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.

وتسمّىٰ فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذٰلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسمّوها أسجاعًا، فأما مناسبة تسميتها فواصل، فلقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣] وأما تجنّب أسجاع، فلأنّ أصله من سجع الطير؛ فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس، ولأن القرآن من صفات الله ﷻ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها، وإن صح المعنىٰ[٢]. وذٰلك بناء علىٰ أن معنى الآية: «نزل نجومًا، لم ينزل مرة واحدة» أو «فُصِّلَتْ آياته بالمواقف وأنواع أواخر الآي» وإلا فالمراد بالتفصيل في الآية أصلاً: التبيين؛ أي: بيِّنت آياته ووضحت، وليس المراد جعله ذا فواصل.

والفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار نظمه ووصفه. وأبرز ما يكون هٰذا التجلي في ذٰلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذٰلك الجمال اللغوي الآسر، الذي بزّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارىٰ لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا بيان القرآن الكريم ونظمه ولغته.

وتختلف الفاصلة القرآنية عن قافية الشعر؛ فقافية الشعر كان يؤتىٰ بها غالبًا محسنًا لفظيًا لإتمام الكلام، حتىٰ وإن أقحمت إقحامًا، وخرجت عن سياق الكلام، وكثيرًا ما يضطر الشاعر إلىٰ ذٰلك.

أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطًا محكمًا، بل هي مفصحة عن معان زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب، كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان[٣].

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (٢/ ٦٩٨).

(٢) وأرىٰ أن الخلاف في ذٰلك أقرب إلى الخلاف اللفظي، وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٧٠)، والبرهان للزركشي: (١/ ٨٣).

(٣) معجم علوم القرآن: (ص: ٢٠٩).

فالفاصلة القرآنية لم تأتِ لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وهو ما يُعبَّر عنه بمراعاة الفاصلة. إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع [النظم](١).

و«من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام، وقوة تعطّف الكلام عليها، كأنهما معاً جملة مفرغة يسري فيها روح واحد، و[جرس] واحد ينحدر إلى الأسماع انحداراً، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها لتتمم معناه، حتى لتبلغ من وقوعها موقعها، واطمئنانها في موضعها؛ أنها لو حذفت؛ لاختل معنى الكلام، واضطرب فهمه، واستغلق بيانه، ولو سُكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الملهم والذوق السليم.

بل قد يبلغ من تعيّنها في مكانها وفرض نفسها عليه: أنها لو بدّل بها غيرها لأدرك السامع الحصيف الثاقب الفطنة أن كلاماً غريباً ينقصه التناسب حلّ محلها، فأنكر ذلك سمعه وضاق به صدره؛ من ذلك أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤] قرأها بفتح الكاف، فقال الأعرابي: لا يكون!! فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء؛ فقال: يكون»(٢).

وقد قال الزركشي: «من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة: مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله؛ فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض.

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب»(٣).

وهذه الدراية هي التي تبيّن تمكّن الفاصلة من موقعها، وتنفي الترادف عن بعض الكلمات.

---

(١) إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس: (ص: ٢١٨)، وهذا ما قررته أيضًا د. عائشة عبد الرحمن في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن).

(٢) صور البديع، فن الأسجاع، علي الجندي (٢/ ١٩٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٨).

فلا يُقال: لا بأس لو خُتمت الآية بـ (الرءوف) بدلاً من (الرحيم)، فالكلمتان تدلان على الرحمة! وقد قرر العلماء أن الكلمة أو الفاصلة مختارة ومقصودة دون غيرها من الكلمات التي قد يُظن بها الترادف...

وتأخذ الفاصلة القرآنية في الآيات الطويلة -سواء أكانت في السور الطوال أم القصار أم المتوسطة الطول والقصر- سمة الاستقلال بمعنى أنها تأتي بعد تمام معنى أو معان رئيسية في الآية، فتكون تعليقًا عليها، وتؤدي حينئذ وظيفة التعليل أو الإنكار، أو التوكيد أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح، وهي غالبًا ما تكون في هذا النوع جملة مستوفية الأركان، ويغلب عليها أن تكون اسمية.

أما في الآيات القصيرة، سواء أكانت في السور الطوال أم القصار، أم المتوسطة الطول والقصر، فتكون كلمة مكملة لمعنى الآية التي هي فيها معمولة من حيث الحكم النحوي لعامل فيها. وليس لها سمة الاستقلال؛ لأنها ليست جملة، وقد تكون جملة قصيرة خاطفة، فعلية أضمر فيها فاعلها. ويغلب مجيء هذه الفواصل في السور القصار مما يسمونه «قصار المفصل» وما قارب ذلك.

ولعل السر البياني في أن نظام الفواصل على هذا النحو ما يلي:

أولاً: أن السور القصيرة تشتمل على آيات قصيرة كذلك، والآية القصيرة تهدف إلى بيان معنى واحد أو عدة معان سريعة التصور والإدراك، وهي بذلك ليست مجالًا لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها، ومن هنا فإن الفكرة الأساسية تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية تلك الفكرة الخاطفة الموجزة.

أما في الآيات الطوال -كما في آية التداين من سورة البقرة- فإن الفكرة فيها ذات أصول وفروع، وهي أصل من أصول التشريع عالجت مشكلة كثيرًا ما تحدث للناس فلم تترك فيها ثغرة أو تهمل جانبًا، ومثل هذه المعاني المتشابكة حريٌّ بأن يعقب بجملة أو أكثر تؤكد تلك المعاني أو تحثُّ عليها. أو توبخ المخالفين لها.

ويؤيد هذه الفكرة أن الغالب في الآيات القصار أن سورها مكية النزول، وللقرآن في مكة مجال غير مجاله في المدينة؛ فالقرآن المكي كان يهدف إلى محاربة الضلال في العقيدة والسلوك فجاء بموضوعات تخدم هذا الغرض من التبشير والإنذار. والترغيب والترهيب.

لذلك كانت آياته قصيرة العبارة حادة سريعة [شديدة] الوقع، وفي المدينة كان مجاله التشريع وإرساء قواعد المجتمع الإنساني من حيث العبادات والمعاملات والأخلاق الإنسانية فاتجهت سوره وآياته إلى الطول والاستقصاء إلا أن يخاطب اليهود أو المنافقين فيكبر، والدعوة إلىٰ الإسلام في بدء أمرها كانت لا تطلب من الناس وقوفًا طويلًا لتأملها فساقت لهم الإرشاد والتوجيه الإلهي في سور وآيات قصار لسهولة فهمها وسرعة استيعابها؛ لأنه كان بصدد تربية أمة خالية من أسس التربية القويمة؛ فخاطبتهم بأوضح العبارات، وأوجز المعاني، كما يُفعل الآن في تربية النشء حيث يتدرج معهم المربي من تصور وإدراك الحرف الواحد إلى الكلمة الواحدة السهلة التركيب إلى الجملة القصيرة، وما يزال يرقىٰ بهم من طور إلىٰ طور حتىٰ يصل بهم إلىٰ فهم الفقرات ودراسة النصوص، والمتأمل في قصار السور المكية يتبين هٰذه الحقيقة دون ما شك أو ريب، وسبحان الله إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧][(١)].

تطبيقات على الإعجاز في الفاصلة القرآنية:

ونضرب بعض الأمثلة لبيان الإعجاز والبلاغة في استخدام الفاصلة القرآنية، اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. قد تتساءل: لماذا لم تنته الآية «فإنك أنت الغفور الرحيم»، مع أن السياق يوحي بالغفران؟

ولكن إذا ما أمعنت النظر في الآية وجدت أن الذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من كانت سلطته أعلى السلطات، وقوته أعظم القوىٰ، وعزته فوق كل عزة. ومن كان كذٰلك وجب أن يكون متصفًا بالحكمة التي يرفضها العقل والمنطق السليم، وينأىٰ عنها الحمق والتسرع والظلم والتهور.

وإذا وجدت الفاصلة جاءت بالعزة مقرونة بالحكمة، فاعلم أن القادر على العقاب عزيز دائمًا، ولٰكن ليس كل عزيز عادلاً، فكم من ملوك وحكام ورؤساء ومن بيدهم سلطان على الناس في هٰذه الدنيا ملكوا العزة إلا أنهم فقدوا الحكمة التي يسندها العدل والعقل والسلوك المستقيم.

أفلا تجد الآن أن ربط الحكمة بالعزة تعبير رائع، وتصوير جامع، وبيان قاطع لخالق عزيز حكيم؟![(٢)]

---

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٣٥-٢٤٤).

(٢) التعبير الفني في القرآن، للدكتور بكري شيخ أمين- دار الشروق(ص: ٢٠٢).

رابعًا- إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره، وتطبيقات قرآنية عليه:

لم ينزل القرآن جملة واحدة ولم ينزل مرتبًا حسب ترتيب المصحف[١] الآن، بل كان ينزل مفرقًا حسب الوقائع والأحداث والأسئلة، خلال ثلاث وعشرين سنة، ومع هٰذا كله نجد أنه متناسب الآيات والموضوعات والسور فكأنه وحدة موضوعية واحدة، ولقد أشار العلماء إلىٰ ذٰلك، قال ابن تيمية أثناء كلامه عما تضمنته سورة البقرة إجمالًا: «فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض، وكيف ذكر أحكام الحج فيها في موضعين: مع ذكر بيته وما يتعلق بمكانه[٢]، وموضع ذكر فيه الأهلة فذكر ما يتعلق بزمانه[٣].

وذكر أيضًا القتال في المسجد الحرام[٤]، والمقاصة في الشهر الحرام[٥]، لأن ذٰلك مما يتعلق بالزمان المتعلق بالمكان، ولهٰذا قرن سبحانه ذكر كون الأهلة مواقيت للناس والحج.

وذكر أن «البر» ليس أن يشقى الرجل نفسه، ويفعل ما لا فائدة فيه من كونه يبرز للسماء؛ فلا يستظل بسقف بيته حتىٰ إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلا من ظهره، فأخبر أن الهلال الذي جعل ميقاتًا للحج شرع مثل هٰذا[٦]، وإنما تضمن شرع التقوىٰ، ثم ذكر بعد ذٰلك ما يتعلق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلق بالأموال والصدقات والربا والديون وغير ذٰلك.

---

(١) ترتيب الآيات في السور كان بتوقيف من النبي ﷺ، ولا خلاف في ذٰلك، كما في البرهان للزركشي (١/ ٢٥٦)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٩٤)، واختلف العلماء في ترتيب سور القرآن: هل هو توقيفي أو اجتهادي أو فيه تفصيل؟ قال الزركشي: والخلاف يرجع إلى اللفظ، لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذٰلك؛ لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهٰذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن علىٰ ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ، مع قوله -أي مالك- بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلىٰ أنه هل ذٰلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي؟ وهٰذا الرأي هو الذي رجحه أبو جعفر بن الزبير وأبو جعفر النحاس وأبو بكر بن الأنباري وابن حجر وابن الحصار. انظر: البرهان للزركشي: (١/ ٢٥٧-٢٦١)، والإتقان للسيوطي: (١/ ١٧٦-١٧٩).

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١].

(٥) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٦) هٰكذا في المطبوع، ولعل الصواب «لم يشرع لمثل هٰذا» كما يدل عليه الكلام.

ثم ختمها بالدعاء العظيم المتضمن وضع الآصار[١] والأغلال[٢] والعفو والمغفرة والرحمة، وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شرعه من الدين في كتابه المبين. والحمد لله رب العالمين»[٣]. اهـ.

وهذا مثال ظاهر في تناسب الآيات، وأما تناسب السور فيقول فيه ابن تيمية ﷺ: «السور القصيرة في أواخر المصحف متناسبة، فسورة (اقرأ) هي أول ما نزل[٤] من القرآن، ولهذا افتتحت بالأمر بالقراءة، وختمت بالأمر بالسجود، ووسطت بالصلاة التي أفضل أقوالها وأولها بعد التحريم هو القراءة، وأفضل أفعالها وآخرها قبل التحليل هو السجود، ولهذا لما أمر بأن يقرأ؛ أُنزل عليه بعدها المدثر؛ لأجل التبليغ، فقيل له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢] فبالأولىٰ صار نبيًا، وبالثانية صار رسولًا، ولهذا خوطب بالمدثر، وهو المتدفئ من برد الرعب والفزع الحاصل بعظمة مادهمه[٥] لما رجع إلىٰ خديجة ترجف بوادره[٦]، وقال: دثروني دثروني، فكأنه نهىٰ عن الاستدفاء، وأمر بالقيام إلى الصلاة، فلما أمر في هذه السورة بالقراءة ذكر في التي تليها نزول القرآن ليلة القدر، وذكر فيها تنزل الملائكة والروح، وفي المعارج عروج الملائكة والروح،

---

(١) الإصر: العهد الثقيل، وقيل: الأصر: عقوبة الذنب التي تشق علينا. اللسان: (٤/ ٢٢).

(٢) الأغلال: جمع غل وهو جامعة توضع في العنق أو اليد، والمراد الأعمال التي هي كالأغلال وهي أيضًا مؤدية إلىٰ كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة. اللسان: (١١/ ٥٠٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ: (١٤/ ٤٦-٤٧).

(٤) الحديث عن عائشة ﷺ قالت: «أول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتىٰ بلغ الجهد مني ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده...» الحديث.
أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي: (١/ ٢٢ (الفتح)، وفي كتاب التفسير: (٨/ ٧١٥)، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ: (١/ ١٣٩).

(٥) قال في اللسان: الدثار الثوب الذي يستدفأ به من فوق الشعار. اللسان: (٤/ ٢٧٦).

(٦) البوادر: جمع بادرة وهي من الإنسان: اللحمة التي بين المنكب والعنق.
اللسان: (٤/ ٥٠)، والقاموس المحيط: (ص: ٤٤٣).

وفي النبأ قيام الملائكة والروح، فذكر الصعود والنزول والقيام، ثم في التي تليها[(١)] تلاوته على المنذرين حيث قال: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣].

فهذه السور الثلاث منتظمة للقرآن أمرًا به، وذكرًا لنزوله، ولتلاوة الرسول له على المنذرين، ثم سورة (الزلزلة) و(العاديات) و(القارعة) و(التكاثر) متضمنة لذكر اليوم الآخر ومافيه من الثواب والعقاب، وكل واحد من القرآن واليوم الآخر قيل هو النبأ العظيم[(٢)].

ثم سورة (العصر) و(الهمزة) و(الفيل) و(لإيلاف) و(أرأيت) و(الكوثر) و(الكافرون) و(النصر) و(تبت) متضمنة لذكر الأعمال حسنها وسيئها، وإن كان لكل سورة خاصة.

وأما سورة (الإخلاص) و(المعوذتان) ففي الإخلاص الثناء على الله، وفي المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أم القرآن المقسومة بين الرب والعبد: نصفها ثناء للرب، ونصفها دعاء للعبد[(٣)]، والمناسبة في ذلك ظاهرة، فإن أول الإيمان بالرسول الإيمان بما جاء به من الرسالة، وهو القرآن، ثم الإيمان بمقصود ذلك وغايته، وهو ما ينتهي الأمر إليه من النعيم والعذاب، وهو الجزاء، ثم معرفة طريق المقصود وسببه وهو الأعمال: خيرها ليُفْعل، وشرها ليُترك.

ثم ختم المصحف بحقيقة الإيمان وهو ذكر الله ودعاؤه، كما بنيت عليه أم القرآن، فإن حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق، والمنطق قسمان: خبر وإنشاء[(٤)]، وأفضل الخبر وأنفعه وأوجبه ما كان خبرًا عن الله، كنصف الفاتحة وسورة الإخلاص، وأفضل الإنشاء الذي هو الطلب وأنفعه وأوجبه ما كان طلبًا لله، كالنصف الثاني من الفاتحة والمعوذتين». اهـ[(٥)].

---

(١) أي تلي سورة القدر.

(٢) انظر: زاد المسير: (٩/ ٤).

(٣) كما في حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي...» الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث: (١/ ٢٩٦).

(٤) الخبر: كلام يحتمل التصديق أو التكذيب. الإنشاء كل كلام اقترن معناه بلفظه، وقيل غير ذلك. انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي: (١/ ٣١٩).

(٥) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٧٧-٤٧٩).

وهناك مناسبات عامة وخاصة يذكرها المفسرون(١)، ويتلمسها العلماء عمومًا؛ ولذلك قال الرازي في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]: «اعلم أن الأمانة: عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق، فأديت ذٰلك الحق إليه؛ فهٰذا هو الأمانة، والحكم بالحق: عبارة عما إذا وجب لإنسان علىٰ غيره حق، فأمرت من وجب عليه ذٰلك الحق: بأن يدفعه إلىٰ من له ذٰلك الحق، ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره، لا جرم أنه تعالىٰ ذكر الأمر بالأمانة أولاً، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق، فما أحسن هٰذا الترتيب، لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط». اهـ.

من أنواع المناسبات في القرآن:

- المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية، كما في آيات الاستئذان في سورة النور حين أعقبها بالأمر بغض البصر، فإن الاستئذان إنما جعل من أجل ألّا يقع بصر المستأذن علىٰ عورة، ولو صادف أن وقع فإن على المستأذن أن يغض بصره، والعلاقة بين الحكمين بيّنة؛ إذ فيهما ذكر ما تكون به العفة وحفظ العورات في المجتمع المسلم، وذٰلك يقطع الاشاعات والرمي بالفاحشة، ويسد أبواب الوقوع في الفاحشة.

- مناسبة اسم السورة ومضمونها، وذٰلك كما في سورة الكهف؛ فإن فيها ذكر أنواع الفتن التي تمر بالمرء كفتنة الدين، وفتنة الجلساء، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة القوة، فكانت السورة كهفًا لمن اعتصم بها من تلك الفتن، مع تضمنها لقصة أهل الكهف ابتداءً.

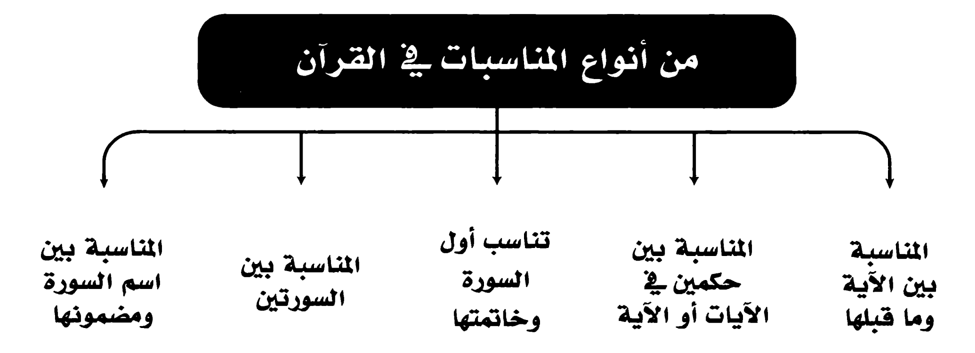
- تناسب أول السورة وخاتمتها، كما في سورة البقرة حيث مدح الله المؤمنين بالإيمان بالغيب في أول السورة وبين صفة ذٰلك ونتيجته آخر السورة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، الآية فالرسول ﷺ والمؤمنون معه متقون امتثلوا تلك الصفات. وفي سورة المؤمنون افتتح بذكر فلاح المؤمنين، واختتمها بنفي فلاح الكافرين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

---

(١) قال الزركشي في «البرهان» (١/ ٣٦): في معرفة المناسبات بين الآيات: «وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»، وقد ذكرنا قوله في سياقه عقب الإحالة علىٰ هٰذه الحاشية.

- المناسبة بين السورتين، كما في سورة الضحى التي تضمنت ذكر النعم الحسية على رسول الله ﷺ، وسورة الشرح التي تضمنت نعمًا معنوية كذلك[1]. ومنه مناسبة سور (حم): (غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف) سبع سور؛ تتناول الحديث عن صفات الله تعالى والقرآن الكريم.

ومن عرف بعض هذه المناسبات تبين له عظيم شأن القرآن الكريم، وإن لم يدرك ذلك في كل موضع فيه.



المطلب الثاني: بلاغة القرآن، ومخالفة نظمه لجميع كلام الناس:

إعجاز القرآن الكريم بلفظه من أهم وجوه إعجازه، لأنه يتعلق بالقرآن في بنيته اللغوية لا ينفك عنها، ولا يرتبط -كما سيأتي بيانه في وجوه أخرى- بحال المنزل عليه، أو حال المخاطبين، أو الزمان، ومن ثم كان هذا الوجه أول ما تناوله العلماء بالبحث، وكان قدرا مشتركًا بينهم في الحديث عن الإعجاز، كما أفردوه بالتصنيف مثل الباقلاني في (إعجاز القرآن) والجرجاني في دلائل الإعجاز، والرافعي في (إعجاز القرآن) ومحمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) وجعلوه أكثر الأوجه بيانًا؛ إذا تكلموا فيه مع غيره، ولهذا أيضًا كان حقيقًا بالبدء به، وجعله في صدارة وجوه الإعجاز.

وبداية نقول: إنه لم يبلغ نمط من أنماط كلام العرب فيما قالوه شعرًا أو نثرًا، أيًا كانت قوته بلاغة وفصاحة أن يكون قريبًا من بلاغة القرآن وفصاحته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) من مقال: «علم المناسبات في القرآن»، منشور في الإنترنت.

«ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هٰذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق»[١]. فقد بلغ القرآن في مضمار البلاغة والفصاحة الطرف الأعلىٰ، وهو ما يمكن أن نسميه حدَّ الإعجاز، لأن هٰذا كان الميدان الذي تحدَّى القرآن فيه العرب، وهم فرسانه، ولقد اطرد هٰذا التفوق اللغوي في القرآن سورة سورة، وآية آية، ومن ثم كان التحدي فيه أن يأتوا بسورة من مثله مما ينطبق علىٰ طويل السور وقصيرها.

وأصدق دليل علىٰ هٰذا الإعجاز موقف مَن تحدَّاهم القرآن من فصحاء العرب من هٰذا التحدي عجزًا واستسلامًا مع حرصهم علىٰ تكذيب القرآن، وللقاضي عياض في ذٰلك عبارات جامعة تذكر جانبًا من هٰذا الموقف في العجز، والاعتراف بإلهية القرآن- رغم الجحود والكفر- وأمثلة يسيرة تشهد لذٰلك نذكرها بنصها لتمام الفائدة.

قال ﵀: «فلم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وإياهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هٰذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والإغراء بالافتراء، وقولهم: إن هٰذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهتة والرضىٰ بالدنيئة كقولهم: قلوبنا غلف، وفي أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهٰذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تغلبون، والادعاء مع العجز بقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هٰذا، وقد قال لهم الله «ولن تفعلوا» فما فعلوا ولا قدروا، ومن تعاطىٰ ذٰلك من سخفائهم كمسيلمة؛ كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف علىٰ أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولّوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون، ولهٰذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]. الآية قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هٰذا بشر[٢]، وذكر أبو عبيد «أن أعرابيًا سمع رجلا يقرأ:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٣٣).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٥٥٠) وغيره عن ابن عباس ﵄: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذٰلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا! قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. فسجد وقال: سجدت لفصاحته، وسمع رجلًا آخر يقرأ ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠]. فقال: أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام»(١).

وإذا كان العرب -وهم بهذه المنزلة بلاغة وفصاحة- قد عجزوا هذا العجز التام المطبق، فغيرهم أشد عجزًا، وأبعد هزيمة.

لقد عني العلماء بإبراز بلاغة القرآن في هذا المضمار تطبيقًا، ويعد الباقلاني من أبرز من سلكوا هذا الباب في الموازنة بين ما ورد في القرآن من ضروب البلاغة وبين أبلغ ما حفظ عن العرب من ذلك مما عُدّ في أقصى درجاتها، وذلك في الفصلين السابع والثامن من كتابه (إعجاز القرآن).

لقد ظل القرآن أسلم وأبعد ما يكون في فصاحته وبلاغته عن أي طعن من فصحاء العرب رغم تشوف كفارهم إلى ذلك، ورغم أن انتقاد الكلام، كان دأبهم شعرًا ونثرًا، واستدراك بعضهم على بعض كان ديدنهم رغم قلة الدواعي...(٢).



فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي، في شُعَبِ الإِيمَانِ، وهو باب في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة (١/ ٢٨٧)، برقم: ١٣٣.

(١) الشفا: (١/ ٢١٩، ٢٢٠)، البداية والنهاية: (١/ ٦٤).

(٢) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - محمد السيد جبريل: (ص: ٣٥-٤٠).

خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٣ـ٥)

* الفاصلة القرآنية: هي كلمة آخر الآية، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.

* الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار نظمه ووصفه. وأبرز ما يكون هٰذا التجلي في ذٰلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذٰلك الجمال اللغوي الآسر، الذي بزّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارىٰ لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا بيان القرآن الكريم ونظمه ولغته.

* تختلف الفاصلة القرآنية عن قافية الشعر؛ فقافية الشعر كان يؤتىٰ بها غالبًا محسنًا لفظيًا لإتمام الكلام، حتىٰ وإن أقحمت إقحامًا، وخرجت عن سياق الكلام، وكثيرًا ما يضطر الشاعر إلىٰ ذٰلك اضطرارًا.

* أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطًا محكمًا، بل هي مفصحة عن معان زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها.

* أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط أو في المناسبات.

* من أنواع المناسبات في القرآن:

* المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية.

* مناسبة اسم السورة ومضمونها.

* تناسب أول السورة وخاتمتها.

* المناسبة بين السورتين.

* فصاحة القرآن وبلاغته هٰذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق.

أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٣)

١- وازن بين الفاصلة القرآنية والقافية الشعرية.

٢- مثِّل للإعجاز في استخدام الفاصلة القرآنية.

٣- بيِّن وجه إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره.

٤- اذكر ما قاله بعض الفصحاء والعلماء في الموازنة بين القرآن وكلام الناس.



المطلب الثالث: الإعجاز في أسلوب القرآن:

الأسلوب في اللغة:

يطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة؛ فيقال للطريق بين الأشجار، وللفن وللوجه، وللمذهب، وللشموخ بالأنف، ولعنق الأسد، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضًا، وأنسب هٰذه المعاني بالاصطلاح الآتي هو المعنى الأخير أو هو الفن أو المذهب.

الأسلوب في الاصطلاح:

الأسلوب اصطلاحًا هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه.

أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم.

معنىٰ أسلوب القرآن الكريم:

أسلوب القرآن هو: الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن الكريم في إفادة المعاني بالألفاظ(١).

والقرآن هو كلام الله ﷻ ذو الشأن العظيم سبحانه، ولكل متكلم أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم؛ بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.

الأسلوب غير المفردات والتراكيب:

الأسلوب هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، وهٰذا هو السر في أن الأساليب مختلفة باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب في جملتها واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة، وهٰذا هو السر أيضًا في أن القرآن لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة بل جاء كتابًا عربيًا جاريًا علىٰ مألوف العرب من هٰذه الناحية؛ فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلىٰ قواعدهم العامة في صياغة هٰذه المفردات وتكوين التراكيب؛ جاء تأليفه، ولٰكن المعجز والمدهش والمثير لأعجب العجب أنه مع دخوله على العرب من هٰذا الباب الذي عهدوه،

---

(١) إعجاز القرآن، د. محمد السيد الحكيم، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٤٥م: (ص: ٨٩).

ومع مجيئه بهٰذه المفردات والتراكيب التي توافروا علىٰ معرفتها، وتنافسوا في حلبتها، وبلغوا الشأو الأعلىٰ فيها -نقول: إن القرآن مع ذٰلك كله؛ قد أعجزهم بأسلوبه الفذ، ومذهبه الكلامي المعجز، ولو دخل عليهم من غير هٰذا الباب الذي يعرفونه؛ لأمكن أن يلتمس لهم عذر أو شبه عذر، وأن يسلم لهم طعن أو شبه طعن ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. ولهٰذا المعنىٰ وصف الله كتابه بأنه عربي في غير آية فقال جل ذكره في سورة يوسف: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال في سورة فصلت: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٣]. وقال في سورة الزمر: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

الإعجاز في أسلوب القرآن:

أسلوب القرآن فوق كل أسلوب، قال القاسمي: «وأسلوب القرآن أسلوب خاص انفرد به في باب البلاغة، لم ينفتح من أبواب عجائبه إلّا قطرة من بحر»(١).

وتنوع الموضوعات هو الباعث الأهم علىٰ تنوع الأسلوب القرآني، [وما أنواعه بالمتعارضة التي لا تربط بينها صلة]، وإنما هو أسلوب واحد؛ يشتد أو يلين، ويفصل أو يجمل تبعًا لحال المخاطبين. وهٰذا سر من أسرار الإعجاز التي يمتاز بها القرآن الكريم(٢).

قال محمد رشيد رضا: «يطرد في أسلوب القرآن الخاص مزج مقاصد القرآن بعضها ببعض؛ من عقائد، وحكم، ومواعظ، وأحكام تعبدية ومدنية، وغيرها، وفي ذٰلك نفي السآمة عن القارئ والسامع من طول النوع الواحد منها، وتجديد نشاطها ومنهجها»(٣).

و من أدب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم؛ فكان اشتمال القرآن علىٰ قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلًا لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين. و...من أسلوب القرآن في هٰذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلىٰ حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفه، وفيما لذٰلك من أثر عناية إلهية أو خذلان. وفي هٰذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هٰذه القصص بيان أنسابهم أو بلدانهم؛ إذ العبرة فيما وراء ذٰلك من ضلالهم أو إيمانهم.(٤)

---

(١) محاسن التأويل: (٢/ ١٦٦).

(٢) مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح: (ص: ٢٣٣) وما بين القوسين المعقوفين تعميم لقوله: «فما هما بالأسلوبين المتعارضين اللذين لا تربط بينهما صلة».

(٣) تفسير المنار ٢/ ٤٤٥ بتصرف يسير.

(٤) التحرير والتنوير: (١/ ٦٥-٦٦).

ومن لطائف أسلوب القرآن الكريم: سوق الأحكام مشفوعة بعللها وأسبابها[١].

ومن أسلوب القرآن أنه: ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، أي: تُثَنَّىٰ فيه المعاني والأحوال والأوصاف...[٢].

تطبيقات قرآنية على الإعجاز في أسلوب القرآن:

- أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معًا، ويجمع الحق والجمال معًا؛ انظر إليه -مثلًا- وهو في سبيل الاستدلال العقلي على البعث والإعادة، في مواجهة منكريهما، كيف يسوق استدلاله سوقًا يهز القلوب هزًا، ويمتع العاطفة إمتاعًا بما جاء في طي هٰذه الأدلة المسكتة المقنعة؛ إذ قال الله سبحانه في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. وقال في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦-١١]. تأمل في الأسلوب البارع الذي أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آن واحد حتىٰ في الجملة التي هي كالنتيجة من مقدمات الدليل؛ إذ قال في الآية الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ وفي الآيات الأخيرة ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ يا للجمال! ويا للإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معا بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هٰذه الكلمات المعدودات!!

ثم انظر إلى القرآن وهو يسوق قصة يوسف مثلًا كيف يأتي في خلالها بالعظات البالغة، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة علىٰ وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة؛ إذ قال في فصل من فصول تلك القصة الرائعة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. فتأمل في هٰذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث، مقابلة جعلت من القصص الممتع جدالًا عنيفًا بين جند الرحمٰن وجند الشيطان، ووضعتها أمام العقل المنصف في كفتي ميزان، وهٰكذا تجد القرآن كله مزيجًا حلوًا سائغًا،

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لسيد طنطاوي - تفسير الآية ١١٢ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير سورة الكهف لابن عثيمين: (ص: ٦٤).

يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معًا جنبًا إلىٰ جنب لهداية الإنسان وخير الإنسان.

وهل تسعد بمثل هٰذا في كلام البشر؟ لا ثم لا! بل كلامهم إن وَفَّىٰ بحق العقل بخس العاطفة حقها! وإن وَفَّىٰ بحق العاطفة بخس العقل حقه، وبمقدار ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر... أما القرآن فإنه انفرد بهٰذه الميزة بين أنواع الكلام؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد.

خصائص الأسلوب القرآني(١):

إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن والمزايا التي توافرت فيه حتىٰ جعلت له طابعًا معجزًا في لغته وبلاغته؛ أفاض العلماء فيها بين مقل ومكثر، ولٰكنهم بعد أن طال بهم المطاف قدموا إلينا قلًّا من كثرة، وقطرة من بحر؛ معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء، وأن ما خفي عليهم فلم يذكروه أكثر مما ظهر لهم فذكروه، وأنهم لم يزيدوا علىٰ أن قربوا لنا البعيد بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح والتبيين، أما الاستقصاء والإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني وخصائصه علىٰ وجه الاستيعاب فأمرٌ استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب، فلنذكر شيئًا من خصائص أسلوب القرآن، علىٰ وجه التمثيل والتقريب أيضًا، ومنها مع ما تقدم ذكره:

١- عدم القدرة على الإتيان بمثله، ومباينته لأساليب العرب، وعلو فصاحته، وحسن تأليفه.

٢- تناسب ألفاظه ومعانيه وجميع أجزائه.

٣- تصريف المعاني والقصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة كثيرة؛ لا تفاوت بينها.

٤- وضوحه ودقة تعبيره، وجمعه بين الإجمال والبيان مع أنهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد للناس، بل كلامهم؛ إما مجمل وإما مبين؛ لأن الكلمة إما واضحة المعنىٰ لا تحتاج إلىٰ بيان، وإما خفية المعنىٰ؛ تحتاج إلىٰ بيان، ولٰكن القرآن وحده هو الذي انخرقت له العادة؛ فتسمع الجملة منه، وإذا هي بينة مجملة في آن واحد؛ أما أنها بينة أو مبينة -بتشديد الياء وفتحها- فلأنها واضحة المغزىٰ وضوحًا؛ يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة، فإذا أمعنت النظر فيها؛ لاحت منها معان جديدة؛ كلها صحيح أو محتمل لأن يكون صحيحًا،

---

(١) هٰذا المبحث ملخص من مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ٢٣٤ وما بعدها)، وخصائص الأسلوب القرآني، لأبي بكر ابن محمد فوزي البخيت.

وكلما أمعنت فيها النظر؛ زادتك من المعارف والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النظر، وما تحمل من الاستعداد على حد قول القائل:

يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرًا

ولهذا السر وسع كتاب الله جميع أصحاب المذهب الحضر من أبناء البشر، ووجد أصحاب هذه المذاهب المختلفة والمشارب المتباينة شفاء أنفسهم وعقولهم فيه، وأخذت الأجيال المتعاقبة من مدده الفياض ما جعلهم يجتمعون عليه، ويدينون به، ولا كذلك البشر في كلامهم؛ فإنهم إذا قصدوا إلى توضيح أغراضهم؛ ضاقت ألفاظهم، ولم تتسع لاستنباط وتأويل، وإذا قصدوا إلى إجمالها؛ لم يتضح ما أرادوه، وربما التحق عندئذ بالألغاز وما لا يفيد.

والأمر في هذه الخاصة ظاهر غني بظهوره عن التمثيل، وحسبك أن ترجع إلى كتب التفسير ففيها من ذلك الشيء الكثير: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

٥- ثراء معانيه، واحتمال اللفظ فيه لأكثر من معنى، واحتمال سياقه لأكثر من معنى، وتعدد المعنى فيه بتعدد القراءات، وبحسب الوقوف، ومع التكرار والترادف والإيجاز والإطناب، وتجدد المعاني فيه، وتصديق بعضها بعضًا.

٦- تأثيره في النفوس، وجلاله وروعته، وسموه ورفعته، وجماله وواقعيته، وصدقه، وقوة حجته وإقناعه.

والمراد بجمال أسلوب القرآن تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبًا دونه كل ترتيب، ونظام تعاطاه الناس في كلامهم، وبيان ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات، هذا ينقر، وذاك يصفر، وهذا يخفى، وذاك يظهر، وهذا يهمس، وذاك يجهر، إلى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد، ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن حين خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤتلفة، الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجهٍ دقيقٍ محكمٍ وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزانٍ، حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش، وقشرة سطحية أخَّاذة، امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة،

ولقد وصل هٰذا الجمال اللغوي إلىٰ قمة الإعجاز بحيث لو داخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه.

٧- شمول خطابه للعقل والعاطفة، وللحس والوجدان، وللعامة والخاصة؛ فأسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معًا، ويجمع الحق والجمال معًا؛ انظر إليه -مثلًا- وهو في سبيل الاستدلال العقلي على البعث والإعادة، في مواجهة منكريهما، كيف يسوق استدلاله سوقًا يهز القلوب هزًا، ويمتع العاطفة إمتاعًا بما جاء في طي هٰذه الأدلة المسكتة المقنعة.

إن القرآن الكريم إذا قُرئ على العامة أحسوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه علىٰ قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذٰلك الخاصة إذا قرؤوه أو قُرئ عليهم أحسوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام، لا في إشراق ديباجته، ولا في امتلائه وثرائه، ولا كذٰلك كلام البشر! فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة؛ لم يرض العامة؛ لأنهم لا يفهمونه، وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة؛ لم يرض الخاصة؛ لنزوله إلىٰ مستوىً ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم.

خصائص الأسلوب القرآني

- عدم القدرة على الإتيان بمثله، ومباينته لأساليب العرب، وعلو فصاحته، وحسن تأليفه.
- تناسب ألفاظه ومعانيه وجميع أجزائه.
- تصريف المعاني والقصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة كثيرة؛ لا تفاوت بينها.
- وضوحه ودقة تعبيره، وجمعه بين الإجمال والبيان.
- ثراء معانيه، واحتمال اللفظ فيه لأكثر من معنى، واحتمال سياقه لأكثر من معنى.
- تأثيره في النفوس، وجلاله وروعته، وسموه ورفعته، وجماله وواقعيته، وصدقه، وقوة حجته وإقناعه.
- شمول خطابه للعقل والعاطفة.
- شمول خطابه للحس والوجدان.
- شمول خطابه للعامة والخاصة.

أولاً- التكرار والترادف في القرآن الكريم، والإعجاز فيه، وتطبيقات قرآنية عليه، والرد على شبهة: وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته:

١ - التكرار في القرآن الكريم:

التكرار لغة؛ مأخوذ من «كرر الشيء: إذا أعاده مرة بعد أخرى... ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته؛ إذا رددته عليه... والكر: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار»[1].

أما حد التكرار في الاصطلاح فيعرفه السجلماسي بأنه: «إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعدًا»[2].

وأبرز فائدة للتكرار هي التأكيد[3]، وفرّق بعضهم بين التكرار والتأكيد، بأن «التأكيد شرطه الاتصال، وألا يزيد على ثلاثة، والتكرار يخالفه في الأمرين، ومن ثم بنوا على ذلك أن قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]. تكرار لا تأكيد؛ لأنها زادت على ثلاثة»[4].

وفي القرآن نوعان من التكرار:

أحدهما: تكرار بعض الألفاظ أو الجمل.

وثانيهما: تكرار بعض المعاني كالقصص والأخبار.

فالنوع الأول: يأتي على وجه التوكيد، ثم ينطوي بعد ذلك على نكت بلاغية: كالتهويل، والإنذار، التجسيم والتصوير. وللتكرار أثر بالغ في تحقيق هذه الأغراض البلاغية في الكلام، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٦-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الرعد: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٣].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: (٥/ ١٣) مادة (كرر).

(٢) المنزع البديع، السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ١٩٨٠م: (ص٤٧٦).

(٣) القاموس المحيط مادة (كرر).

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (كرر)، والقاموس المحيط، (مادة كرر).

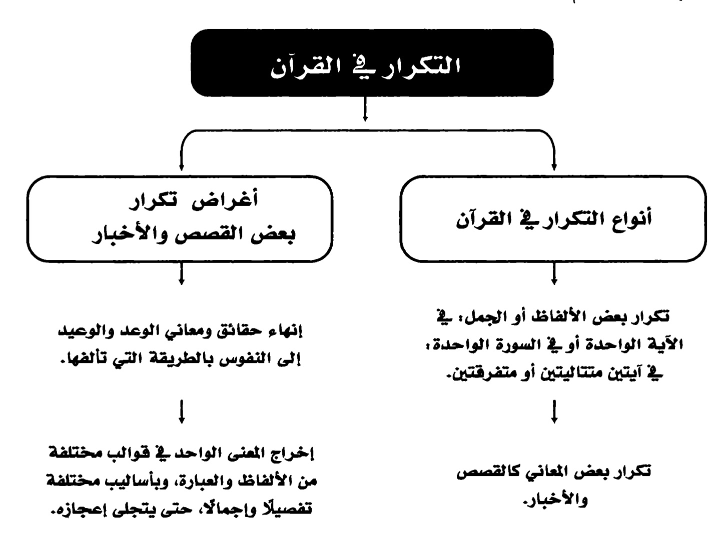
والنوع الثاني: وهو تكرار بعض القصص والأخبار؛ يأتي لتحقيق غرضين مهمين:

الأول: إنهاء حقائق ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألفها، وهي تكرار هٰذه الحقائق في صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب، ولقد أشار القرآن إلىٰ هٰذا الغرض بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

الثاني: إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارة، وبأساليب مختلفة تفصيلًا وإجمالًا، حتىٰ يتجلىٰ إعجازه، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده أو اللحاق بشأوه، إذ من المعلوم أن هٰذا الكتاب إنما نزل لإقناع العقلاء من الناس بأنه ليس كلام بشر، ولإلزامهم بالشريعة التي فيه، فلابد فيه من الوسائل التي تفي بتحقيق الوسيلة في الأمرين.

ويلاحظ أن التكرار في القرآن يشتمل علىٰ أنواع عدة؛ فهو إما تكرار مطابق في اللفظ في الآية الواحدة؛ مثل: قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، أو في السورة الواحدة في آيتين متتاليتين؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]، أو في آيتين متفرقتين؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تكرر في سورة الشعراء ثماني مرات، أو في سورتين؛ مثل قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ في التوبة (٧٣) والتحريم (٩).

وقد يكون تكرارًا في المعنىٰ دون اللفظ؛ ويمثل له بقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].



الإعجاز في التكرار في القرآن:

من المحال أن تعثر في القرآن كله علىٰ معنىٰ يتكرر في أسلوب واحد من اللفظ، ويدور ضمن قالب واحد من التعبير، بل لابد أن تجده في كل مرة يلبس ثوبًا جديدًا من الأسلوب، وطريقة التصوير والعرض، وتجد التركيز في كل مرة منها علىٰ جانب معين من جوانب المعنىٰ أو القصة.

قال الرافعي مبينًا وجهًا من وجوه الإعجاز في التكرار في القرآن الكريم: «وههنا معنىٰ دقيقٌ في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبًا: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، وأصل المعنىٰ واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قَصَصه؛ لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته؛ لتحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكره، إلىٰ ما يكون من هٰذا الباب؛ وهو مذهب للعرب معروف، ولٰكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم: للتهويل، والتوكيد، والتخويف، والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة؛ وكل ذٰلك مأثورٌ عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة.

بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته، وأنهم يُخَلُّون[١] عنه؛ لقوة غريبة فيه؛ لم يكونوا يعرفونها إلا توهمًا، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهٰذه القوة، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صورٍ كل منها غير الأخرىٰ وجهًا أو عبارة، وهم علىٰ ذٰلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون.

فهٰذا لعمرك أبلغ في الإعجاز وأشدُّ عليهم في التحدي؛ إذ هو دليل علىٰ مجاوزتهم مقدارَ العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة أو تتهيأ المعاريض حينًا بعد حين، إلى العجز الفطري الذي لا يتأول فيه المتأول ولا يعتذر منه المعتذرون ولا يجري الأمر فيه على المسامحة[٢].

---

(١) يعني: يتركونه بلا معارضة، والتخلية: الترك. كذا في حاشية المصدر.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: (ص: ١٣٤-١٣٥).

تطبيقات على الإعجاز في التكرار في القرآن:

من أمثلة الإعجاز في التكرار في القرآن قصة موسىٰ عليه السلام، وهي أكثر القصص في القرآن تكرارًا، فقد وردت في حوالي ثلاثين موضعًا؛ في كل موضع تلبس أسلوبًا جديدًا، وتُخْرَج إخراجًا جديدًا يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلىٰ هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتىٰ لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم. و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ليس فيها لفظ تكرار إلا قوله ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو مع الفصل بينهما بجملة. وقد شبهوا ما في سورة الرحمٰن بقول القائل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تك فقيرا فأغنيتك؟ أفتنكر هٰذا؟ ألم تك عريانًا فكسوتك؟ أفتنكر هٰذا؟ ألم تك خاملًا فعرفتك؟ ونحو ذٰلك. وهٰذا أقرب من التكرار المتوالي كما في اليمين المكررة.

وكذٰلك ما يقوله بعضهم إنه قد يعطف الشيء لمجرد تغاير اللفظ كقوله: فألفىٰ قولها كذبًا ومينًا؛ فليس في القرآن من هٰذا شيء. ولا يذكر فيه لفظًا زائدًا إلا لمعنىٰ زائد، وإن كان في ضمن ذٰلك التوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فالمعنىٰ مع هٰذا أزيد من المعنىٰ بدونه. فزيادة اللفظ لزيادة المعنىٰ وقوة اللفظ لقوة المعنىٰ.

والضم أقوىٰ من الكسر، والكسر أقوىٰ من الفتح؛ ولهٰذا يقطع على الضم لما هو أقوىٰ مثل «الكُرْه» و«الكَرْه»؛ فالكُره هو الشيء المكروه، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] والكَرْه المصدر، كقوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]. والشيء الذي في نفسه مكروه أقوىٰ من نفس كراهة الكاره. وكذٰلك «الذَّبح» و«الذِّبح» فالذِّبح: المذبوح، كقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧] والذَّبح: الفعل. والذِّبح. مذبوح، وهو جسد يذبح؛ فهو أكمل من نفس الفعل[2].

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمعه علي بن نايف الشحود: (ص: ٤١٦)، وتاريخ جمعه ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، والكلام المذكور في كتابه موجود في الإنترنت في موقع الفصيح الإلكتروني بتاريخ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٥٣٧).

الرد على شبهة: «وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته»:

خفيت [مقاصد] التكرار على بعض الملحدة وأشباههم ومن لا نَفَاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا: إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو كان أروعَ وأبلغ... [عند] الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، ولو أعجزهم أن يجيئوا بمثله؛ ما أعجزهم أن يعيبوه؛ لو كان عيبًا![١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس في القرآن تكرار أصلًا[٢]، وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم يكن الآيات والقصص مثناة متكررة؛ لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع؛ فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره. وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] لما قيل: لم ثنيت؟ وبسط هذا له موضع آخر، فإن التثنية هي التنويع والتجنيس، وهي استيفاء الأقسام؛ ولهذا يقول من يقول من السلف: الأقسام والأمثال»[٣].

وقال في رسالة كتبها في مسألة التكرار في القرآن: «ليس في القرآن لفظة واحدة زائدة لا تفيد معنى، ولا كلمة قد فُهم معناها [مما] قبلها؛ فأُعيدت لا لمعنى، أو لمجرد التأكيد المحض دون فائدة جديدة، وهذا في اللفظ المستقل بنفسه، بخلاف الحروف التي لا تستقلّ كالباء واللام»[٤].

ثم قام بتطبيق هذا القول على آيات القرآن، ليثبت أنه لا توجد أي لفظة زائدة لا تفيد معنى في القرآن الكريم، فكان يذكر الآية القرآنية التي يُرى أن فيها تكرارًا ثم يبين فائدة التكرار فيها، والأدلة اللغوية والعقلية على رأيه، وكان يقول بعد عرضه لبعض أقوال المفسرين في الآية: «والأحسن من هذا أن يُقال (كذا)».

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: (ص: ١٣٥).

(٢) يعني: ليس فيه تكرارٌ لا نكتةَ فيه أو فائدة جديدة بل ينفي ابن تيمية حتى التكرار لمجرد التأكيد، كما سيأتي.

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٦٨).

(٤) رسالة في علوم القرآن، لابن تيمية، تحقيق: علي بن أحمد الكندي المرر: (ص: ٨).

ففي سياق التكرار في اللفظ والمعنى؛ بيَّن ابن تيمية أن التكرار في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، لم يأت للتأكيد كما ترى طائفة، وقال: إن المراد هنا هو «الدَّكُّ المتتابع، أي: دكًّا بعد دكٍّ»، وكذلك قوله تعالى: ﴿صَفًّا صَفًّا﴾؛ المراد به صفًا بعد صفٍّ.

أما قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤]، فبيَّن أنه ليس من باب التكرار، بل هو وعيدٌ ودعاءٌ: يعني قرب منك ما يهلك قربـًا بعد قرب.

وفي سياق التكرار في المعنى دون اللفظ، استعرض ابن تيمية الآيات القرآنية التي فُهِم منها وجود هذا النوع في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقد بيَّن في تعليقه على هذه الآية أنها تتضمن جملتين مفيدتين معنيين؛ المعنى الأول: أن الله سبحانه وتعالى إذا أمر الملائكة بالأمر لا يعصونه في أمره، والمعنى الثاني: أنهم لا يفعلون شيئًا من عند أنفسهم، بل أفعالهم ائتمار وطاعة لأمر ربهم(١)(٢).

٢- الترادف في القرآن الكريم:

تعريف الترادف:

الترادف: لغة من الرِّدْفُ: وهو «ما تبع الشيءَ، وكلُّ شيء تبع شيئًا فهو ردفه...والترادف: التتابع، ومن قوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. أي: متتابعين يأتون ذلك فرقة بعد فرقة»(٣)، وقال أحمد بن فارس: «الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء، فالترادف: التتابع»(٤).

وفي تعريف الترادف اصطلاحًا، قال الجرجاني في التعريفات: «المترادف ما كان معناه واحدًا وأسماؤه كثيرة.

وهو ضد المشترك، أخذًا من الترادف الذي هو مركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، كالليث والأسد»(٥).

---

(١) رسالة في علوم القرآن، لابن تيمية، تحقيق: علي بن أحمد الكندي المرر: (ص: ٣٠- ٤٥).

(٢) ينظر أيضًا: الرد على شبهة اختلاف التعبير بين قصص القرآن؛ الآتي ذكره.

(٣) لسان العرب: (٩/ ١١٤).

(٤) مقاييس اللغة: (٢/ ٥٠٣).

(٥) التعريفات (ص٥٦).

وقال السيوطي في تعريفه: «الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحدٍ باعتبار واحد.

واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدّ، فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلاّ على شيء واحد ولكن باعتبارين، أحدهما على الذات، والآخر على الصفة»[١].

وقيل هو: «توالي وتتابع الألفاظ المفردة على معنى واحد، وذلك بأن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد دلالة حقيقية أصيلة»، أي: ورود لفظين أو أكثر مختلفين في الاشتقاق، متفقين في المعنى، بحيث يدلان عليه دلالة حقيقية، بدون فروق بينهما[٢].

شروط الترادف:

وضع اللغويون شروطًا يلزم تحققها بين الألفاظ حتى يُقال بالترادف بينها، فإذا أُخل بشرط من هذه الشروط خرجت الكلمتان من دائرة الترادف، والشروط التي وضعها اللغويون للترادف هي:

* الاتحاد التام بين اللفظتين في المفهوم والمعنى، فإن وجدت فروق طفيفة بينهما خرجتا من دائرة الترادف.

* الاتحاد التام بين اللفظتين في البيئة اللغوية، بانتمائهما إلى لهجة عربية واحدة أو لهجات عربية متجانسة.

* اتحاد العصر، بأن يقال بالترادف بين اللفظتين في زمن معين وعهد خاص.

* ألّا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر، فإن كانا كذلك كانا لفظًا واحدًا، وليس لفظين مترادفين؛ مثل: صعق وصقع[٣].

مسألة إثبات الترداف في القرآن الكريم:

اختلف العلماء، قدماءَ ومحْدثين؛ في إثبات الترادف في اللغة والقرآن؛ فمنهم من أثبتها، ومنهم من أنكرها.

---

(١) المزهر، للسيوطي: (١/ ٤٠٢).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (الطبعة الرابعة)، عمان - الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع: (ص:٢٠١).

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في التفسير، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع: (ص: ٣٠- ٣١).

وممن قال بالترادف: الأصمعي، وابن خالويه، وسيبويه، وابن جني، والفيروزابادي، وقطرب، وابن سيده، والمبرد، والرماني، وكانت حجتهم في ذٰلك كما يأتي:

قالوا بأن وفرة الألفاظ دليلٌ علىٰ حيوية اللغة وسعتها، فإذا صعب لفظ كلمة استبدلت بكلمة أسهل تحمل نفس المعنىٰ.

ولو كان لكل لفظةٍ معنًى غير معنى الأخرىٰ، لما أمكنَ أن نعبِّر عن شيء بغير عبارته، وذٰلك أنا نقول في «لا ريب فيه»: «لا شكَّ فيه»، فلو كان الريب غير الشك، لكانت العبارة عن الريب بالشك خطأً، ولكننا نعبر عن الريب بالشك.

وذهب فريق آخر من اللغويين والمفسرين إلىٰ منع القول بالترادف في اللغة، وفي القرآن، وأوجبوا البحث عن فروقات دقيقة بين الألفاظ المتقاربة، ومنهم:

أبو هلال العسكري، وثعلب، وابن درستويه، وأبو علي الفارسي من اللغويين، أما المفسرون فمنهم: الطبري، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، وابن كثير، والزركشي، ومن أدلتهم:

أن تعدد الأسماء يعني تعدد المسميات، وأن اختلاف المبنىٰ يعني اختلاف المعنىٰ، وأنه إذا تحققت الفائدة من وضع اسمٍ واحدٍ للمسمىٰ، يكون وضع اسم آخر بلا فائدة.

ومن أدلتهم: تفريق القرآن بين الكلمات التي يُشك بترادفها، ومن ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

«وقد جرىٰ نقاش بين ابن خالويه القائل بالترادف وأبي علي الفارسي الذي ينفيه، في مجلس سيف الدولة الحمداني في حلب. فقال ابن خالويه: أحفظُ للسيف خمسين اسمًا. فتبسم أبو علي الفارسي، وقال: ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا، هو: السيف. فسأله ابن خالويه: فأين المهنّد والقضيب والصارم والحسام وكذا وكذا؟ فقال أبو علي الفارسي: هٰذه صفات، وكأن الشيخ لا يُفرق بين الاسم والصفة»(١).

(١) حكاه القاضي ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) في أحكام القرآن (٢/ ٣٣٧) بسنده عن أبي علي الفارسي.

ويرىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن؛ فإما نادر، وإما معدوم، وقلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهٰذا من أسباب إعجاز القرآن؛ فإذا قال القائل: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا﴾ [الطور: ٩]: إن المور هو الحركة؛ كان تقريبًا؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة.

وكذٰلك إذا قال: الوحي: الإعلام أو قيل﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣] أنزلنا إليك أو قيل: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمنا، وأمثال ذٰلك؛ فهٰذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالًا إليهم وإيحاء إليهم. والعرب تضمن الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤] أي مع نعاجه و﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي مع الله، ونحو ذٰلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين؛ فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلىٰ نعاجه، وكذٰلك قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] ضُمِّن معنىٰ يزيغونك ويصدونك، وكذٰلك قوله: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧] ضُمِّن معنىٰ نجيناه وخلصناه، وكذٰلك قوله: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] ضُمِّن يروىٰ بها، ونظائره كثيرة.

ومن قال «لا ريب: لا شك» فهٰذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة... فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة؛ فالريب ضده ضُمِّن الاضطراب والحركة. ولفظ «الشك»، وإن قيل: إنه يستلزم هٰذا المعنىٰ؛ لٰكن لفظه لا يدل عليه[1].

وقال محمد بن عبد الرحمٰن الشايع: «إن هناك اشتراكًا في المعنىٰ في الكلمات التي يظن بأنها مترادفة، وهناك فروقًا دقيقة أيضًا؛ فالقائلون بالترادف يلتفتون الى المعنى المشترك ويركزون عليه، والقائلون بالفروق يهتمون بالتركيز علىٰ إبراز هٰذه الفروق الدقيقة، ويعتبرون الترادف في المعنى المشترك من قبيل التقريب لا التحقيق الدقيق للمعنىٰ، ووجود هٰذا القدر المشترك هو الذي يسمح بتبادل الألفاظ، والتعبير عن اللفظة بالأخرىٰ.

وعلىٰ هٰذا؛ يحمل القول بالترادف على المعنى المشترك، ويحمل القول بالفروق على الاختلافات الدقيقة فيما وراء هٰذا المعنى المشترك. فكأن القائلين بالفروق يقولون بالترادف وزيادة، وهٰذه الزيادة هي تلك الاختلافات الدقيقة فيما وراء القدر المشترك،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٤١- ٣٤٢).

فهم إنما يمنعون الترادف التام»[١].

ثانيًا- الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه:

الإنشاء وأقسامه:

الإنشاء لغة: الإيجاد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: ٣٥]، أي: أوجدناهن إيجادًا[٢].

واصطلاحًا: هو: «ما لا يصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب»[٣].

وهو قسمان:

أ. إنشاء طلبي:

وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ويكون خاصة في: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنداء، والعرض، والتّحضيض، والدعاء، والالتماس.

ب. إنشاء غير طلبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، وله صيغ كثيرة؛ منها: المدح، والذمّ، والقسم، والتعجّب، والرّجاء[٤].

الخبر:

الخبر لغة: النبأ، وهو اسم لما ينقل، ويتحدث به[٥].

واصطلاحًا: «هو الذي يحتمل الصّدق -إن كان مطابقا للواقع -والكذب- إن كان غير مطابق للواقع- وذلك كقول أبي الطيّب (البسيط).

لا أشرئبّ إلى ما لم يفت طمعا ولا أبيت على ما فات حسرانا»[٦][٧]

---

(١) الفروق اللغوية وأثرها في التفسير، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع: (ص: ٣٠٣).

(٢) شرح التصريح على التوضيح: (١/ ١٠).

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس(ص: ٣٧).

(٤) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: (ص: ٢٨٢).

(٥) المصباح المنير: (خ ب ر) (ن ب و).

(٦) شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ١٣٨).

(٧) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس: (ص: ٨٨).

والخبر قسمان:

١. خبر صادق.

٢. خبر كاذب.

والغرض من إلقاء الخبر أحد غرضين:

أ. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، إذا كان جاهلًا له، ويسمّىٰ هٰذا النوع فائدة الخبر، ومن هٰذا الباب الحقائق العلمية التي تلقىٰ علىٰ مسامع المتعلّمين وهم لا يعرفونها.

ب. إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم أيضًا، ويسمّىٰ لازم الفائدة، ومثاله: أنت نجحت في الامتحان، وسمّي لازم الفائدة؛ لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظنّ به[1].

وقد يرد الخبر بمعنى الإنشاء، نحو: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وكثيرًا ما يأتي بين الخبر والإنشاء واو العطف، فيعطف الإنشاء على الخبر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، والعكس كذٰلك؛ حيث يعطف الخبر على الإنشاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١][2].

الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم:

الإنشاء في القرآن أحكم الإنشاء، وخبر القرآن لا يحتمل الكذب، بل خبره أصدق الأخبار، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. فأصدق خبر عن الحق الموجود خبر الله، وخير أمر بالحق المقصود أمر الله[3]؛ فهو سبحانه الصادق العدل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقًا وَعَدۡلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[4]،

---

(١) البحث البلاغي عند العرب، شفيع السيّد: (ص: ١٤٦)

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم: (ص: ٤٣١-٤٣٣).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٠٣).

(٤) المصدر السابق نفسه (١٦/ ٢٤٥).

وخبر غير الله يحتمل الكذب، وخلافه كذب، وخلاف أمره الكوني مستحيل، وخلاف أمره الشرعي ظلم. ولم يأت أحد ببينة على أن في القرآن خبرًا كذبًا أو إنشاءً فيه ظلم أو جهل، كما لا يقدر أحد على الإتيان بمثل خبر القرآن وإنشائه، ولا على الإتيان بمثل لفظه أو معانيه.

تطبيقات على الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم:

ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم، وغير ذلك.

وما أمر به القرآن من الدين، والشرائع كذلك[١]، وقد سبق ذكر بعض الآيات في هذا، وسيأتي -إن شاء الله تعالى- ذكر تطبيقات على الإعجاز في الأخبار الغيبية بخصوصها، والإنشاءات التشريعية، في القرآن الكريم؛ عند الكلام عن الإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي.

ثالثًا- الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه:

الاستفهام لغةً: مشتق من مادة (فهم)، قال ابن منظور في «لسان العرب»: «الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانًا، وأفهمته، وتفهّم الكلام: فهمه شيئًا بعد شيء، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء، فأفهمته وفهّمته تفهيمًا»[٢].

وقال ابن قتيبة: «واستفهمته: سألته الإفهام»[٣].

واصطلاحًا: طلب حصول صورة الشيء في الذهن[٤].

وقيل: طلب معرفة شيء لم يكن معلومًا عند الطالب باستخدام إحدى أدوات الاستفهام أو أسمائه، وقد لا يطلب السائل والمستفهِم فيه معرفة جواب السؤال، بل يقصد معاني أخرى[٥]، وهذا ما يعرف بالاستفهام المجازي.

فأسلوب الاستفهام هو أحد أكثر الأساليب الإنشائية استعمالًا وأهمية، ويكون الاستفهام بحروف معيّنة، وأسماء محدّدة، لكل منها معنى خاص، إضافة إلى المعنى الذي وُضعت من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية: (٥/ ٤٣٤).

(٢) لسان العرب، مادة (فهم).

(٣) أدب الكاتب، لابن قتيبة: (ص: ٣٦٠).

(٤) التعريفات: (ص: ١٨).

(٥) أدوات الاستفهام، دراسة إحصائية مقارنة، عبد الرحمن توفيق العماني: (ص: ٤-٥، ١٢-١٣).

أجله، وهو الاستفهام، وتكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر، ووظيفته التبليغية والحجاجية، وإذا كان معلومًا أن التواصل لا يتمّ إلّا استنادا إلى التخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب، لأنه يجسد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه ورسالة، وقد درسه النحاة دراسة تحليلية، وبيّنوا تنوُّع أغراضه، وتغيُّر أشكاله[١].

الاستفهام في خطاب الله تعالى في القرآن:

أجمع العلماء على أن الاستفهام الصادر من الله تعالى لا يكون على حقيقته؛ لتنزهه تعالى عن الجهل، ولكن يراد به معنى من المعاني، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]؛ فالاستفهام معناه النفي، أي: لا أحد، وكقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] فالاستفهام للتقرير، أي: يقررهم، ولذا كان جوابهم: ﴿بَلَى﴾[الملك: ٩].

ويوجد في القرآن استفهام حقيقي، ولكنه محكي من الله عن أحد خلقه من الأنبياء وغيرهم، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾[التحريم: ٣][٢].

والاستفهام في القرآن قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء[٣].

الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم:

بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وجهًا من وجوه الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن حيث قال: «من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة ثم إتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصود؛ بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره، وينتفع بمعرفته؛ فذلك هو البيان، وهو البرهان، وأما ما لا حاجة إلى ذكره، فذكره عيٌّ؛ وبهذا يظهر لك خطأ قوم من البيانيين الجهال والمنطقيين الضلال حيث قال بعض أولئك: الطريقة الكلامية البرهانية في أساليب البيان ليست في القرآن إلا قليلًا، وقال الثاني: إنه ليس في القرآن برهان تام؛ فهؤلاء من أجهل الخلق باللفظ والمعنى؛ فإنه ليس في القرآن إلا الطريقة البرهانية المستقيمة لمن عقل وتدبر.

---

(١) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: دراسة بلاغية نحوية، بوعزة فتيحة، بو عزة هاجر- مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس من قسم الأدب في كلية الأدب واللغات والفنون بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة: (ص: ١٨).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ٣٢٧).

(٣) المصدر السابق نفسه: (٢/ ٣٢٨) وفيه تفصيل القسمين المشار إليهما.

وأيضًا فينبغي أن يعرف أن مدار ضرب المثل ونصب القياس على العموم والخصوص، والسلب والإيجاب؛ فإنه ما من خبر إلا وهو إما عام أو خاص؛ سالب أو موجب؛ فالمعين خاص محصور، والجزئي أيضًا خاص غير محصور، والمطلق؛ إما عام، وإما في معنى الخاص. فينبغي لمن أراد معرفة هذا الباب أن يعرف صيغ النفي والعموم؛ فإن ذلك يجيء في القرآن على أبلغ نظام.

مثال ذلك أن صيغة الاستفهام يحسب من أخذ ببادئ الرأي أنها لا تدخل في القياس المضروب؛ لأنه لا يدخل فيه إلا القضايا الخبرية، وهذه طلبية، فإذا تأمل وعلم أن أكثر استفهامات القرآن أو كثيرًا منها إنما هي استفهام إنكار: معناه الذم والنهي؛ إن كان إنكارًا شرعيًا، أو معناه النفي والسلب؛ إن كان إنكار وجود ووقوع».

ثم قال في هذا السياق: «النفي بصيغة الاستفهام المضمن معنى الإنكار، هو نفي مضمن دليل النفي، فلا يمكن مقابلته بمنع، وذلك أنه لا ينفى باستفهام الإنكار إلا ما ظهر بيانه أو ادعي ظهور بيانه، فيكون ضاربه؛ إما كاملًا في استدلاله وقياسه[1]، وإما جاهلًا، كالذي: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨]»[2].

تطبيقات على الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم:

مثَّل شيخ الإسلام ابن تيمية لدخول الاستفهام في القرآن في القياس المنصوب أو ضرب الأمثال من جهة المعنى، الذي قال إنه «يجيء في القرآن على أبلغ نظام»؛ بآيات؛ منها: قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الروم: ٢٨]. الآية، وكذلك قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. وقوله: في تعديد الآيات ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]. أي أفعل هذه إله مع الله؟ والمعنى مافعلها إلا الله، وقوله: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. وما معها[3][4].

---

(١) كما في الآيات الآتي ذكرها في التطبيقات على الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٤/ ٦٥).

(٣) وما معها: أي وما بعدها من الآيات وهي قوله تعالى: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور: ٣٦-٤٣].

(٤) مجموع الفتاوى: (١٤/ ٦٣).

وكذلك سائر الاستفهام في القرآن: ومنه قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] فالاستفهام هنا مستعمل في التعجيب والإنكار بقرينة قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ إلخ؛ أي: أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفيًا؛ لا تركن إليه النفس الرشيدة؛ لوجود ما يصرف عنه، وهو الأحوال المذكورة بعد، فكان من شأنه أن ينكر، فالإنكار متولد من معنى الاستفهام؛ ولذلك فاستعماله فيهما (يعني: في التعجيب والإنكار) من إرادة لازم اللفظ، وكأن المنكِر يريد أن يقطع معذرة المخاطَب فيظهر له أنه يتطلب منه الجواب بما يظهر السبب؛ فيبطل الإنكار والعجب حتى إذا لم يبد ذلك؛ كان حقيقًا باللوم والوعيد(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟! [التكوير: ٢٦] وهو جملة معترضة بين جملة ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥] وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: والفاء لتفريع التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن، وأنه وحي من الله بواسطة الملك.

و(أين) اسم استفهام عن المكان. وهو استفهام إنكاري عن مكان ذهابهم، أي طريق ضلالهم، تمثيلًا لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق الجادة؛ فيسأله السائل منكرًا عليه سلوكه؛ أي: اعدل عن هذا الطريق فإنه مضلة.

ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملًا في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن.

والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم؛ إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك؟!

واعلم أن جملة «أين تذهبون» قد أرسلت مثلًا، ولعله من مبتكرات القرآن، وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: (١/ ٣٧٤).

(٢) التحرير والتنوير: (٣٠/ ١٦٤).

رابعًا- الإعجاز في أسلوب القَسم في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه:

القسم في اللغة: اليمين بالله تعالىٰ، ومن معاني اليمين القوة.

ويعرّف القسم بأنه: توكيد حكم بربطه بمعظم(١)؛ بمعنىٰ: أن المقسِم بمقدار تعظيمه للمقسَم به؛ يؤكد الحكم المذكور.

ويسمى القسم يمينًا وحلفًا، وسمي يمينًا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.

والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتىٰ بالفعل (أقسم) أو (أحلف) متعديًا بالباء إلى المقسم به، ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمىٰ بجواب القسم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]. فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١ - الفعل الذي يتعدىٰ بالباء. ٢ - والمقسم به. ٣ - والمقسم عليه.

ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف، ويكتفىٰ بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]. وبالتاء في لفظ الجلالة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]. وهٰذا قليل، أما الواو فكثيرة(٢).

أسلوب القسم في القرآن:

لقد نزل القرآن بلغة العرب ومن عادتها القسم(٣) إذا أرادت أن تؤكد أمرًا أو خبرًا، وقد أفرد شيخ الإسلام الكلام علىٰ أقسام القرآن في رسالة(٤) ومما ذكره فيها قوله: «وهو سبحانه يقسم بأمور علىٰ أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل علىٰ أنه من عظيم آياته،

---

(١) شرح منتهى الإرادات، لابن النجار الفتوحي: (٥/ ٢٠٩).

(٢) الواضح في علوم القرآن (ص: ٢٠٧).

(٣) القسم: اسم من الإقسام وهو أخص من اليمين والحلف. الكليات: (ص:٧٢٥).

(٤) اسمها قاعدة في أقسام القرآن أو كتاب أقسام القرآن، كما ذكر الأول ابن القيم في كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام: (ص:١٨) وذكر الثاني ابن عبد الهادي في كتابه العقود الدرية ص٥٢، وقد طبعت ضمن مجموع الفتاوىٰ: (١٣/ ٣١٤-٣٢٨).

فالقسم؛ إما على جملة خبرية، وهو الغالب، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وإما على جملة طلبية، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]. مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به محض القسم، والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك؛ كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض، فهذه يقسم بها، ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب ﷻ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسمًا به، ولا ينعكس.

وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة، وهو الغالب، وتارة يحذفه، كما يحذف جواب لو كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله أيضًا: «وهو سبحانه وتعالى لما أقسم بـ[الصافات][٢] و[الذاريات][٣] و[المرسلات][٤] ذكر المقسم عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥-٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧]. ولم يذكره في النازعات[٥]، فإن الصافات هي الملائكة، وهو لم يقسم على وجودها، كما لم يقسم على وجود نفسه، إذ كانت الأمم معترفة بالصافات، وكانت معرفته ظاهرة عندهم لا يحتاج إلى إقسام، بخلاف التوحيد، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم، كما ذكر الله عن قوم نوح، وعاد وثمود، وفرعون، مع شركهم وتكذيبهم بالرسل، أنهم كانوا يعرفون الملائكة، قال قوم نوح -كما حكى الله عنهم-

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١٤-٣١٦.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١].

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١].

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١].

(٥) في سورة النازعات لم يذكر الجواب قال تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ١-٦]. الجواب: إنما توعدون لواقع...

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]. وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٣-١٤]. وقال فرعون -كما حكى الله عنه- ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].

وكذلك مشركو العرب قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

وقال تعالى عن الأمم مطلقًا: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥]. فكانت هذه الأمم المكذبة للرسل، المشركة بالرب مقرة بالله وبملائكته؛ فكيف بمن سواهم؟! فعلم أن الإقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم، فلهذا لم يقسم الله عليه، وإنما أقسم على التوحيد؛ لأن أكثرهم مشركون.

وكذلك [الذاريات] و[الحاملات] و[الجاريات] هي أمور مشهودة للناس[1]، و[المقسمات أمرًا] هي الملائكة، فلم يكن فيما أقسم به ماأقسم عليه، فذكر المقسم عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥-٦]. [المرسلات] سواء كانت هي الملائكة النازلة بالوحي والمقسم عليه الجزاء في الآخرة، أو الرياح، أو هذا وهذا[2] فهي معلومة أيضًا.

---

(١) فالذاريات: الرياح، والحاملات: السحاب، والجاريات: السفن الجارية. انظر: زاد المسير: (٨/ ٢٧-٢٨).

(٢) المرسلات فيها أربعة أقوال:

الأول: الرياح يتبع بعضها بعضًا، كما قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: الملائكة أرسلت بالمعروف قاله ابن مسعود وأبو هريرة ومقاتل.

الثالث: الرسل بما يعرفون به من المعجزات وهو معنى قول أبي صالح.

الرابع: الملائكة والريح قاله أبو عبيد وابن جرير الطبري.

انظر: تفسير ابن جرير: (٢٩/ ١٤١)، وزاد المسير: (٨/ ٤٤٤)، وتفسير ابن كثير: (٨/ ٣٢٠).

وأما ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١] فهي الملائكة، القابضة للأرواح، وهٰذا يتضمن الجزاء، وهو من أعظم القسم عليه». اهـ[1].

ومما يراد بالقسم بالإضافة إلىٰ تحقيق الخبر وتوكيده، ليكون أوقع في التلقي وأرجىٰ للقبول، وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية، والمشاهد الطبيعية، للتوصل منها إلىٰ خالقها، والتأمل فيها تأملًا يبين مبلغ نعمتها = بيان شرف المقسم به، وعلو قدره، حتىٰ يعرف الناس مكانته عند الله ورفعة منزلته لديه، كالقسم بحياة النبيّ ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. وكقوله تعالىٰ مبينًا شرف القرآن وقدره: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١].

ونقل السيوطي عن أبي القاسم القشيري أنه قال: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أو لمنفعة؛ فالفضيلة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٢-٣]. والمنفعة كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ [التين: ١][2].

الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن الكريم:

أسلوب القسم في القرآن أسلوب ينفرد بنسق خاص من التوكيد يقوم علىٰ علاقة وثيقة بين طرفي القسم (المقسم به والمقسم عليه)، وما يكون بين عناصرهما من ارتباط واتصال من جهات متنوعة؛ تختلف باختلاف هٰذه العناصر، وبخاصة العنصر الأهم الذي يعد المؤكد في هٰذا الأسلوب وهو «المقسم به»، إذ تختلف باختلافه جهات التوكيد القسمي، فترتبط في بعض المواضع بالعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وفي بعضها بالصلة بين المقسم وما يقسم به، وفي مواضع أخرىٰ بالعلاقة بين المقسم والمقسم له، أو المقسم والمقام الذي يقسم فيه.

ولكل عنصر من العناصر المقسم بها مقام خاص في النص القرآني كله، والقسم بكل نوع من الأنواع المقسم بها ذو صلة مطردة بهٰذا المقام، فالقسم باسم الرب -مثلًا- قد ارتبط بمقام الحديث عن الإيمان والكفر، وعن خصائص الربوبية ومقتضياتها من تأكيد البحث وغيره، وما إلىٰ ذٰلك مما له علاقة بمعاني هٰذا الاسم الكريم، علىٰ حين ارتبط القسم باسم الجلالة بمقام الحديث عن قضايا الألوهية وما يتصل بها من العبادة وغيرها، أو الحديث عن الوحدانية وإثباتها.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ: (١٣/ ٣١٨-٣٢٠).

(٢) الإتقان، للسيوطي (٢/ ١٠٤٨ - ١٠٥٠).

وللصورة الخاصة التي يرد عليها المقسم به في كل نوع من الأنواع المقسم بها علاقة بالموضع الذي وردت فيه، وبالمقسم عليه، وبالمخاطب بالقسم، وبمقام القسم، وسياقه، وموضوعه، وبسياق السورة التي جاء فيها القسم، كما أن من خصائص أسلوب القسم في القرآن الكريم اتصال مواضعه بعضها ببعض، وارتباطها فيما بينها في المضمون والصياغة على تباعد مواقعها في النص القرآني(١).

تطبيقات على الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن:

للقسم باسم الرب في صورة إضافته إلى ضمير المخاطب: (وربك) مواقع ليست له في صورة القسم بلفظ (وربي) أو (وربنا)؛ فالأولى ترد في مواقع التسلية والتأييد مع تأكيد الخبر المسوق، وهي في قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، والثانية ذات صلة بمقارعة الخصوم وصرفهم عن الحجاج مع تحقيق المقسم عليه من طريق رسوخ ثقة المخاطب في المقسم الذي يخاطبه، كما في قوله: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، والثالثة ترد في مقام الاسترحام والتضرع، كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وكذلك ما أضيف اسم الرب فيه الى اسم شيء من المخلوقات، وهو قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فإن له دلالة خاصة، إذ لم يأت إلا في خطاب الخلق كافة، شأنه في ذلك شأن القسم بالمخلوقات.

وللقسم بالاسم الشريف في صورتيه التي ورد عليها وجه اختصاص بالمواقع التي ورد فيها على تلك الصورة، فقد جاء في موضع واحد مع الواو: (والله) في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وجاء في المواضع الباقية مع التاء: (تالله)؛ منها قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣] وقوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]

---

(١) أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، لعلي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي: (٢/ ٥٣١).

وقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١] وكانت هٰذه الصورة المقترنة بالتاء ذات صلة بمعنى التعجب مع القسم، وذات ارتباط وثيق بالموقف النفسي للمقسم الذي يصدر منه القسم، أو بموقف نفسي يطلب من المخاطب أن يلتفت إليه ويشعر به، فهي ذات صلة بالسياقات المشتملة علىٰ بعض الانفعالات المتعلقة بالمتكلم أو المخاطب أو المقام أو السياق.

وكذٰلك القسم بأسماء المخلوقات فقد جاء في المواضع التي ورد فيها متناسبًا مع المقسم عليه، واتسقت الصورة المختارة فيه للمقسم به مع الموقع الخاص للقسم، ومع سياقه العام، والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه تقوم على التمثيل والتشبيه، والنظر إلىٰ ألفاظ المقسم به أقرب إلىٰ فهم دلالة الأسلوب من النظر إلىٰ شخوص الأشياء التي دلت عليها هٰذه الألفاظ[1].

ومن هٰذا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ١-٤]. أقسم تعالىٰ علىٰ إنعامه علىٰ رسوله وإكرامه له، وذٰلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم علىٰ صحة نبوته، وعلىٰ جزائه في الآخرة، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته؛ فتأمل مطابقة هٰذا القسم -وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل- المقسم عليه، وهو الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتىٰ قال أعداؤه: ودع محمدًا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل علىٰ ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه[2].

ومن وجوه الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه علىٰ أقسام القرآن حيث قال: «وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة، وهو الغالب، وتارة يحذفه، كما يحذف جواب لو كثيرًا، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

---

(١) ينظر: أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، لعلي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي: (١/ ١٥٢- ٤٦٤)، (٢/ ٥٣٢).

(٢) التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم: (ص: ١١٠).

ومثل هٰذا حذفه من أحسن الكلام؛ لأن المراد أنك لو رأيته لرأيت هولًا عظيمًا، فليس في ذكر الجواب زيادة علىٰ ما دل عليه الشرط»[1].

ومن القسم الذي حذف جوابه، وحذفه من أحسن الكلام: «قوله تعالىٰ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [و]الصحيح أن ﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ و﴿صٓ﴾؛ بمنزلة ﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓ﴾؛ تلك حروف مفردة، وهٰذه متعددة، وقد تقدمت الإشارة إلىٰ بعض ما فيها قبل...

وههنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه، وهو القرآن، فأقسم بالقرآن علىٰ ثبوته وصدقه، وأنه حق من عنده؛ ولذٰلك حذف الجواب، ولم يصرح به؛ لما في القسم من الدلالة عليه أو لأن المقصود نفس المقسم به»[2].

خامسًا- الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه:

تعريف الأمثال:

الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل علىٰ مناظرة الشيء للشيء. وهٰذا مثل هٰذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنىٰ واحد. وربما قالوا: مثيل كشبيه.

والمِثْل: المَثَل أيضًا، كشِبْه وشَبَه.

والمثل المضروب مأخوذ من هٰذا، لأنه يذكر مورّىٰ به عن مثله في المعنىٰ[3].

ومِثْل الشَّيْء وَمَثَله، كما تقول: شِبْهه وَشَبَهه ثمَّ جُعِل كل حِكْمَة سائرة مثلًا.

وقد يأتي القائل بما يحسن أَن يُتَمَثَّل به إِلَّا أَنه لا يتَّفق أَن يسير فلا يكون مثلاً.

وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك: ضرب في الأرض؛ إذا سار فيها، ومنه سمي المُضَارب مضاربًا.

وَيَقُولُونَ الْأَمْثَال: تُحْكىٰ؛ يعنون بذٰلك: أنَّها تضرب علىٰ ما جاءت عن العرب، ولا تغير صيغتها؛ فتقول للرجل: (الصَّيف ضيَّعتِ اللَّبن) فتكسر التَّاء لأنَّها حِكَايَة[4].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٣١٤-٣١٦.

(٢) التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم: (ص: ٦٤٣).

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس: (مثل).

(٤) جمهرة الأمثال، للعسكري: (١/ ٧).

والمَثَلُ البياني: قول سائر يشبَّه مضرِبُه (أي موضع ضربه) بمورده (يعني: بموضع وروده)، فالمورد هو الحالة الأصلية التي ورد فيها، والمضرب هو الحالة المشبَّهة[(١)].

وقيل في تعريفه أيضًا: المثل: عبارة عن قول في شيء؛ يشبه قولًا في شيء آخر؛ بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوِّره[(٢)].

الفرق بين المثل القرآني والمثل اللغوي:

بيَّن ابن تيمية ﵀ نوعي ضرب الأمثال، وهما: الأمثال المُعَيَّنة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر، والأمثال الكلية التي تارة تكون صفات، وتارة تكون أقيسة، وبيَّن أن ضرب المثل الكلي الذي هو القياس لا بد أن يشتمل على خبر عام وقضية كلية؛ وذلك هو المثل الثابت في العقل الذي تقاس به الأعيان المقصود حكمها، ثم قال: «وهذا الذي ذكرناه: الذي جاء به القرآن؛ هو ضرب الأمثال من جهة المعنى، وقد يعبر في اللغة بضرب المثل أو بالمثل المضروب عن نوع من الألفاظ؛ فيستفاد منه التعبير كما يستفاد من اللغة، لكن لا يستفاد منه الدليل على الحكم كأمثال القرآن، وهو أن يكون الرجل قد قال كلمة منظومة أو منثورة؛ لسبب اقتضاه، فشاعت في الاستعمال، حتى صار يعبر بها عن كل ما أشبه ذلك المعنى الأول، وإن كان اللفظ في الأصل غير موضوع لها[(٣)]،

---

(١) نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، للإسنوي: (ص: ٥٥)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): (٢/ ٢٢٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن: (ص: ٤٦٤)، انظر: اللسان: (١١/ ٦١٠).

(٣) تكلم العلماء في حكم استعمال الآيات أمثالًا فقالوا:

أ- إن كان القائل بذلك قصدها لاستهزاء والاستخفاف بالقرآن حرم وقائله يكفر بذلك وفيه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ب- وماعدا ذلك فيه قولان:

الأول: أنه يحرم جعل القرآن بدلًا من الكلام وقالوا هو صرف لكلام الله عن وجهه الذي أريد به واستعمال له في غير ماهو له كاستعمال المصحف للتوسد، وممن قال بهذا ابن قدامة والحجاوي وابن مفلح والسفاريني وابن القيم وغيرهم.

القول الثاني: إنه يكره جعل القرآن بدلًا من الكلام وقال به القرطبي والباجوري وأبو عبيد وغيرهم.

انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٥٨، البرهان للزركشي ١/ ٤١٣، والإتقان للسيوطي: (١/ ٣١٦)، وآداب القاري والقراءة لكتاب الله (ماجستير) بالجامعة الإسلامية إعداد عبد العزيز الجربوع: (ص: ٩٩٥-٩٩٩)، والاقتباس من القرآن والحديث، للأستاذ الدكتور عبد المحسن العسكر.

فكأن تلك الجملة المثلية نقلت بالعرف من المعنى الخاص إلى العام، كما تنقل الألفاظ المفردة، فهٰذا نقل في الجملة؛ مثل قولهم: «يداك أوكتا وفوك نفخ»(١) وهو موازٍ لقولهم: «أنت جنيت هٰذا» لأن هٰذا المثل قيل ابتداءً لمن كانت جنايته بالإيكاء والنفخ، ثم صار مثلًا علمًا.

وكذٰلك قولهم: «الصيف ضيعت اللبن»(٢) مثل قولك: «فرطت وتركت الحزم، وتركت ما يحتاج إليه وقت القدرة عليه حتىٰ فات» وأصل الكلمة قيلت للمعنى الخاص. وكذٰلك «عسى العيدا بؤسًا»(٣) أي: أتخاف أن يكون لهٰذا الظاهر الحسن باطن رديء؟ فهٰذا نوع من البيان يدخل في اللغة والخطاب، فالمتكلم به حكمه حكم المبين بالعبارة الدالة، سواء كان المعنىٰ في نفسه حقًا أو باطلًا، إذ قد يتمثل به في حق من ليس كذٰلك، فهٰذا تطلبه في القرآن من جنس تطلب الألفاظ العرفية(٤)، فهو نظر في دلالة اللفظ على المعنىٰ، لا نظر في صحة المعنىٰ ودلالته على الحكم.

وليس هو المراد بقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

---

(١) انظر: جمهرة الأمثال للعسكري: (٢/ ٣٣٤)، ومجمع الأمثال للميداني ٣/ ٥١٩ وأصله «أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر علىٰ زق نفخ فيه فلم يحسن إحكامه، حتىٰ إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق فلما غشيه الموت استغاث برجل فقال له: «يداك أوكتا وفوك نفخ» وهو يضرب لمن يجني علىٰ نفسه الحين. مجمع الأمثال للميداني: (٣/ ٥١٩).

(٢) جمهرة الأمثال للعسكري: (١/ ٤٧٣) وأصله: أن عمرو بن عمرو بن عدس تزوج بنت عمه بعد ما أسن، وكان أكثر قومه مالًا، ففركته، فطلقها، فتزوجها فتىٰ ذو شباب وجمال، فأغارت عليهم بكر بن وائل، فنبهته، فجعل يقول: الغارة، ويضرط حتىٰ مات، فأخذوها سبية، فأدركهم الحي وعمر بن عمرو فاستنقذوها، وقال فيها شعرًا، فتزوجت منهم شابًا مملقًا، فمرت بها إبل عمرو كأنها الليل، فقالت لخادمها: قولي له ليسقينا من اللبن، فأتته، فقال: قولي لها: «الصيف ضيَّعتِ اللبن» فذهبت مثلًا.

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤٥)، وفيه (عسى الغُويرُ أبؤسًا) ومعجم الأمثال للميداني: (٢/ ٣٤١) وفيه (عسىٰ الغوير أبؤسًا).

والغوير: تصغير غار، والأبؤس جمع بأس. اللسان: (٥/ ٣٥و٦/ ٢٣).

وأصله من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير علىٰ طريقه «عسى الغوير أبؤسًا أي لعل الشر يأتيكم من قِبَل الغار. مجمع الأمثال للميداني: (٢/ ٣٤١).

(٤) العُرْف: ما استقرت النفوس عليه وتلقته الطبائع بالقبول. التعريفات: (ص: ١٤٩).

فتدبر هٰذا؛ فإنه يجلو عنك شبهة لفظية ومعنوية.

وهٰذه الأمثال اللغوية أنواع؛ موجود في القرآن منها أجناسها، وهي معلنة ببلاغة لفظه ونظمه، وبراعة بيانه اللفظي، والذين يتكلمون في علم البيان وإعجاز القرآن يتكلمون في مثل هٰذا»[١].

والمقصود أن المثل في القرآن أعم مما قد يعبر عنه في اللغة.

الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

يمتاز تصوير الأمثال في القرآن الكريم عن غيره من الأمثال الأدبية بأنه لم ينقل من حادثة معيّنة، أو متخيّلة، وإنما هو أسلوب قرآني مبتكر في أدائه، وطريقته، وغايته، فهو لا يحذو حذو غيره، ولا يستقي من مورد سابق عليه، كما هو معروف في الأمثال العربية بل هو كما يقول منير القاضي: «نوع آخر أسماه القرآن مثلًا من قبل أن تعرف علوم الأدب المثل، ومن قبل أن تسمي به نوعًا من الكلام المنثور، وتضعه مصطلحًا له، بل من قبل أن يعرف الأدباء المثل بتعريفهم»[٢].

ومن خصائص الأمثال القرآنية: دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية، وتصويرها تصويرًا ذا أبعاد مكانية وزمانية؛ تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة، ومن خصائصه صدق المماثلة بين المثل والممثل له، والتنويع في عرض الأمثال، مرة بالعرض المفاجئ، وبالتمثيل البسيط، وأخرىٰ بالتمثيل المركب الذي يطابق كل جزء منه جزءًا من الممثل له، وأخرىٰ بالتمثيل المركب الذي ينتزع منه وجه الشبه بنظرة كلية عامة وغير ذٰلك من فنون القول وأساليبه، والبناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له، على اعتبار أن المثل قد كان وسيلة لإحضار صورة الممثل له في ذهن المخاطب ونفسه، وإن حضرت صورة الممثل له ولو تقديرًا، فالبيان البليغ يستدعي تجاوز الممثل، ومتابعة الكلام عن الممثل له، وتسقط صورة المثل لتبرز القضايا المقصودة، وكثيرًا ما يحذف من المثل القرآني مقاطع من الصورة التمثيلية، اعتمادا علىٰ ذكاء أهل الاستنباط، إذ باستطاعتهم أن يتصوروا في أذهانهم كامل الصورة، ويتموا ما حذف منها[٣].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ: (١٤/ ٦٣-٦٥).

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، لعبد السلام راغب: (ص: ١٥٨).

(٣) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمٰن الميداني: (ص: ١١٥).

كما قال عبد القاهر الجرجاني: «التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية الىٰ صورته، كساها أُبَّهَةً، وكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع علىٰ أن تعطيها محبة وشغفًا؛ فإن كان مدحـًا كان أبهىٰ وأفخمَ، وأنبلَ في النفوس وأعظمَ، وأهزَّ للعِطْف، وأسرعَ للإلف، وأجلبَ للفرح، وأغلبَ على الممتدح، وأوجَبَ شفاعة للمادح، وأقضىٰ له بغرّ المواهب والمنائح، وأيسرَ على الألسن وأذكرَ، وأولىٰ بان تعلقه القلوب وأجدرَ، وإن كان ذمًا كان مَسُّه أوجعَ، ومِيسمه ألذَع، ووقعه أشدَّ، وحدُّه أحدَّ، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنورَ، وسلطانه أقهرَ، وبيانه أبهَر، وإن كان افتخارًا كان شأوه أبعدَ، وشرفه أجدَّ، ولسانه ألدَّ.

وإن كان اعتذاراً كان إلى القلوب أقربَ، وللقلوب أخلبَ، وللسخائم أسلّ، ولغرب الغضب أفلَّ، وفي عُقَد العقود أنفثَ، وعلىٰ حسن الرجوع أبعثَ، وإن كان وعظًا كان أشفىٰ للصدر، وأدعى الى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يَجْلي الغياية(١)، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل... وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه، وتتبعت أبوابه وشعوبه»(٢).

ثم ذكر آيات مناسبة لما بيَّنه من تأثير مجيء التمثيل في أعقاب المعاني.

وأمثال القرآن الكريم مستوفية لهذه الخصائص إلىٰ حدِّ الإعجاز -ولا شك- فالإيجاز فيه من الدقة بحيث يسع اللفظ الواحد من المعاني المرادة ما لا تسعه المجلدات الضخام.

ولكننا نجد الأمثال السائدة في كلام الناس تعوزها الدقة أو الطلاوة، أو البراعة في التعبير، أو حسن الحبكة في كثير من الأحيان.

وكثير منها يخلو من صفة الثبات والخلود، فتتبعثر وتتلاشىٰ مع مَرِّ العصور.

أما أمثال القرآن الكريم فهي قواعد كلية تجتمع تحتها كل القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية، وهي -كما قال ابن القيم-: «كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها»(٣)؛

---

(١) الغياية: ضوء شعاع الشمس، قعر البئر، وكل ما أظل الإنسان كالسحابة والغبرة. حاشية «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، لبديع الزمان سعيد النورسي»: (ص: ١١٤).

(٢) أسرار البلاغة: (ص: ١١٥).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم: (١/ ١٤٨).

لذا كانت خالدة على مرِّ الزمان، صالحة لكل عصر ومكان، مقبولَة عند الخاصة والعامة، مستسَاغَة لدى الطباع المستقيمة، والعقول السليمة، لها جلال تشعر بوقعه القلوب المؤمنة، وجمال تستشفه الأذواق المعتدلة، ويجد فيها أصحاب الحسِّ المرهف كمالًا في رسم صور المعاني المرادة، لا يجدونه في غيرها.

فأين قولهم مثلًا: «القتل أنفى للقتل» من قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] ؟![1]

إن تشبيهات القرآن وأمثاله صور حية تعبِّر عن الواقع، لا تعدوه إلى غيره، ومع ذلك تجدها لا تخلو من الإمتاع العاطفي، والتأثير الوجداني، بما اشتملت عليه من ألوان المعاني والبيان والبديع، الذي يخلو تمامًا من التكلُّف والاعتساف، مع رقَّةٍ في النظم والحواشي والفواصل، ومتعة عظيمة لكل ذوَّاقة لفنون الكلام البليغ في أسمى صوره، وأبهى معانيه.

وقد نظر العلماء في أسلوب المثَل بوجه عام، وأسلوب المثل القرآني بوجه خاصٍّ، وبيَّنُوا الفرق الشاسع بين الأسلوبين، وذكروا أنه لا موازنة بينهما البتة، فأين كلام الناس من كلام الله تعالى؟![2]

ولذلك عدَّ الماوردي علم أمثال القرآن: من أعظم علوم القرآن، «والناس في غفلة عنه باشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثلات».

كما عدَّه الشافعي ﷺ مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفته (يعني: المجتهد) ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله -جل شأنُه- الأمثالَ في القرآن تذكيرًا ووعظًا مما اشتمل فيها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام[3]. وقال الزركشي في «البرهان»: ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة[4].

---

(١) دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل: (ص: ٣٠٦).

(٢) المصدر السابق نفسه: (ص: ٣٣٥).

(٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي: (٧/ ٣٢٧).

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/ ٤٨٧).

قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد.

وأمثال القرآن الكريم في الذروة العليا في جميع ما أشير إليه من الفوائد العامة؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية، ومنهج حياة، يجد الناس جميعًا فيه ما يحتاجون إليه من مقوِّمات التقدُّم والبناء، والإصلاح الخلقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ويستطيعون أن يكتفوا به عن التشريعات التي وضعها الإنسان بعقله القاصر، ونظره المحدود[1].

تطبيقات على الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهذه الآية كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثل سبحانه بهذا المثل إحضارًا لصورة التضعيف فى الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض؛ فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة، فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني؛ فيقوى إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق.

وتأمل كيف جمع السنبلة فى هذه الآية على سنابل وهي من [جموع] الكثرة، إذ المقام مقام تكثير وتضعيف، وجمعها على سنبلات في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، فجاءَ بها على جمع القلة؛ لأن السبعة قليلة، ولا مقتضى للتكثير. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قيل: المعنى: والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاءُ لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاءُ، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق فى نفسه، [وفي صفات] المنفق وأحواله [و] في شدة الحاجة، وعظيم النفع، وحسن الموقع.

وقيل: والله يضاعف لمن يشاءُ فوق ذلك؛ فلا يقتصر به على السبعِمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة.

واختلف في تفسير الآية فقيل: مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة. وقيل: مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة، ليطابق الممثل للممثل به. [فها هنا] أربعة أُمور: منفق، ونفقة، وباذر، وبذر. فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه، فذكر من شق الممثل المنفق؛

(١) دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل: (ص: ٢٩٢).

إذ المقصود ذكر حاله وشأنه، وسكت عن ذكر النفقة؛ لدلالة اللفظ عليها. وذكر من شق الممثل به البذر؛ إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة، وترك ذكر الباذر؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره.

فتأمل هٰذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان. وهٰذا كثير في أمثال القرآن، بل عامتها ترد علىٰ هٰذا النمط(١).

ومن أمثال القرآن قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء، كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هٰذا المثل: أن هٰؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء؛ فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، فهٰذه أربعة مواضع في القرآن تدل علىٰ أن من اتخذ من دون الله وليًا؛ يتعزز به، ويتكثر به، ويستنصر به؛ لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي القرآن أكثر من ذٰلك، وهٰذا من أحسن الأمثال وأدلها علىٰ بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله علىٰ ضد مقصوده.

فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت؛ فكيف نفىٰ عنهم علم ذٰلك بقوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾؟

فالجواب: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفىٰ علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتًا؛ فلو علموا ذٰلك؛ لما فعلوه، ولٰكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزًا وقوة؛ فكان الأمر بخلاف ما ظنوا(٢).

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم: (ص: ٣٦٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم: (١/ ١١٩).

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢] وهذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته؛ كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، ولما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن ذمه؛ كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن؛ كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متمتعًا بعرض أخيه متفكهًا بغيبته وذمه متحليًا بذلك؛ شبَّه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبًا لذلك معجبًا به؛ شبَّه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه المحسوس، وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يحب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم؛ فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟! فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبَّه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم، وهم أشد شيء نفرة عنه؛ فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه، وبالله التوفيق(١).

سادسًا- الإعجاز في أسلوب القصص القرآني، وتطبيقات قرآنية عليه، والرد على شبهة وجود اختلاف التعبير بين قصص القرآن:

القصص لغة:

ورد في مقاييس اللغة: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقْتَصَصْتُ الأثر؛ إذا تَتَبَّعْتَه.

ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يُفْعَل به مثل فِعْلِه بالأول، فكأنه اقتص أثره.

ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يُتَتَبَّع فيُذْكَر(٢).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم: (١/ ١٣٠- ١٣١).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس: (قص).

تعريف القصص القرآني:

يمكن أن تعرف قصص القرآن بأنها: آيات القرآن التي يتتبع فيها ما جرىٰ من الأمم وعليها، وأقوال الأنبياء وأفعالها؛ للعبرة والعظة وتثبيت رسول الله ﷺ، وأمته، وإظهار صدقه، وإحياء ذكرىٰ من سبقه من الأنبياء[1].

قال ابن تيمية ﵀ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠] مبينًا حِكَم إيراد القصص في القرآن: «وفي قصص هذه الأمور عبرة للمؤمنين بهم؛ فإنهم لا بد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك؛ ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلىٰ خير، فليتيقن المرتاب، ويتوب المذنب، ويقوىٰ إيمان المؤمنين؛ فبها يصح الاتساء بالأنبياء، كما في قوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتثبيت ليُتَأسىٰ بهم في الصبر علىٰ ما كُذِّبوا وأُوذوا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]... ولنا؛ لأنه أسوة في ذلك؛ ما هو كثير في القرآن؛ ولهذا قال: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]. وقال ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣] وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠][2].

الإعجاز في أسلوب القصص القرآني:

أسلوب القصص القرآني الذي هو طريقة نظم القرآن للقصص وما يشتمل عليه من إيجاز أو إطناب، وذكر أو حذف، وتقديم أو تأخير، ونسق، وجرس تعرفه الأذن، وهيبة تركيبية، وألفاظ خاصة؛ عجيبٌ معجز، لا يتسنىٰ لأحد الإتيان بمثله، ولا يقل في إعجازه عن غيره، فلا فرق بين آيات الكتاب في الفضائل والمزايا العجاب، وثلث القرآن قصص[3]، ويتميز بأن فيه أفكارًا جديدة، وصورًا رفيعة؛ فالمعاني عند البلغاء تقصد إلىٰ فكرة سامية في أي غرض من أغراض القول، وتشتمل عند كثير منهم علىٰ ما يبديه المتكلم من معنىٰ غير مطروق، مما يملأ النفوس روعة وإعجابًا بالفكرة المبتكرة.

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن: (ص: ٣٠٦)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: (ص: ٤٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ: (١٥/ ١٧٨- ١٧٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: (٧/ ٢٧٣).

ومن وجوه الإعجاز في القصص القرآني أن محمدًا ﷺ لم يكن كاتبًا ولا قارئًا، ولا عُرِف عنه أنه جلس إلىٰ أحبار اليهود والنصارىٰ، ثم جاء بقصص إبراهيم ويوسف وموسىٰ وعيسىٰ -عليهم السلام- وغيرها في القرآن في دقة وإسهاب، كما اعترف بذلك من يعرفه ممن أفنىٰ عمره بتعلم ذلك؛ فهذا دليل علىٰ أن القرآن وحيٌ يُوحىٰ... كما بيَّن هذا القرآن في مقدمات بعض القصص أو ذيولها[1]. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وقال: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

تطبيقات على الإعجاز في أسلوب القصص القرآني:

استعرض شيخ الإسلام ابن تيمية قصص الأنبياء إجمالاً في بيان معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] فقال في ذلك: ليس المراد بقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قصة يوسف وحدها بل هي مما قصَّه الله، ومما يدخل في أحسن القصص؛ ولهذا قال تعالىٰ في آخر السورة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩-١١١] فبين أن العبرة في قصص المرسلين، وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم، وعاقبتهم بالنصر.

ومن المعلوم أن قصة موسىٰ وما جرىٰ له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثير؛ ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن؛ ثناها الله أكثر من غيرها، وبسطها وطولها أكثر من غيرها؛ بل قصص سائر الأنبياء -كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المرسلين- أعظم من قصة يوسف؛ ولهذا ثنى الله تلك القصص في القرآن، ولم يثن قصة يوسف، وذلك لأن الذين عادوا يوسف لم يعادوه على الدين بل عادوه عداوة دنيوية، وحسدوه علىٰ محبة أبيه له، وظلموه فصبر واتقى الله، وابتلي صلوات الله عليه بمن ظلمه، وبمن دعاه إلى الفاحشة؛

---

(١) ينظر: الوحي والإعجاز القصصي في القرآن الكريم، لسعيد عطية علي مطاوع: (ص: ١٩ وما بعدها)، قصة أصحاب القرية دروس وعبر: (١/ ٩ وما بعدها)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: (ص: ٢٤١).

فصبر واتقى الله في هٰذا وفي هٰذا، وابتلي أيضًا بالملك؛ فابتلي بالسراء والضراء؛ فصبر واتقىٰ الله في هٰذا وهٰذا؛ فكانت قصته من أحسن القصص، وهي أحسن من القصص التي لم تقص في القرآن... وهٰذا كما أن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين كل منهما هي في جنسها أحسن من غيرها؛ فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك، وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة. فقوله تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ يتناول كل ما قصه في كتابه؛ فهو أحسن مما لم يقصه؛ ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن.

وأما قصة نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وغيرهم صلوات الله عليهم فتلك أعظم، والواقع فيها من الجانبين؛ فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلىٰ توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته وأمره ونهيه ووعده ووعيده، ومجاهدة المكذبين لهم، والصبر علىٰ أذاهم؛ هو أعظم عند الله؛ ولهٰذا كانوا أفضل من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه؛ أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه؛ أولئك أولوا العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣] وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة، وبهم أمر خاتم الرسل أن يقتدىٰ في الصبر؛ فقيل له: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فقصصهم أحسن من قصة يوسف؛ ولهٰذا ثناها الله في القرآن لا سيما قصة موسىٰ. قال الإمام أحمد بن حنبل: أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسىٰ.

ثم قال: والمقصود هنا أن قوله تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] المراد الكلام الذي هو أحسن القصص، وهو عام في كل ما قصه الله، لم يخص به سورة يوسف؛ ولهٰذا قال: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف: ٣] ولم يقل بما أوحينا إليك هٰذه السورة، والآثار المأثورة في ذٰلك عن السلف تدل كلها علىٰ ذٰلك، وعلىٰ أنهم كانوا يعتقدون أن القرآن أفضل من سائر الكتب، وهو المراد.

والمراد من هذا حاصل على كل تقدير؛ فسواء كان أحسن القصص مصدرًا أو مفعولًا أو جامعًا للأمرين؛ فهو يدل على أن القرآن وما في القرآن من القصص؛ أحسن من غيره، فإنا قد ذكرنا أنهما متلازمان؛ فأيهما كان أحسن؛ كان الآخر أحسن؛ فتبين أن قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] كقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، والآثار السلفية تدل على ذلك، والسلف كانوا مقرين بأن القرآن أحسن الحديث، وأحسن القصص، كما أنه المهيمن على ما بين يديه من كتب السماء[١].

ومن الإعجاز في أسلوب القصص القرآني: قوله تعالى في قصة نوح في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٥- ٧٩]. ففي هذه الآيات إخبار عن نوح بأنه سأل الله، دون ذكر المسألة؛ فقد بينها الله في سورة نوح بقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾. إلى قوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. ولكن المعنى الجديد العجيب في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩] فهذه فكرة مستجدة، وإيماءة رائعة؛ لم يسبق إبرازها من قبل، وهو أن الله سبحانه ترك سائر الأمم يسلموا عليه إلى أبد الآبدين، فانظر كيف أن الله قد سمى ذلك التقدير العالمي والثناء الإنساني، وعن مثل هذا المعنى عبَّر الله سبحانه في قصة إبراهيم عليه السلام، وهو يسأله فيقول: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. بمعنى الذكر الحسن، والثناء الجميل، ولكن التصوير مختلف في المقامين، مع أنه في كل منهما رائع وجميل.

ومن الإعجاز في أسلوب القصص القرآني الإيجاز المعجز؛ بتأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة؛ لذلك فإن الفهم الدقيق لإيحاءات القرآن وإشاراته تستدعي يقظة متواصلة في قراءته، وفكرًا واعيًا لتدبر مراميه، وحسًا مرهفًا لتذوق معانيه؛ فعندما نتأمل الآية التالية التي وردت في سياق قصة يوسف نجد أنها كانت مصدرًا لإيحاءات كثيرة؛ من المعاني التي تحملها: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠][٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠- ٣٩).

(٢) ينظر: الوحي والإعجاز القصصي في القرآن الكريم: (ص: ١٩ ومابعدها).

قال ابن القيم ﷺ هٰذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

أحدها: قولهن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]، ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل؛ فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها، وذٰلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حر، وذٰلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من طلب ذٰلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: أنها هي المراودة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتىٰ وصل حبها له إلىٰ شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هٰذا أنه أعف منها وأبر وأوفىٰ، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافًا وكرمًا وحياءً، وهٰذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع، حالًا واستقبالاً: وأن هٰذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها. وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفًا، وفلان يقري الضيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكَلَّ؛ فإن هٰذا يدل علىٰ أن هٰذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يوسف: ٣٠]؛ أي: إنا لنستقبح منها ذٰلك غاية الاستقباح، فنسبن الاستقباح إليها، ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضًا على الهوىٰ، ولا يكدن يرين ذٰلك قبيحًا، كما يساعد الرجال بعضهم بعضًا علىٰ ذٰلك، فحيث استقبحن منها ذٰلك؛ كان هٰذا دليلًا علىٰ أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هٰذا الكلام واللوم بين العشق المفرط، والطلب المفرط؛ فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها. أما العشق فقولهن: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]؛ أي: وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها. وأما الطلب المفرط فقولهن: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠]. والمراودة: الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلىٰ شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة.

فلما سمعت بهٰذا المكر منهن؛ هيأت لهن مكرًا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن وخبأت يوسف عليه السلام عنهن.

وقيل: إنها جملته وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة، فلم يرعهن إلا وأحسن خلق الله وأجملهم قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذٰلك المنظر البهي، وفي أيديهن مدىٰ يقطعن بها ما يأكلنه؛ فدهشن حتىٰ قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن.

وقد قيل: إنهن أبنَّ أيديهن، والظاهر خلاف ذٰلك، وإنما تقطيعهن أيديهن: جرحها وشقها بالمدىٰ لدهشهن بما رأين، فقابلت مكرهن القولي بهٰذا المكر الفعلي، وكانت هٰذه في النساء غاية في المكر(١).

ففي الآية إيجاز لا مثيل له في غير القرآن.

الرد علىٰ شبهة: اختلاف التعبير بين قصص القرآن؛ تكرار لها بالمعنىٰ؛ يخل بالبلاغة(٢):

هٰذه الشبهة التي قد ترد في شأن التعبير القرآني لقصص السابقين، فندها العلماء رحمهم الله، وردوا عليها وكشفوا بطلانها، وأظهروا الحكمة في التعبير القرآني، فالتكرار الذي يحدث في بعض مشاهد القصة القرآنية، يؤدّي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن إبرازها علىٰ وجه واحد من وجوه النظم، بل لا بدّ أن تعاد العبارة، مرّة بعد مرّة، لكي تحمل في كل مرة بعضًا من مشخّصات المشهد، وإن كانت كل عبارة منها تعطي صورة مقاربة للمشهد كله(٣).

الحكمة في اختلاف التعبير بين قصص القرآن:

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله: «وفيما ذكرنا ما يدفع عنكم هاجسًا رأيته خطر لكثير من أهل اليقين والمتشككين، وهو أن يقال: لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها؟ وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟ وربما تطرق هٰذا الهاجس ببعضهم إلىٰ مناهج الإلحاد في القرآن.

والذي يكشف لسائر المتحيرين حيرتهم على اختلاف نواياهم وتفاوت مداركهم أن القرآن -كما قلنا- هو بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتآليف، وفوائد القصص تجتلبها

---

(١) إغاثة اللهفان: (٢/ ١١٥- ١١٧).

(٢) ينظر أيضًا: الرد علىٰ شبهة وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته؛ السابق ذكره.

(٣) التفسير القرآني للقرآن: (١٠/ ١٠٠).

المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرًا لها؛ لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرىٰ. كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلىٰ أن وقف خطيبًا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة: إنه أعاد الخطبة، بل إنه أعاد معانيها، ولم يعد ألفاظ خطبته. وهٰذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هٰذا المقصد الخطابي ثم تحصل معه مقاصد أخرىٰ.

أحدها: رسوخها في الأذهان بتكريرها.

الثاني: ظهور البلاغة، فإن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ؛ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات؛ مثل: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ﴾ [فصلت: ٥٠]. وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذٰلك؛ كان من الحدود القصوىٰ في البلاغة، فذٰلك وجه من وجوه الإعجاز.

الثالث: أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم؛ فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من تطلّبه من حافظيه.

الرابع: أن جمع المؤمنين جميع القرآن حفظًا كان نادرًا، بل تجد البعض يحفظ بعض السور؛ فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالمًا بتلك القصة كعلم من حفظ سورة أخرىٰ ذكرت فيها تلك القصة.

الخامس: أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر؛ وذٰلك لأسباب:

منها تجنب التطويل في الحكاية الواحدة؛ فيقتصر علىٰ موضع العبرة منها في موضع، ويذكر آخر في موضع آخر؛ فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كمال القصة أو كمال المقصود منها، وفي بعضها ما هو شرح لبعض.

ومنها أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبًا للحالة المقصودة من سامعيها، ومن أجل ذٰلك تجد ذكرًا لبعض القصة في موضع، وتجد ذكرًا لبعض آخر منها في موضع آخر؛

لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة تساق إلى المشركين، وتارة إلىٰ أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين، وتارة إلىٰ كليهما، وقد تساق للطائفة من هٰؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرىٰ، وبذٰلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز علىٰ حسب المقامات، ألا ترىٰ قصة بعث موسىٰ؛ كيف بسطت في سورة طه وسورة الشعراء، وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥-٣٦].

ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه علىٰ خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذٰلك.

فهٰذه تحقيقات سمحت بها القريحة، وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة[(١)]».

وقد قال الزركشي: «إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفىٰ ما فيه من الفصاحة»[(٢)].

وفوائد اختلاف التعبير بين قصص القرآن كثيرة؛ منها مع ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور:

١- تأكيد التحدي الذي جاء به القرآن لمشركي العرب أن يأتوا بشيء من مثله، فقد كشف هٰذا التنوع في العبارة عن عجزهم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبَّروا.

٢- إذهاب السآمة والملل عن القصة، وذٰلك أن العرض الجديد يشد الأسماع، ويلفت الأنظار، ويبقي صلة المتعة والفائدة بين القارئ والنص المقدس، وهٰذا من المقاصد العظيمة أيضًا؛ فيجد البليغ ميلًا إلىٰ سماعها؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير: (١/ ٦٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (٣/ ٢٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (٣/ ٢٦-٢٩). وقد أورد سائر ما بيَّنه الزركشي من فوائد تكرار القصص في القرآن: جوابٌ في «موقع الإسلام سؤال وجواب» عن الحكمة في اختلاف اللفظ القرآني للحدث أو الموقف.

الحكمة في اختلاف التعبير بين قصص القرآن

- اجتلاب المناسبات لها.
- رسوخها في الأذهان بتكريرها.
- أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة.
- تأكيد التحدي للناس بأن يأتوا بشيء مثل القرآن.
- التفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها.
- أن يذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر.
- إذهاب السآمة والملل عن القصة.



خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٤-٥)

* أسلوب القرآن هو: الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن الكريم في إفادة المعاني بالألفاظ.

* أسلوب القرآن فوق كل أسلوب، لم ينفتح من أبواب عجائبه إلّا قطرة من بحر.

* أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معًا، ويجمع بين الحق والجمال معًا.

خصائص الأسلوب القرآني:

١- عدم القدرة على الإتيان بمثله، ومباينته لأساليب العرب، وعلو فصاحته، وحسن تأليفه.

٢- تناسب ألفاظه ومعانيه وجميع أجزائه.

٣- تصريف المعاني والقصص والأحوال بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة كثيرة؛ لا تفاوت بينها.

٤- وضوحه ودقة تعبيره، وجمعه بين الإجمال والبيان مع أنهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد للناس.

٥- ثراء معانيه، واحتمال اللفظ فيه لأكثر من معنىً، واحتمال سياقه لأكثر من معنىً، وتعدد المعنىٰ فيه بتعدد القراءات، وبحسب الوقوف، ومع التكرار والترادف والإيجاز والإطناب، وتجدد المعاني فيه، وتصديق بعضها بعضًا.

٦- تأثيره في النفوس، وجلاله وروعته، وسموه ورفعته، وجماله وواقعيته، وصدقه، وقوة حجته وإقناعه.

* التكرار في الاصطلاح: «إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعدًا».

* ليس في القرآن لفظة واحدة زائدة لا تفيد معنىً، ولا كلمة قد فُهم معناها [مما] قبلها؛ فأُعيدت لا لمعنىً، أو لمجرد التأكيد المحض دون فائدة جديدة.

* الترادف في ألفاظ القرآن؛ إما نادر، وإما معدوم، وقلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن.

* هناك اشتراك في المعنى في الكلمات التي يظن بأنها مترادفة، وهناك فروق دقيقة أيضًا؛ فالقائلون بالترادف يلتفتون إلى المعنى المشترك ويركزون عليه، والقائلون بالفروق يهتمون بالتركيز على إبراز هذه الفروق الدقيقة، ويعتبرون الترادف في المعنى المشترك من قبيل التقريب لا التحقيق الدقيق للمعنى، ووجود هذا القدر المشترك هو الذي يسمح بتبادل الألفاظ، والتعبير عن اللفظة بالأخرى.

* الإنشاء في القرآن أحكم الإنشاء.

* خبر القرآن لا يحتمل الكذب، بل خبره أصدق الخبر، وخلاف خبره كذب.

* خلاف أمر القرآن الكوني مستحيل، وخلاف أمره الشرعي ظلم.

* لم يأت أحد ببينة على أن في القرآن خبرًا كذبًا أو إنشاءً فيه ظلم أو جهل، كما لا يقدر أحد على الإتيان بمثل خبر القرآن وإنشائه.

* ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به؛ إذ قد وضعه الله عندها.

* الاستفهام في القرآن قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء.

* أكثر استفهامات القرآن أو كثيرًا منها إنما هي استفهام إنكار: معناه الذم والنهي؛ إن كان إنكارًا شرعيًا، أو معناه النفي والسلب؛ إن كان إنكار وجود ووقوع.

* قد يأتي الاستفهام الحقيقي في القرآن، ولكنه محكيٌّ عن البشر من الأنبياء وغيرهم، أو من الجن.

* الاستفهام يجيء في القرآن على أبلغ نظام.

* أسلوب القسم في القرآن أسلوب ينفرد بنسق خاص من التوكيد يقوم علىٰ علاقة وثيقة بين طرفي القسم (المقسم به والمقسم عليه)، ومايكون بين عناصرهما من ارتباط واتصال من جهات متنوعة؛ تختلف باختلاف هٰذه العناصر، وبخاصة العنصر الأهم الذي يعد المؤكد في هٰذا الأسلوب وهو «المقسم به»، إذ تختلف باختلافه جهات التوكيد القسمي، فترتبط في بعض المواضع بالعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وفي بعضها بالصلة بين المقسم وما يقسم به، وفي مواضع أخرىٰ بالعلاقة بين المقسم والمقسم له، أو المقسم والمقام الذي يقسم فيه.

* المثل في القرآن أعم مما قد يعبر عنه في اللغة.

* يمتاز تصوير الأمثال في القرآن الكريم عن غيره من الأمثال الأدبية بأنه لم ينقل من حادثة معيّنة، أو متخيّلة، وإنما هو أسلوب قرآني مبتكر في أدائه، وطريقته، وغايته، فهو لا يحذو حذو غيره، ولا يستقي من مورد سابق عليه.

* من خصائص الأمثال القرآنية: دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية، وتصويرها تصويرًا ذا أبعاد مكانية وزمانية؛ تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة.

* أمثال القرآن الكريم قواعد كلية تجتمع تحتها كل القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية؛ لذا كانت خالدة علىٰ مرِّ الزمان، صالحة لكل عصر ومكان، مقبولَة عند الخاصة والعامة، مستسَاغَة لدى الطباع المستقيمة، والعقول السليمة، لها جلال تشعر بوقعه القلوب المؤمنة، وجمال تستشفه الأذواق المعتدلة، ويجد فيها أصحاب الحسِّ المرهف كمالًا في رسم صور المعاني المرادة، لا يجدونه في غيرها.

* أسلوب القصص القرآني الذي هو طريقة نظم القرآن للقصص وما يشتمل عليه من إيجاز أو إطناب، وذكر أو حذف، وتقديم أو تأخير، ونسق، وجرس تعرفه الأذن، وهيبة تركيبية، وألفاظ خاصة؛ عجيبٌ معجز، لا يتسنىٰ لأحد الإتيان بمثله، ولا يقل في إعجازه عن غيره، فلا فرق بين آيات الكتاب في الفضائل والمزايا العجاب، وثلث القرآن قصص، ويتميز بأن فيه أفكارًا جديدة، وصورًا رفيعة؛ فالمعاني عند البلغاء تقصد

إلىٰ فكرة سامية في أي غرض من أغراض القول، وتشتمل عند كثير منهم علىٰ ما يبديه المتكلم من معنىٰ غير مطروق، مما يملأ النفوس روعة وإعجابًا بالفكرة المبتكرة.

* من وجوه الإعجاز في القصص القرآني أن محمدًا ﷺ لم يكن كاتبًا ولا قارئًا، ولا عرف عنه أنه جلس إلىٰ أحبار اليهود والنصارىٰ، ثم جاء بقصص إبراهيم ويوسف وموسىٰ وعيسىٰ -عليهم السلام- وغيرها في القرآن في دقة وإسهاب، كما اعترف بذٰلك من يعرفه ممن أفنىٰ عمره بتعلم ذٰلك؛ فهٰذا دليل علىٰ أن القرآن وحي يوحىٰ.

* ومن الإعجاز في أسلوب القصص القرآني الإيجاز المعجز؛ بتأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة؛ لذٰلك فإن الفهم الدقيق لإيحاءات القرآن وإشاراته تستدعي يقظة متواصلة في قراءته، وفكرًا واعيًا لتدبر مراميه، وحسًا مرهفًا لتذوق معانيه.

الحكمة في اختلاف التعبير بين قصص القرآن:

- اجتلاب المناسبات لها.

- رسوخها في الأذهان بتكريرها.

- تأكيد التحدي الذي جاء به القرآن لمشركي العرب أن يأتوا بشيء من مثله، لأن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفىٰ ما فيه من الفصاحة.

- أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم؛ فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من تطلّبه من حافظيه.

- أن جمع المؤمنين جميع القرآن حفظًا كان نادرًا، بل تجد البعض يحفظ بعض السور؛ فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالمًا بتلك القصة كعلم من حفظ سورة أخرىٰ ذكرت فيها تلك القصة.

- التفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية، والتفنن في الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات، والتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذٰلك.

- أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة، ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر؛ وذلك لأسباب.

- إذهاب السآمة والملل عن القصة.

أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٤)

١- ما معنى أسلوب القرآن؟

٢- بيَّن خصائص الأسلوب القرآني.

٣- تحدث عن أحد الأساليب القرآنية.

٤- بيِّن وجه الإعجاز في التكرار في القرآن الكريم.

٥- علِّل اختلاف العلماء في إثبات الترادف في القرآن.

٦- كيف ترد على شبهة أن وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته؟

٧- بيِّن وجه الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم.

٨- وضِّح وجه الاختلاف بين أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم وفي كلام البشر.

٩- بيِّن خصائص أسلوب القسم في القرآن الكريم.

١٠- ما الفرق بين المثل القرآني والمثل اللغوي؟

١١- بيِّن بعض وجوه الإعجاز في أسلوب القصص القرآني.

١٢- كيف ترد على شبهة وجود اختلاف في التعبير بين قصص القرآن؟



المطلب الرابع: إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية، وتطبيقات قرآنية عليه:

تعريف العقل:

العقل لغة: الحبس والضبط.

قال ابن فارس: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس يدل على حبسة في الشيء... ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[١]. العقل مصدر عقل، يَعْقِل، عقلًا، إذا ضبط وأمسك ما يعلمه... ومنه سمي العقال عقالًا، لأنه يمسك البعير ويجره ويضبطه، وقد شبه النبي ﷺ ضبط القلب للعلم بضبط العقال البعير في الحديث المتفق عليه: «استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم في عقلها..»[٢][٣].

العقل اصطلاحًا:

قال الباجي ﵀ عن العقل بأنه: «العلم الضروري الذي يقع ابتداء أي: سابقًا عن التجربة، ويعم العقلاء»[٤]. وبنحو قوله يقول كثير ممن تعرض لتعريف العقل والدليل العقلي كشيخ الإسلام ابن تيمية[٥] وغيره.

وقيل في تقسيم العقل: إنه «ضربان: غريزي وهو أصل، ومكتسب وهو فرع.

فأما الغريزي: فهو الذي يتعلق به التكليف.

وأما المكتسب: فهو الذي يؤدي إلى صحة الاجتهاد وقوة النظر، ويمتنع أن يتجرد المكتسب عن الغريزي، ولا يمتنع أن يتجرد الغريزي عن المكتسب؛ لأن الغريزي أصل يصح قيامه بذاته، والمكتسب فرع لا يصح قيامه إلا بأصله.

ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلًا؛ لأنه من نتائجه، ولا اعتبار بالنزاع في التسمية إذا كان المعنى مسلمًا»[٦].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (٤٦٤٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصره، باب الأمر بتعاهد القرآن... (١٣١٤).

(٣) بغية المرتاد لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ٢٤٩ ـ ٢٥١).

(٤) الحدود للباجي: (ص: ٣١).

(٥) درء التعارض بين العقل والنقل: (٢/ ٢١).

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (١/ ١٢١).

والمكتسب أنواع منه:

الاستقراء وهو: تتبع أمر كلي من جزئيات، ليثبت الحكم لذلك الكلي[١].

ومنه القياس، وهو ثلاثة أنواع:

القياس الجدلي: وهو ما سلم المخاطب مقدماته.

القياس الخطابي: ما كانت مقدماته مشهورة بين الناس.

القياس البرهاني: ما كانت مقدماته معلومة[٢].

وهذه الأدلة العقلية قد تتركب مع أدلة أخرى؛ فتنتج أحكاما يقينية؛ فالمتواتر مثلًا مركب من الحسي، والعقلي، فتركبه من الحس؛ لكونه لا يقبل إلا إذا استند إلى حس من سمع أو بصر، فهذا حظ الحس، ويحكم العقل باستحالة تواطئ النقلة على الكذب؛ فهذا حظ العقل[٣].

إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية:

يتَّسم الدين الإسلامي ويختصُّ عن غيره من الأديان بمنهجه المعرفيِّ المتكامل، فهو يعتمد الحسَّ والعقل جميعًا كوسائل للمعرفة، ويعتمد كل المصادر المعرفيَّة سواءً أكانت بصرية كالكون المشاهد، أم سمعيَّة كالوحي المنزَّل على النبي ﷺ، وهو لا يفتأ ينبه العقول ويدعو إلى إعمالها في كل تلك المصادر ليتبيَّن الحقّ وتظهر الحقيقة.

والقرآن الكريم مليء بالأدلة العقلية الرصينة القويَّة المقنعة والواضحة والموجزة في آن، مما يجعلها مكتفية بذاتها في الاستدلال العقلي، ومستغنية عن غيرها من الأديان والأفكار في هذا الباب، قال القاضي عياض في بيان وجوه إعجاز القرآن: «ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة، ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة بمعرفتها، ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم؛ فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة؛ سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد؛ رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها؛ فلم يقدروا»[٤].

---

(١) التحبير شرح التحرير، للمرداوي (٨/ ٣٧٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى: (٩/ ١٠٠).

(٣) شرح التنقيح، للقرافي: (ص: ٣٠).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: (١/ ٢٧٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد تدبرت عامة ما يذكره المتفلسفة والمتكلمة من الدلائل العقلية، فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية من الكدر، وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها، وتحذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل، مع كثرتها واضطرابها»(١). كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] فأخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله بالحق وجاءه من البيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحق من قياسهم. وجميع ما تقوله الصابئة والمتفلسفة وغيرهم من الكفار -من حكم أو دليل- يندرج فيما علمه الصحابة. وهذه الآية ذكرها الله تعالى بعد قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠-٣١] فبين أن من هجر القرآن فهو من أعداء الرسول، وأن هذه العداوة أمر لا بد منه ولا مفر عنه...(٢)».

وقال: «اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء، من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم، ونزه الله القرآن عما يوجد في كلامهم، من الطرق الفاسدة، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال»(٣).

سمات أدلة القرآن العقلية:

وأدلة القرآن العقلية أحسن من غيرها من الأدلة العقلية، ودامغة لما خالفها، وكل ما يعارضها حجج داحضة؛ لاتصاف أدلة القرآن العقلية واختصاصها بِسِمات ليست لغيرها من الأدلة العقلية، وأهم تلك السِّمات:

*** إلهية المصدر:**

الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة أدلةٌ متعالية على كل زمان ومكان، وعلى كل بيئة ومحيط، ومتناسبة مع كل الظروف والأحوال، ليس لشيء إلا لأنها منزَّلة من عند الله ربِّ الأكوان وخالق الزمان والمكان، وخالق الإنسان وعقل الإنسان، وإلى هذه السمة ترجع ديمومتها وحيويتها حتى زماننا هذا على أنه قد مضى أربعة عشر قرنًا من الأجيال والعقول، بل من هذه السمة تنبثق كل السِّمات التي تليها.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٩/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٦).

* **متناسقة مع الفطرة البشرية:**

خلَقَ الله الإنسان وفَطَره على ما يتلاءم مع الغاية التي خلق لها وهي العبادة، ثم أنزل إليه الكتب السماوية، ومنها القرآن لتدلَّه بأدلته الخبرية والعَقليَّة على تلك الغاية، فلا غرو حينئذٍ أن تتواءم الأدلة العَقليَّة الشَّرعيَّة مع الفطرة الإنسانية؛ إذ مصدر الأمرين واحد، فالذي خلق العقل والإنسان هو الذي أنزل الأدلة العَقليَّة الشَّرعيَّة سبحانه وتعالى، فأنَّى يتناقض خلقه وأمره؟! قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ① ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢]، وكيف لا تتواءم هذه الأدلة مع الفطرة وهي منزَّلة ممَّن ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]؛ ولذا يرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى التمسُّك بكتابه: مسائله ودلائله؛ لأنه موافقٌ لما فطرنا عليه، يقول تعالى: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وكثيرًا ما تُستدعى الفطرة في الاستدلال العقلي الشرعي؛ كالاستدلال على وجود الله تعالى بالمقدِّمات الفطرية أو الغرائز الفطرية كمبدأ السببية وغيرها[١].

* **يقينية وبرهانية:**

الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة أدلةٌ يقينيةٌ قاطعةٌ لا ريب فيها، وكيف لا تكون برهانية صادقة والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، أم كيف لا تكون يقينية حقة، والله تعالى يقول عن القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ㊶ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

قال الزركشي رحمه الله: «قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى من كليات المعلومات العَقليَّة والسمعية، إلا وكتاب الله قد نطق به»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والكتاب والسنة يدل بالإخبار تارة، ويدل بالتنبيه تارة،

---

(١) انظر: مقالات الأدلة الفطرية على وجود الله الصادرة عن مركز سلف للبحوث والدراسات. بتصرف.
(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٢٤).

والإرشاد والبيان للأدلة العَقليَّة تارة، وخلاصة ما عند أرباب النظر العقلي في الإلهيات من الأدلة اليقينية والمعارف الإلهية قد جاء به الكتاب والسنة، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلا من هداه الله بخطابه، فكان فيما جاء به الرسول من الأدلة العَقليَّة والمعارف اليقينية فوق ما في عقول جميع العقلاء من الأولين والآخرين»[١].

* **هاديةٌ إلى الحقِّ مرويةٌ للقلب:**

تتجلَّىٰ هٰذه السمة في الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة، خاصة إذا ما حدَّقنا النظر في الأدلة التي سمَّاها أهلها عقلية برهانية من المتكلمين، فكثير من تلك الأدلة تجلبُ القَسوة وتورثُ الغفلة، وغالبًا ما تتركهم في بيداء تيهاء ما بين حيارىٰ وندامىٰ، وهٰذا ما اعترف به عمالقةُ المتكلمين في أواخر أعمارهم[٢]؛ فالأدلة العَقليَّة غير الشَّرعيَّة في حقيقة الأمر، إن لم تصدَّ المرء عن الحق والهدىٰ؛ فإنها تُبعد طريقه وتوعِّره، وأما الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة فهي مرتبطة بالإيمان والخوف والعبادات القلبية برباطٍ غليظ، فهي تهدي الناظر فيها إلىٰ طريق الحق وإلى الصراط المستقيم، وتجمع بين الحقيقة اليقينية والوجدانيات العاطفية، وهٰذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني، فكلَّما ازداد المرءُ بها علمًا ازداد لله خشيةً، يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨][٣].

فالأدلة الشَّرعيَّة العقليَّة تزرع فينا الطمأنينة والسكينة والارتياح، فهي ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، تنير القلب، وتشرح الفؤاد، وتبصِّر الطريق، وتطمس الحيرة والشكوك، بل ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، «وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فأقوم الطرق إلىٰ أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله، وأما طريق [غيره] فهي مع ضلالهم في البعض واعوجاج طريقهم وطولها في البعض الأخرىٰ؛ إنما يوصلهم إلىٰ أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلًا عن أن يوجب لهم السعادة، فضلًا عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم»[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني: (ص: ٣)، درء تعارض العقل والنقل: (٣/ ٢١٢ وما بعدها).

(٣) انظر: النبأ العظيم د. محمد عبد الله دراز (ص: ١٤٨).

(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية: (ص: ١٦٢) بتصرف.

فالأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة تمتاز بكونها تمزج في خطابها اليقينيات مع الوجدانيات، وبتأثيرها على أهل الحسِّ المرهف وعلى أهل الحقائق والبراهين في آن، فهي تخاطب قوة التفكير في ذات الوقت الذي تخاطب فيه قوة الوجدان، وتلكم حاجتان من أهم حوائج النفس البشرية، يعسر على مهرَةِ البيان مزجُهما في مؤلفٍ واحد، وما هذا إلا صورةٌ من صور إعجاز القرآن الكريم؛ إذ هي قد بلغت الغاية في اليقينية والوجدانية معًا[1].

*** واقعية:**

من سمات الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة التي تفرَّدت بها أنها واقعية، وعناصرها معروفة لكلِّ أحد، فمع كونها في أعلى الدرجات فهي أيضًا مركَّبة من أسهل المعارف الواقعية؛ إذ هي تركِّب مقدِّماتها ممَّا يعايشه الناس في حياتهم، وغالب عناصرها ملموسة لهم في معيشتهم، وهذا أجدى وأنفع للبشر؛ فتارة تجده يمثِّل بالليل وتارة بالنهار، وتارة بالسماء وتارة بالأرض، وتارة بالجبال وتارة بالنجوم، وتارة بالنكاح، وتارة بالحدائق والزروع؛ ولذا كلما قرأت آيات القرآن وأدلته تجده يداخل خلجات قلبك، ويلامس واقعك، كأنه غضٌّ طريٌّ للتو نزل من أجلك.

*** مستلزمةٌ لمدلولها في الأذهان فهي سهلة وواضحة:**

أهمُّ سمة في الدليل الشرعي العقلي بل جوهره ومغزاه هو كونه موصلًا إلى المدلول بأقصر الطُّرق وأسرع الوسائل، فالغاية من الدليل هو بيان العلم وبيان الطرق المؤدية إليه، والأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة تتسم بالدلالة المباشرة على مدلولاتها واستلزامها بمجرَّد تصورها؛ كاستلزام وجود إنسان عند سماع صوته من خلف الجدار، واستلزام وجود النار حين رؤية الدخان وهكذا، وهذا الاستلزام قد يكون فطريًّا كما في دليل السببية[2] الذي يكثر استعماله في نصوص الشرع[3]، وأشهر ما استُعمل في الدلالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى بوجود مخلوقاته؛ كالسموات والأرض والشمس والقمر، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

---

(١) انظر: النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز (ص: ١٤٨).

(٢) دليل السببية هو: أن كل ما يكون في العالم من الأمور فلا بد له من سبب. ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٠).

(٣) الرد على المنطقيين لابن تيمية: (ص: ٢٤٨).

* مؤثِّرة ومقنعة:

القرآن قد نال حظَّه وافرًا من هٰذا السِّمة، فالأدلة فيه تختصُّ بقوَّة التأثير وقوة الإقناع علىٰ كلِّ من ﴿ كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، وكيف لا يكون كلام الله تعالىٰ بهٰذه الصِّفة وقائله هو العليم الخبير الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

* مختصرة وموجزة:

إيصال المعاني المرادة بأقلِّ قدر ممكن من الكلام دون إخلال في المعنىٰ هو مِن أشرف العلوم والمهارات، وهٰذا ما يسمِّيه أهل البلاغة بالإيجاز والاختصار، وهٰذه سمةٌ من سمات الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة، فغالبًا ما تقصُر ألفاظها علىٰ جوامع الكلم، وتحذف من الكلام ما كان حشوًا يُعلم مضمونه بحذفه، وتخلو من ذكر لوازم الكلام الفطرية الواضحة، وهٰذا هو مقتضى الفصاحة وبلوغ الشأو في البيان، وهل من بيان أكمل من بيان الله؟! قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

* متنوِّعة ومتضافرة:

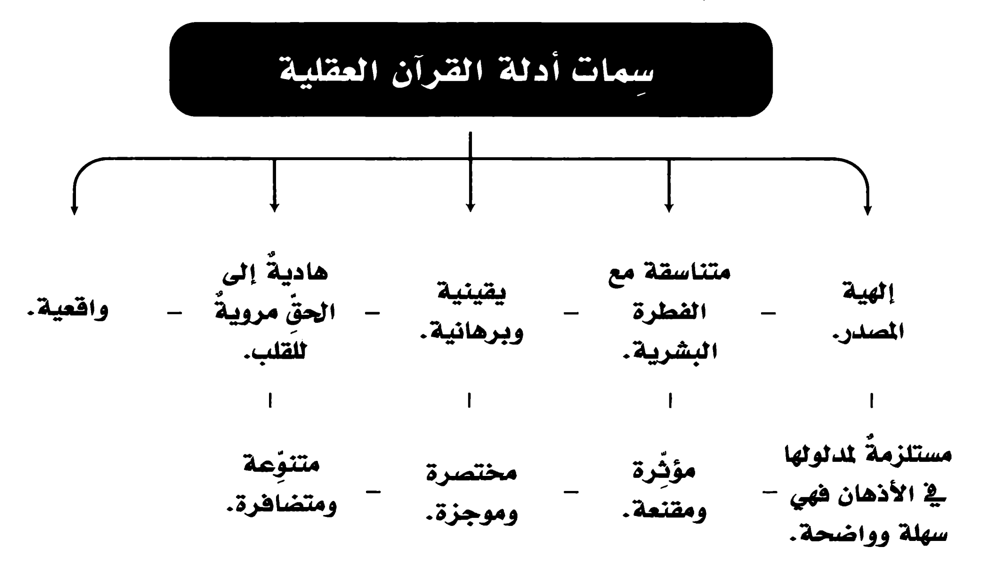
الأدلة الشَّرعيَّة العَقليَّة أدلةٌ متنوِّعة؛ إذ هي لا تستدلُّ ولا تهتمُّ إلا بالقضايا العظيمة المهمَّة، وكلَّما كان الأمر أعظم وأهمَّ؛ كثرت أسماؤه وتنوَّعت أدلته وذاعت أوصافه، وإلىٰ جانب هٰذا التنوُّع في الأدلة فإنها في الوقت نفسه متضافرة يقوِّي بعضها بعضًا، لا متنافرة ينقض بعضها بعضًا، وهٰذا التنوُّع والتضافر هو ما أخبر عنه ربنا جل وعلا بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وفي هٰذا يقول ابن تيمية ﷺ: «فإن المطلوب كلما كان الناس إلىٰ معرفته أحوج يسر الله علىٰ عقول الناس معرفة أدلته، فأدلة إثبات الصانع وتوحيده وأعلام النبوة وأدلتها كثيرة جدًّا، وطرق الناس في معرفتها كثيرة، وكثير من الطرق لا يحتاج إليه أكثر الناس، وإنما يحتاج إليه من لم يعرف غيره أو من أعرض عن غيره»(١).

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص: ٢٥٦).

قال ابن القيم ﵀: «وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاج به عباده في إقامة التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات الرسالة والنبوة، وإثبات المعاد، وحشر الأجساد، وطرق إثبات علمه بكل خفي وظاهر، وعموم قدرته ومشيئته، وتفرده بالملك والتدبير، وأنه لا يستحق العبادة سواه = وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجل وجوه الحجاج، وأسبقها إلى القلوب، وأعظمها ملاءمة للعقول، وأبعدها من الشكوك والشُّبَه، في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأَدلّه على المراد»(١).



تطبيقات على إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية:

من أمثلة أدلة القرآن العقلية قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني: أيُتصوَّر أن يكونوا مخلوقين من غير خالقٍ خلقهم؟ أم هم الخالقون؟ أيُتصوَّر أن يكون الشيء خلقَ نفسَه؟ فإذا قُدِّر عدمُ الخالق لزِمَ أن يكونوا خُلِقوا من غير خالقٍ أو يكونوا هم خلقوا أنفسَهم، وكل ذلك ممتنع، فتعيَّن أن يكون لهم خالقٌ خلقهم(٢)، فهذا إلزام لهم بطريق السبر والتقسيم.

ومن أمثلة أدلة القرآن العقلية قوله تعالى في شأن إبطال ألوهية عيسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]،

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٢/ ٤٥٨).
(٢) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، لابن تيمية: (ص: ١٢٣).

فالبرهان في هذه الآية الكريمة على بطلان تأليه عيسى بحجة أنه خلق بالنفخة الإلهية برهان واضح غاية الوضوح؛ إذ لو كانت هذه الحجة صحيحة؛ لكان آدم أولى بالتأليه من عيسى، وقد خلقه الله من غير أب ولا أم، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، ولم يقل بتأليه آدم أحد من الخلق، حتى النصارى أنفسهم، فظهر بهذا القياس الجلي بطلان دعواهم[1].

ومن أمثلة أدلة القرآن العقلية قوله في التوحيد: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] أي كخيفة بعضكم بعضًا... فبين سبحانه أن المخلوق لا يكون مملوكه شريكه في ماله حتى يخاف مملوكه كما يخاف نظيره، بل تمتنعون أن يكون المملوك لكم نظيرًا؛ فكيف ترضون أن تجعلوا ما هو مخلوقي ومملوكي شريكًا لي، يدعى كما أدعى وأعبد؟ كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك[2].

المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات، وتطبيقات قرآنية عليه:

إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات:

إن المتأمل في القرآن الكريم يتبين له وجهٌ بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكنتهم، ومللهم، وحالاتهم، وهذه هي البلاغة في أبهى صورها.

فالبلاغة هي: «علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال»[3]، فالمقتضى هو الاعتبار المعين الذي يستدعي مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسبة للحال، كالتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلًا[4]، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال»[5].

---

(١) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي: (ص: ٧٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: (١/ ٣٧).

(٣) شروح التلخيص: (١/ ١٥٥).

(٤) شروح التلخيص: (١/ ١٢٣).

(٥) معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة: (ص: ٨٤).

وحينما نتدبَّر ونستقْرئ آيات القرآن، نرىٰ أنَّه في خطابه أثناء نداءاته وتوجيهاته يتَّسم بالشمول؛ حيث إنَّه لم يجعل نداءه إلىٰ فئةٍ دون فئة، أو جنسٍ دون جنس، أو أهل دينٍ دون غيرهم.

بل شمل ذٰلك الخطاب أصناف العالمين من المخاطبين علىٰ تنوُّع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها؛ لأنه من لدن عليم خبير بدقائق الأمور ومقتضياتها؟! وصدق -عزَّ وجل- في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فالتعبير المطابق لمقتضى الحال لا بدَّ وأن يشتمل علىٰ خصائص في الصّياغة وأوضاع في التراكيب تدلُّ دلالة واضحة علىٰ معان يكون بها الكلام تامًا وافيًا بالغرض، مطابقًا لمتطلبات الموقف الذي سيق من أجله(١).

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي اهتم بخطاب العقل والقلب معًا، ولا يخفىٰ علىٰ علماء العربية وجهابذة اللغة مدىٰ بلاغته ومراعاته لمقتضى الأحوال، وكيف يخفىٰ عليهم ذٰلك وهو معينهم الأول ورافدهم الأصيل؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله تعالىٰ قد أرسل نبيه محمدًا ﷺ إلىٰ جميع العالمين، وضرب الأمثال فيما أرسله به لجميعهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

فأخبر أنه ضرب لجميع الناس في هٰذا القرآن من كل مثل، ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات... «ثم قال:» فكما أن الله بين في كتابه مخاطبة أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم بما بينه من أعلام رسالة محمد ﷺ، وبما في كتبهم من ذٰلك، وما حرفوه وبدلوه من دينهم، وصدق بما جاءت به الرسل من قبله، حتىٰ إذا سمع ذٰلك الكتابي العالم المنصف وجد ذٰلك كله من أبين الحجة وأقوم البرهان، والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف، وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم... ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن»(٢).

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسىٰ: (ص:٣٨-٣٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ: (٤/ ١٠٦-١٠٧). انظر: ما قاله في كتابه الرد على المنطقيين: (ص٤٦٧-٤٦٨) عن الجدل وأنه من باب دفع الصائل، واشتراط أن تكون المجادلة بعلمٍ والحكمة بعلم أيضًا.

وقال ابن تيمية ﷺ عن طرق الدعوة: إن الله أمر نبيه أن يدعو إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، وهٰذه الطرق الثلاث هي النافعة، وتشبه ما يذكره أهل المنطق من البرهان والخطابة والجدل...

وأما الحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن؛ فإنه يعطي التصديق والعمل؛ فهو نافع منفعة عظيمة. وإنما قلت: إن هٰذه الثلاثة تشبه من بعض الوجوه الأقيسة الثلاثة التي هي: البرهانية والخطابية والجدلية، وليست هي؛ بل أكمل من وجوه كثيرة لوجوه: -

أحدها: أن التي في القرآن تجمع نوعي: العلم والعمل، والخبر والطلب علىٰ أكمل الوجوه بخلاف الأقيسة المنطقية.

أما الحكمة في القرآن: فهي معرفة الحق وقوله والعمل به.

والموعظة الحسنة: تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر، ولهٰذا يجيء الوعظ في القرآن مرادًا به الأمر والنهي بترغيب وترهيب، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٦]، وقوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧]. وقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]. أي: يتعظون بها فينتبهون وينزجرون.

وكذٰلك الجدل الأحسن: يجمع الجدل للتصديق، وللطاعة.

الوجه الثاني: ويمكن أن يقسم هٰذا إلىٰ وجه آخر -بأن يقال: الناس ثلاثة أقسام:

إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهٰذا صاحب حكمة.

وإما أن يعترف به، لٰكن لا يعمل به؛ فهٰذا يوعظ حتىٰ يعمل.

وإما ألّا يعترف به، فهٰذا يجادل بالتي هي أحسن، لأن الجدال في مظنة الإغضاب، فإن كان بالتي هي أحسن؛ حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل.

الوجه الثالث: أن كلام الله لا يشتمل إلا علىٰ حق يقين؛ لا يشتمل علىٰ ما تمتاز به الخطابة والجدل عن البرهان: بكون المقدمة مشهورة أو مسلمة غير يقينية بل إذا ضرب الله مثلًا مشتملًا علىٰ مقدمة مشهورة أو مسلمة؛ فلا بد وأن تكون يقينية. فأما الاكتفاء بمجرد تسليم المنازع من غير أن تكون المقدمة صادقة أو بمجرد كونها مشهورة، وإن لم تكن صادقة؛ فمثل هٰذه المقدمة؛ لا يشتمل عليها كلام الله الذي كله حق وصدق؛ وهو أصدق الكلام وأحسن الحديث.

فصاحب الحكمة: يدعىٰ بالمقدمات الصادقة، سواء كانت مشهورة أو مسلمة أو لم تكن؛ لما فيه من إدراك الصدق واتباع الحق.

وصاحب الموعظة: يدعىٰ من المقدمات الصادقة بالمشهورة؛ لأنه قد لا يفهم الخفية من الحق، ولا ينازع في المشهورة.

وصاحب الجدل: يدعىٰ بما يسلمه من المقدمات الصادقة؛ مشهورة كانت أو لم تكن، إذ قد لا ينقاد إلىٰ ما لا يسلمه؛ سواء كان جليًا، أو خفيًا، وينقاد لما يسلمه؛ سواء كان جليًا أو خفيًا، فهٰذا هٰذا.

وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال من الكفار المتفلسفة وبعض المتكلمة، من كون القرآن جاء بالطريقة الخطابية، وعري عن البرهانية أو اشتمل علىٰ قليل منها، بل جميع ما اشتمل عليه القرآن هو الطريقة البرهانية، وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية مع كونها برهانية، والأقيسة العقلية -التي اشتمل عليها القرآن- هي الغاية في دعوة الخلق إلى الله، كما قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]. في أول «سبحان» وآخرها، وسورة الكهف، والمثل هو القياس.

الوجه الرابع: أن هنا نكتة ينبغي التفطن لها؛ فإنها نافعة، وذٰلك أن المقدمة المذكورة في القياس الذي هو مثل: لها وصف ذاتي، ووصف إضافي: فالوصف الذاتي لها: أن تكون مطابقة؛ فتكون صدقًا أو لا تكون مطابقة؛ فتكون كذبًا، وجميع المقدمات المذكورة في أمثال القرآن هي صدق، والحمد لله رب العالمين.

وأما الوصف الإضافي: فكونها معلومة عند زيد أو مظنونة أو مسلمة أو غير مسلمة؛ فهٰذا أمر لا ينضبط؛ فرب مقدمة هي يقينية عند شخص قد علمها، وهي مجهولة فضلًا عن أن تكون مظنونة عند من لم يعلمها؛ فكون المقدمة يقينية أو غير يقينية أو مشهورة أو غير مشهورة أو مسلمة أو غير مسلمة أمور نسبية وإضافية لها؛ تعرض بحسب شعور الإنسان بها. ولهٰذا تنقلب المظنونة؛ بل المجهولة في حقه يقينية معلومة والممنوعة مسلمة؛ بل والمسلمة ممنوعة. والقرآن كلام الله الذي أنذر به جميع الخلق لم يخاطب به واحدًا بعينه حتىٰ يخاطب بما هو عنده يقيني من المقدمات أو مشهور أو مسلم. فمقدمات الأمثال فيه: اعتبر فيها الصفة الذاتية، وهي كونها صدقًا وحقًا يجب قبوله.

وأما جهة التصديق: فتتعدد وتتنوع إذ قد يكون لهٰذا من طرق التصديق بتلك المقدمة ما ليس لعمرو مثل أن يكون هٰذا يعلمها بالإحساس والرؤية، وهٰذا يعلمها بالسماع والتواتر؛ كآيات الرسول وقصة أهل الفيل وغير ذٰلك؛ فما كان جهة تصديقه عامًا للناس:

أمكن ذكره جهة التصديق به كآيات الربوبية المعلومة بالإحساس دائما. وما كان جهة تصديقه متنوعًا: أحيل كل قوم على الطريق التي يصدقون بها[١].

تطبيقات على إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات:

مراعاة القرآن لحال السياق:

قد يؤدي حال السّياق إلى أن تقتضي الجملة الأولى سؤالًا يفهم بمعونة القرائن وسياق الأحوال، يُقدّر هذا السؤال السامع، فتأتي الجملة الثانية أو الآية الثانية إجابة عن هذا السؤال المُقدَّر[٢] كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦] فلأن السياق في الآية الأولى تضمَّن حُكمًا غريبًا، إذ المخاطب هو نوح عليه السلام، والحديث عن ابنه، ومع ذلك قيل له: ليس من أهلك؟ فكيف يكون ذلك؟!

هذا هو السؤال المقدَّر الذي يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة، فما كان من السياق الكريم إلا أن راعى هذا الاعتبار، وذلك الإنكار -المقدَّر- فجاءت الإجابة بأسلوب توكيدي: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦].

مراعاة القرآن لحال المتكلِّم:

من مراعاة مقتضى الحال؛ مراعاة حال المتكلم، وبيان ما تنطوي عليه سريرته؛ فانظر -مثلًا- إلى قوله تعالى: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] فجاءت لفظة (رجل) نكرة رغم معرفة المشركين لرسول الله، والتنكير لم يقصد به القرآن الكريم قطعًا الحط من قدره، وإنما نقل -بهذه الطريقة- مشاعرهم الحاقدة تجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وشبه ذلك كثير، وكله يحمل على اعتبار حال المتكلم وقوة إحساسه بالمعنى.

مراعاة القرآن لحال المخاطَب:

لقد راعى القرآن حال المخاطب في أي زمان ومكان من حيث عدم علمه بالخبر وخلو ذهنه منه، أو إعلامه أن المتكلّم لديه علم بما يخفيه عنه ذلك المخاطب أو مخاطبته بالطريقة التي تليق به إن كان مُنكرًا للخبر أو مُتردّدًا في صدقه.

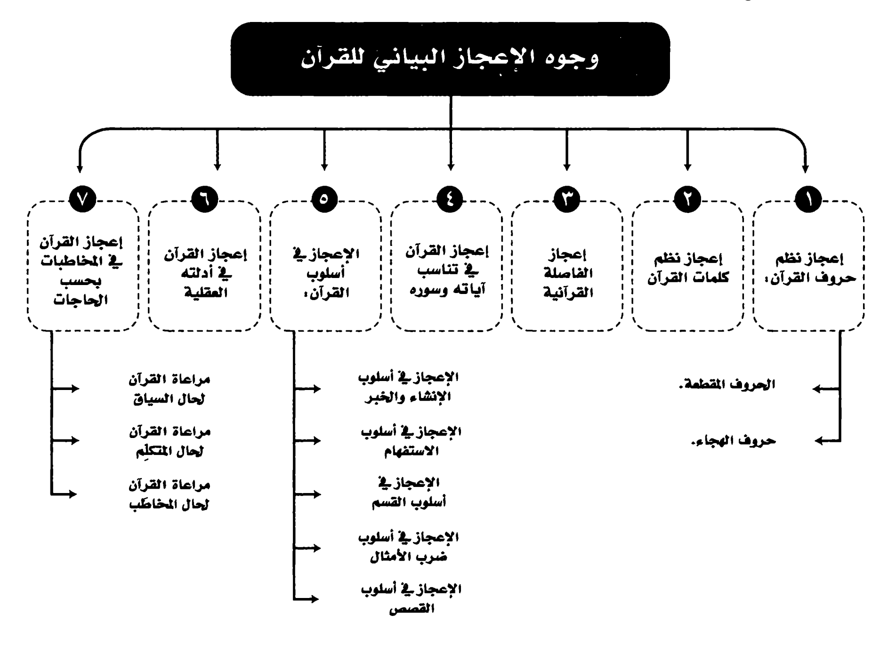
---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٢-٤٨).

(٢) الاستئناف البياني (دلالته وفنيته)، د. سعاد محمود نحلة، مجلة الزهراء: (ص: ٤٩٦).

فإذا كان المخاطب لا يعلم عن الأمر المُلقى إليه شيئًا؛ أُلقي إليه الكلام مجرّدًا من أي مؤكّد لفظي؛ لأن حال جهله بالخبر تقتضي ذلك[1]، مثال قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فهذه الدعوة الحميمة من المولى ﷻ لم تكن في خَلد السامعين، وليس لديهم علم بها، لذا جاء الخطاب في أبسط تركيب وأسهله، وهو ما يسمى ب«فائدة الخبر»، وكل ماجاء كذلك؛ فهو من هذا الباب؛ مادام المخاطب ليس لديه علم سابق عن هذا الخبر.

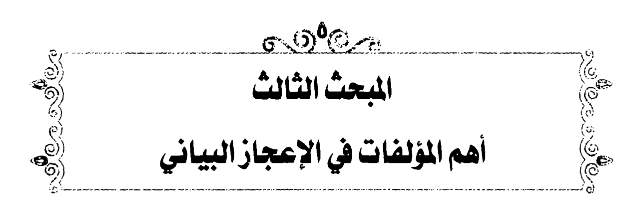
وإذا كان المخاطب متردِّداً أو شاكـاً في ثبوت ما يقال له؛ فمقتضى هذه الحال أن يلقى إليه الكلام مؤكَّدًا بإحدى المؤكّدات كما جاء في قوله تعالى: ﴿... سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] فالآية موجهة إلى الرجل المطلّق الذي ليس لديه سعة من المال، والذي تطالبه الشريعة -رغم ذلك- بالإنفاق قدر استطاعته على زوجه الحاضنة لابنه، فالمخاطب هنا قد يكون لديه شك أو تردد في أن تعوَّض له هذه النفقة من الله ﷻ؛ فكـان من مقتضى الحال أن يثبت له القرآن الكر يم ذلك ويؤكّده بأحد المؤكّدات - وهي السين - حتى يزيل عنه ذلك الشك أو التَّردُّد[2].



---

(١) البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، د. بكري شيخ أمين: (١/ ٥٦) (بتصرف).

(٢) ينظر كتاب: مقتضى الحال: مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القران الكريم، لسميرة عدلي محمد رزق- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، سنة ١٩٩٩م = ١٤٢٠هـ.



المبحث الثالث
أهم المؤلفات في الإعجاز البياني

من أهم المؤلفات في إعجاز القرآن البياني ما يلي:

١- **نظم القرآن**، للجاحظ: عمرو بن بحر، (ت: ٢٢٥ هـ). وهو أول من تكلّم عن بعض المباحث المتعلّقة بالإعجاز، وأفرد له كتابًا، وقد تكلّم فيه عما يهيئ للكلام عن الإعجاز في القرآن، وحاول فيه توكيد القول في الفصاحة والكشف عنها، بقدر ما كان معلومًا من هٰذا الفن، وهٰذا الكتاب لم يصل إلينا، ولعلّه هو ما أشار إليه في كتابه (الحيوان) بقوله: «ولي كتاب جمعت فيه آيًا من القرآن؛ لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات؛ فإذا قرأتها؛ رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة»[1]، والكتاب مفقود حتى الآن، لكن بعض مضمونه في بعض كتب الجاحظ الأخرىٰ، وفيما ذكره من بعده ممن صنف في الإعجاز كالباقلاني.

٢- **إعجاز القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي، (ت: ٣٠٦ هـ) وهو أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه علىٰ طريقتهم في التأليف، ولا يبعد أن يكون قد استفاد مما كتبه الجاحظ وبنىٰ عليه، وهٰذا الكتاب أيضًا لم يصل إلينا، وإنما وصل إلينا ما ينبئ عنه في (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، الذي بلغنا عنه أنه شرح هٰذا الكتاب شرحًا كبيرًا سماه (المعتضد) وشرحًا آخر أصغر منه.

٣- **رسالة في إعجاز القرآن** لأبي عيسىٰ علي بن عيسى بن علي الرّمّاني المعتزلي النحوي اللغوي المفسر، (ت: ٣٨٤ هـ) ركز فيها على الجانب البلاغي في القرآن، وعدَّ البلاغة من أهم مظاهر الإعجاز، وهناك علاقة بين البلاغة والتأثير النفسي، فالبلاغة ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي أداة لإيصال المعنىٰ إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وأورد الخصوصيات البلاغية في القرآن، كالإيجاز والتشبيه والاستعارة والتجانس والمبالغة والتعريف، وأورد شواهد من القرآن تؤكد عظمة الأسلوب البلاغي في القرآن، مبرزًا جانب الإعجاز البلاغي...

---

(١) الحيوان للجاحظ: (٣/ ٤١).

وقد طَبَعتْ كتاب الرماني في إعجاز القرآن دار المعارف بالقاهرة مع رسائل أخرىٰ في هٰذا الفن، بتحقيق الأستاذ محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام.

٤- **إعجاز القرآن**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت:٤٠٣ هـ)، وكتابه مشهور أجمع المتأخرون من بعده علىٰ أنه باب في الإعجاز علىٰ حدة، وقد جمع فيه كثيرًا من المباحث، وسلك فيه أقرب الوسائل إلىٰ كشف جوانب الإعجاز القرآني وتذوّقه، ووفّىٰ بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول، حتىٰ قال فيه أبو بكر بن العربي: لم يصنّف مثل كتابه[١]. وهو من أجود الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن الكريم، وبيان وجه الإعجاز في القرآن، وقد حظي الكتاب بشهرة كبيرة لدى العلماء، ونقلوا منه في موضوعه. وهو مطبوع متداول، ومن طبعاته طبعة دار المعارف بالقاهرة، بتحقيق د. السيد أحمد صقر ﷺ، وقد اختصره وهذبه ورتبه الأستاذ الدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي.

٥- **دلائل الإعجاز**، لعبد القاهر بن عبد الرحمٰن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ). وهو واضع أصول البلاغة، وقد كتب في الإعجاز أيضًا (الرسالة الشافية)[٢]، والظاهر أنه بنىٰ علىٰ ما أتىٰ به الواسطي، وكان ذوّاقة للأسلوب القرآني، حتىٰ أوشك أن يسبق عصره في بعض لمحاته الموفّقة، التي نفذ بها إلىٰ إدراك الجمال الفني في كتاب الله تعالىٰ. وكان أنفذ حسًّا، وأكثر توفيقًا في هٰذا الباب علىٰ وجه العموم[٣]. وهٰذا الكتاب من أمهات كتب إعجاز القرآن، وهو الذي وضع فيه نظريته (نظم القرآن)، وأصبحت نبراسـًا لمن جاء بعده وصنف في إعجاز القرآن.

٦- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦)؛ تحدث فيه عن الدلالة اللفظية، والمحاسن والمزايا الحاصلة بسبب الألفاظ وما يتبعها، وأحكام الدلالات المعنوية، وأحكام الخبر، والحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، وقد ملأ كتابه بالأقسام، وفرع من الأقسام فروعًا، ثم شعب هٰذه الفروع، وبذٰلك تكاثرت عنده التقسيمات، وقد حققه د. بكري شيخ أمين، وطبع في دار العلم للملايين ببيروت، عام ١٩٨٥م، وطبعته دار صادر ببيروت أيضًا، في ٢٠٠٤م؛ بتحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلي.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ٩٠).

(٢) مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق د/ محمد زغلول سلام.

(٣) الواضح في علوم القرآن (ص: ١٧٦-١٧٨).

٧- **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**[١] ومختصره: المجيد في إعجاز القرآن[٢]، لعبد الواحد بن عبد الكريم كمال الدين أبو المكارم الزملكاني[٣] (ت ٦٥١هـ)، ووجه الإعجاز عنده في الجانب البلاغي: التأليف الخاص بالقرآن لا مطلق تأليف الكلام، «بأن اعتدلت مفرداته تركيبًا وزنة، وعلت مركباته معنى؛ بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى»[٤]، ويظهر تأثره بعبد القاهر الجرجاني كثيرًا.

٨- **البرهان في إعجاز القرآن**، ويُسمى: تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن، وبديع القرآن[٥]، كلاهما لعبد العظيم بن عبد الواحد زكي الدين ابن أبي الإصبع[٦] (ت٦٥٤هـ)؛ تحدّث فيهما عن البلاغة القرآنية، وقد أبدع ابن أبي الإصبع في ابتكار المصطلحات البلاغية والنقدية، فذكر خمسة وعشرين مصطلحًا، منها ما سُلِّم له، ومنها ما كان مسبوقًا إليه، ولكنه زادها إيضاحًا بشواهد من القرآن الكريم والشعر العربي.

٩- الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز: من العلوم البيانية والأسرار القرآنية، ليحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ)؛ حققه ابن عيسى عبد القادر بطاهر، وصدر عن دار المدار الإسلامي ببيروت، عام ٢٠٠٧م، ويقع في ٦٠٨ ص.

١٠- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية، لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، طبع بدار المعارف في القاهرة، ويقع في ٦١٦ ص.

١١- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، لمحمد محمد حسنين أبو موسى، وقد حرر فيه عدة مسائل تتعلق بتعريف العلماء للإعجاز، ورؤيتهم لوجه إعجاز القرآن، وأضاف الكثير من الأفكار لموضوع إعجاز القرآن. صدرت الطبعة الأولى منه عن مكتبة وهبة بالقاهرة، عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ويقع في ٣٩١ ص.

---

(١) وهما مطبوعان بتحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد.
(٢) وهو مطبوع بتحقيق شعيب صلاح، جامعة القاهرة ط١ عام ١٤١٠هـ.
(٣) وانظر ترجمته في شذرات الذهب: (٥/ ٢٥٤).
(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٩٥).
(٥) وهما مطبوعان بتحقيق حفني محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.
(٦) انظر ترجمته في شذرات الذهب: (٥/ ٢٦٥).

١٢- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، لمحمد محمد حسنين أبو موسى، صدرت الطبعة الأولى منه عن مكتبة وهبة بالقاهرة، عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ويقع في ٤٠٨ ص.

١٣- المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، لأحمد بن محمد بن صالح جمال العمري (ت ١٤١٣هـ)، صدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة، عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ويقع في ٣٦٨ ص.

١٤- من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، نشرته دار الفكر بعمّان، عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ويقع في ٣٢١ ص.



خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٥-٥)

* اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء، من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم، ونزه الله القرآن عما يوجد في كلامهم، من الطرق الفاسدة، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال.

* أخبر الله تعالى أنه ضرب لجميع الناس في القرآن من كل مثل؛ فجاءت مخاطبات القرآن بحسب الحاجات، حيث خاطب كل إنسان بما يناسبه، وبالطريقة التي تليق به، وراعى حاله وزمانه ومكانه.

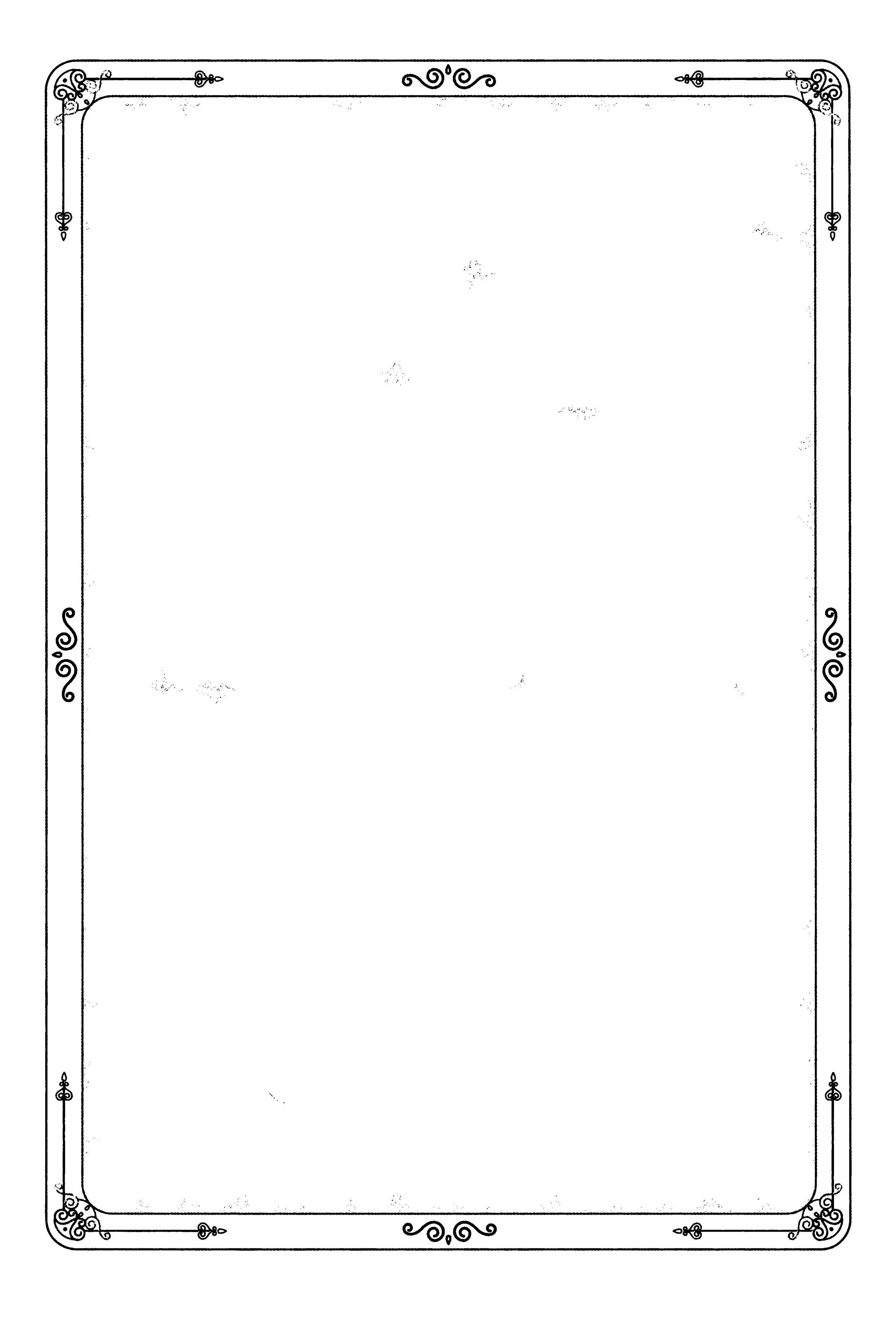
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٥)

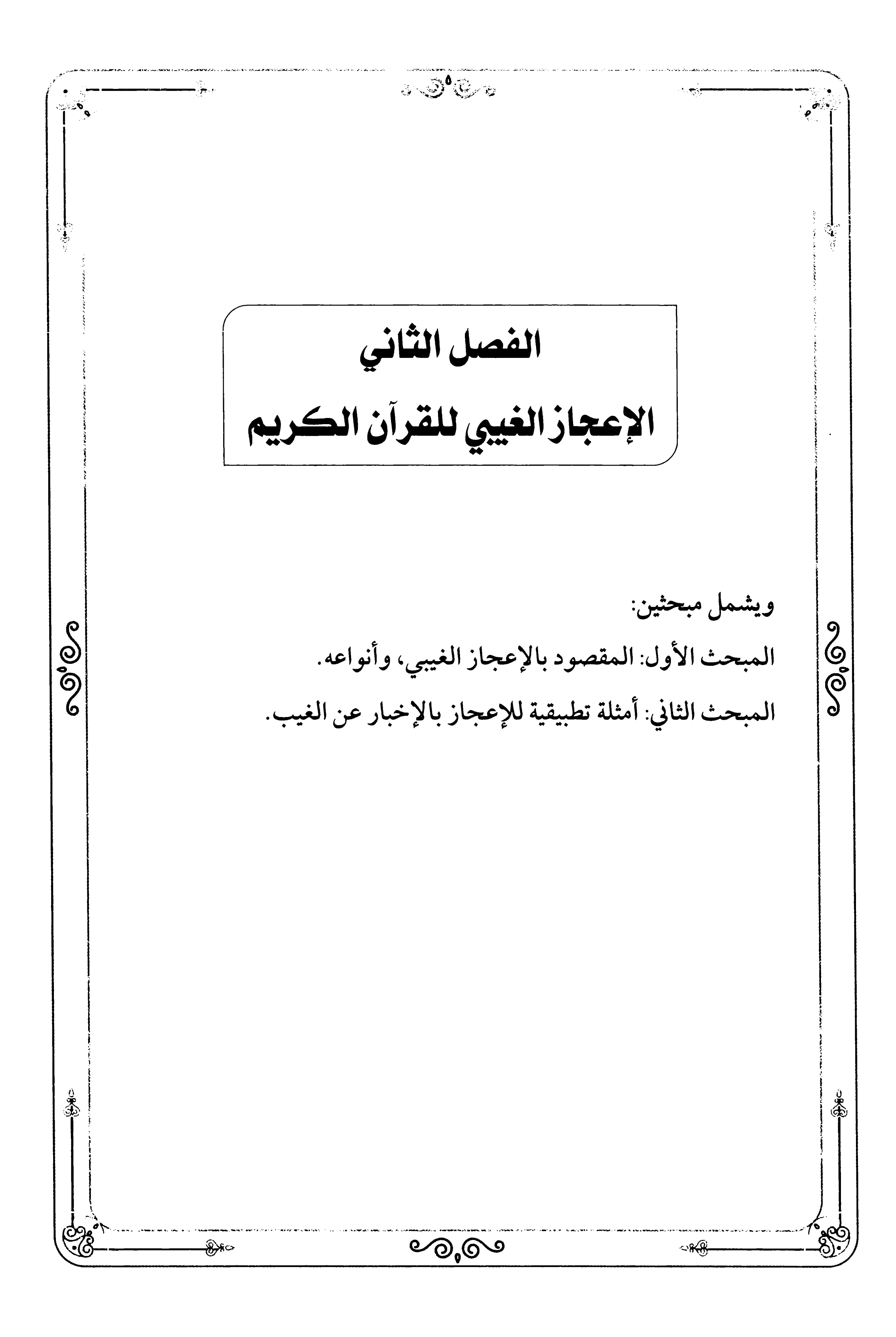
١- بيِّن وجوه إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية.

٢- دلل على إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات.

٣- اذكر خمسة من أهم المؤلفات في الإعجاز البياني.





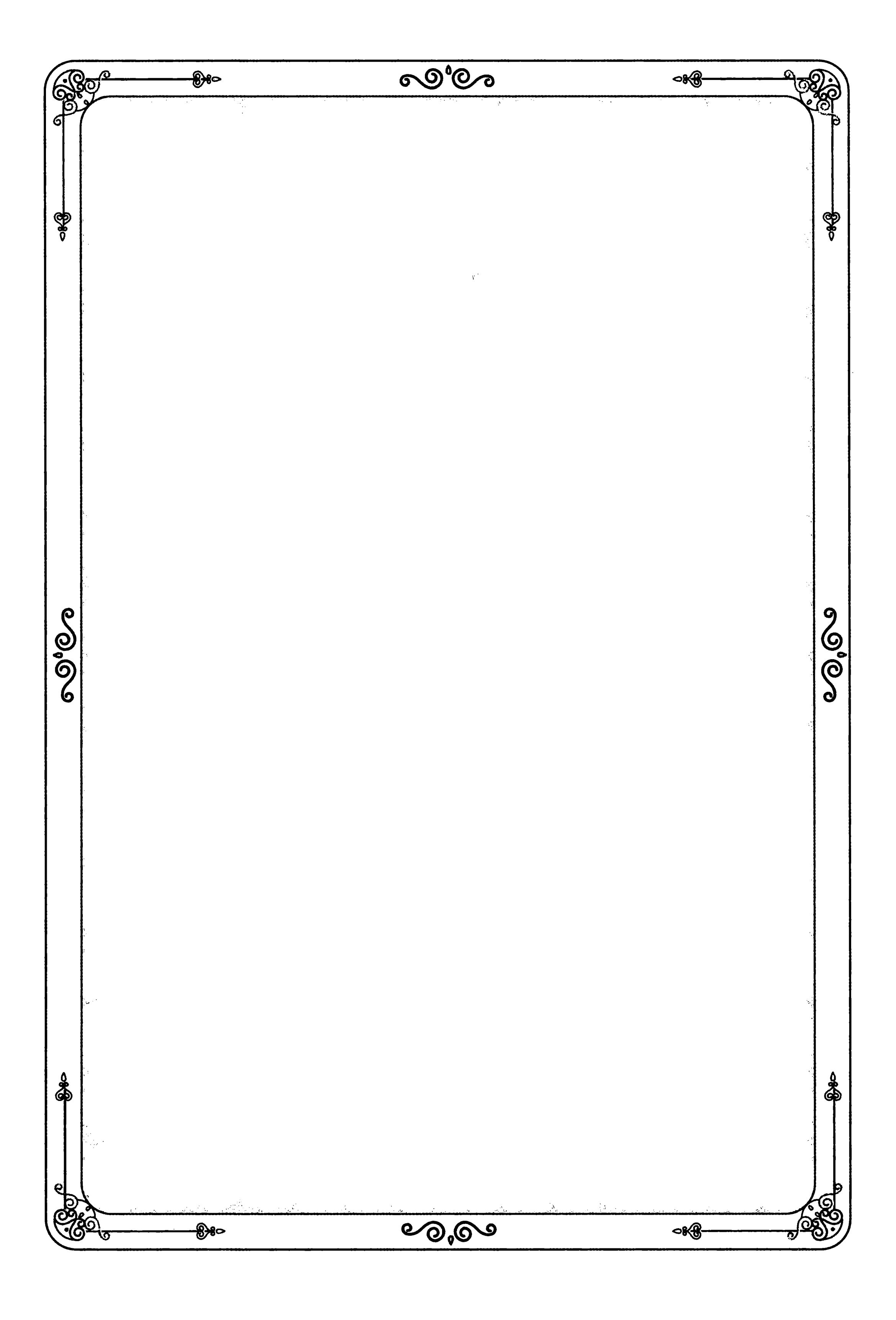


الفصل الثاني
الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز الغيبي، وأنواعه.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز بالإخبار عن الغيب.





المبحث الأول
المقصود بالإعجاز الغيبي، وأنواعه

المقصود بالإعجاز الغيبي:

تقدم تعريف الإعجاز، وبقي أن نعرف الغيب، وما المراد منه:

الغيب لغة: قال ابن فارس: «الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس من ذلك الغيب: ما غاب، مما لا يعلمه إلا الله»(١).

وقيل في تعريفه: الغيب: ما غاب عن الحس والعقل؛ بحيث لا يدركه واحد منهما، كأحوال البعث ونحوه...(٢).

ومن تقسيمات الغيب تقسيمه من حيث الإطلاق والنسبية إلى نوعين:

- غيب مطلق: وهو ما يستحيل الاطلاع عليه بالحواس؛ فيمتنع إدراكه باستخدام الأدوات والآلات المادية؛ فهذا النوع استأثر الله بعلمه.

- غيب نسبي: وهو ما أطلع الله بعض خلقه على جزء فيه؛ فهذا الجزء؛ معلوم للبعض، مجهول عند آخرين(٣).

وقيل: هو نوعان: واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسبي؛ يكون لشخص معلومًا، ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل حقيقي؛ لا يكون معلومًا لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل(٤).

ولعله يمكن تعريف الإعجاز الغيبي بأن يقال: هو عدم القدرة على الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من الإخبار بما ليس محسوسًا.

أنواع الإعجاز الغيبي:

من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التي ذكرها العلماء الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب ويقصدون بذلك كل ما كان غائبًا عن محمد ﷺ، ولم يشهد حوادث الواقعة، ولم يحضر وقتها،

---

(١) مقاييس اللغة: (٤/ ٤٠٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٥٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم، للشيخ ابن عثيمين (تفسير سورة السجدة- الآية ٦) (ص: ٣٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين: (ص: ١٥٣).

فيدخل في الغيب بهذا المفهوم:

- كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير.

- وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله سبحانه وتعالى له بما يكيده اليهود والمنافقون.

- ويشمل أيضًا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان[1].

أنواع الإعجاز الغيبي

غيب الماضي

الإخبار عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غيب المستقبل

الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان.

غيب الحاضر

الإخبار عما غاب عن محمد صلى الله عليه وسلم في وقته من الحوادث.

وجه دلالة الإخبار عن الغيب على مصدر القرآن:

إن حالة محمد ﷺ عند إطلاق هذه الأنباء الموغلة في القدم، أو الحاضرة الخافية في صدور أهلها، أو الوعود المستقبلة التي كانت في مجاهل الغيب، كان حاله في كل ذلك حال الواثق المتيقن من الأمر، وهو بشر لم يطلع على كتب السابقين ولا يملك من تصرف أمور المستقبل شيئًا، وكان هو بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص: ٢٥٩).

فلو لم يكن مستندًا إلىٰ ركن قوي ما أطلق مثل هٰذا، وجازف بدعوته وهو الذي عرف عنه التعقل والحكمة ولم يعهد منه تسرع في أمر، أو تقول بلا روية، حتىٰ قبل أن يكرمه الله بالرسالة.

فلا شك أن الوحي الإلهي كان ينطقه، كما أن الصدق المطلق الذي رافق القرآن الكريم من يوم نزوله إلىٰ يوم انقطاع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلىٰ، أمر يوجب التوقف والتدبر، إن الصدق في أخبار القرآن الكريم ظاهرة لا يستطيع إنكارها أحد، حتىٰ الذين عادوا الإسلام، كان هٰؤلاء يضمرون في أنفسهم احترام صدق القرآن وحقيقته رغم ركام الوثنية والشرك والتكذيب الذي لاقوه به، بل كان هٰذا الاحترام المنتزع منهم والمفروض عليهم ملازمًا لشخص الرسول ﷺ الذي كان ينطق بالقرآن.

ولقد أدرك مشركو العرب هٰذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله ﷺ والمؤمنين به، حيث صدقت الحوادث الكونية كثيرًا مما أخبرهم به القرآن الكريم.

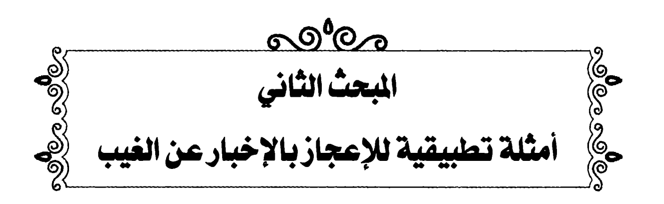
كما أدرك أهل الكتاب صدق القرآن فيما أخبرهم به من الحوادث الغابرة التي كانوا يعرفونها من بطون كتبهم، وكذٰلك أدركوا هٰذا الصدق المطلق من خلال كشف القرآن الكريم لمخططاتهم ومؤامراتهم على الإسلام وأهله.

إن هٰذه الأنباء الصادقة التي جاء بها القرآن الكريم لدليل ظاهر وبرهان قاهر علىٰ أنه كلام رب العالمين، الذي يستوي عنده علم السابق واللاحق، لا تخفىٰ عليه خافية، لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكل ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر، ولا زالت الأيام تكشف عن جوانب من هٰذه الأنباء، سواء في الكون أو الإنسان أو الحوادث الكونية العامة الشاملة.

إن ظاهرة الإخبار بالمغيبات في القرآن الكريم وتصديق الوقائع لها وعدم تخلف الصدق عنها، ولو في جزئية يسيرة، لدليل علىٰ أنه وحي ممن خلق الأرض والسماوات العلىٰ، أنزله علىٰ رسوله ليكون دلالة علىٰ صدقه(١).



(١) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفىٰ مسلم: (ص: ٢٨٧-٢٨٨).



المبحث الثاني
أمثلة تطبيقية للإعجاز بالإخبار عن الغيب

غيب الماضي:

لقد سمى الله سبحانه وتعالى الأخبار عن الأمم السابقة غيبًا، وأشار إلىٰ وجه دلالتها علىٰ صدق رسول الله ﷺ وعلىٰ كون القرآن الكريم إنما نزل بوحي من الله سبحانه وتعالىٰ، فكثيرًا ما يفتتح القرآن القصة أو يختمها بالإشارة إلىٰ أن هٰذه الأمور ما كان لرسول الله طريق إلى العلم بها إلا عن طريق الوحي من الله تعالىٰ شأنه وجلت قدرته، فمثلًا بعد ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها يقول تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فإن هٰذا النص يدل علىٰ أن القرآن من عند الله، وعلىٰ أن ذٰلك النوع من العلم ما كان عند محمد ﷺ، وليس له به دراية.

ويقول عز من قائل بعد قصة نوح عليه السلام: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. وهٰذه أيضًا إشارة واضحة إلىٰ أن هٰذا العلم من عند الله، وأنه لم يكن معروفا عند العرب وما كانوا يتذاكرون به.

ويقول جلت حكمته بعد قصة يوسف وذكر دقائقها وتفصيلاتها وعظاتها وعبرها: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقبل عرض قصة موسىٰ عليه السلام يقول عز من قائل: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]، وبعد انتهائها يقول جل ثناؤه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤-٤٦].

إن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية علىٰ هٰذا السنن المفصل الدقيق في القرآن الكريم لدليل علىٰ أنه وحي من الله سبحانه وتعالىٰ وليس من عند البشر،

لأن من ترعرع في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطلع علىٰ مثل هٰذه الأمور التي لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي، ولم يكن في تلك البيئة الأمية من يعرف هٰذه الأنباء علىٰ هٰذا الوجه الدقيق.

وإن وجد في ذٰلك العصر في أطراف الجزيرة العربية بعض أهل الكتاب ممن لديهم أثارة من علم، فلقد كانوا منغلقين علىٰ أنفسهم، وليس لهم تأثير فيمن حولهم، وكان المتخصص منهم في علم الكتاب -علىٰ قلتهم- يرىٰ في اطلاعه علىٰ جوانب من قصص السابقين ميزة عظيمة له، فكان ضنينا به حتىٰ لا ينافس علىٰ مركزه.

وكانوا يعرفون قرب مبعث الرسول الخاتم للأنبياء والمرسلين، فكان من جملة ما يتحققون به من صدقه سؤاله عن القرون الغابرة ومصائر الأمم السابقة، كما ورد في سبب نزول سورة الكهف، حين سألت قريش اليهود أن يدلوهم علىٰ أمور يتحققون بها صدق محمد ﷺ، فلما أجابهم القرآن الكريم ووافق ما عندهم من أنباء بل فاقها دقة وتفصيلا، وصحح ما التبس عليهم أمره واختلط عليهم وقائعه، أو حرفوه وبدّلوه عن قصد منهم، أو كتموه تعمية وتضليلا ووقف موقف التحدي منهم، وبيّن الحق والصواب من بين ركام الباطل الذي ألقوه عليه، علموا أن هٰذا لم يكن لبشر أن يدركه بالاطلاع والتتبع والاستقراء مهما أوتي من علم وحكمة ودراسة لسير الأولين فما بالك إذا كان الذي جاء به أميا ونشأ في بيئة أمية كما أخبر عنه ربه جل جلاله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

لقد اتهمت قريش رسول الله ﷺ بأنه افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وقالوا تارة أخرىٰ إنه يتلقاه من بشر. وسموا أنباء الغيب الماضي أساطير الأولين. وهٰذه التهم شهادة غير مباشرة لرسول الله ﷺ، كانت قريش تعلم أحوال رسول الله ﷺ قبل البعثة، ولم يتهموه أنه اتصل بأحد من أحبار اليهود أو رهبان النصارىٰ، ولم تكن له أسفار للبحث والتنقيب عن آثار الأمم. وعند ما قالوا: إنها تملىٰ عليه كانوا يدركون عدم صدقهم في هٰذه التهمة. فمن الذي أوتي علوم الأولين والآخرين حتىٰ يستطيع إملاءها علىٰ محمد ﷺ؟! ولماذا لم يدع هو النبوة بدل محمد ﷺ؟ لذا كانت تهمتهم هٰذه اعترافا منهم بأن هٰذه الأنباء لا يمكن أن يأتي بها محمد ﷺ من عند نفسه، وتمويهًا وتضليلًا للناس وخداعًا لأنفسهم فليلصقوها بأحد أتباع محمد ﷺ، ورواجا لهٰذه الفرية ليكن شخصًا غريبًا عن قريش لعل في ذٰلك زيادة في التضليل والتمويه،

فليكن صهيبًا الرومي أو يسارًا مولى الحضرمي، أو عدَّاسًا مولىٰ حويطب بن عبد العزىٰ أو جبرًا مولىٰ ابن عامر، واختاروهم من الموالي الغرباء عن قريش ليوهموا العامة أن هؤلاء الغرباء علىٰ علم لا تعلمه قريش.

وهذا ما تولى القرآن الكريم الرد عليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤-٦]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣][1].

غيب الحاضر:

ويقصد بغيب الحاضر ما جرىٰ في عصر رسول الله ﷺ من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمنًا لها، ومخبرًا بحقيقة ما جرىٰ، ومن ذلك:

أنّ يهوديًّا يُسَمّىٰ: زيد بن السمين، كان استودع طُعْمَةَ بنَ أُبَيْرِقَ الأنصاري من الأوس من بني ظَفَر بن الحارث درعًا من حديد، ثم إنّ زيدًا اليهوديَّ طلب درعه، فجحده طُعْمَةُ، فقال زيد لقومه: انطلقوا حتىٰ نلتمس داره، فاجتمعوا ليلًا، فأتوا داره، فلما سمع جَلَبَة القوم أحس قلبُه أنّ القوم إنما جاءوا من أجل الدرع، فرمىٰ به في دار أبي مُلَيْك، فدخل القوم داره، فلم يجدوا الدرع، فاجتمع الناس. ثم إنّ طُعْمَةَ اطَّلع في دار أبي مليك، فقال: هذا درع في دار أبي مليك، فلا أدري هي لكم أم لا؟ فأخذوا الدرع، ثم إن قوم طعمة -قتادة بن النعمان وأصحابه- قالوا: انطلقوا بنا إلى النبي ﷺ، فلنبرئ صاحبنا، ونقول: إنهم أتونا ليلًا ففضحونا، ولم يكن معهم رسول من قبلك، ونأمرهم أن يُبَرِّءوا صاحبنا؛ لتنقطع ألسنة الناس عنا بما قذفونا به، ونخبره أنها وجدت في دار أبي مليك، فأتوا النبي ﷺ، فأخبروه، فصدق النبي - ﷺ - طُعْمَةَ، وأبرأه من ذلك، وهو يرىٰ أنهم قد صدقوا؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ

(١) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفىٰ مسلم: (ص: ٢٦١-٢٦٣).

وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٩][(١)].

غيب المستقبل:

ويقصد بغيب المستقبل ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع، ولم تكن قد وقعت عند نزول الآيات التي تحدثت عن وقوع الحادثة.

ومن خلال استقراء الآيات التي تحدثت عن هذا النوع من الغيب يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: ما تحدث القرآن عنه ووقع في حياة رسول الله ﷺ بعد أن أخبر عنه القرآن؛ فمن ذلك:

ما تحدث به عن مصير بعض المكذبين، وأنهم سيموتون على الكفر، ويخلدون في النار، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ١-٥]. وغيرها من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها عن مصير الكفار.

لقد حددت الآيات الكريمة مصير كل من أبي لهب والوليد بن المغيرة وأبي جهل في الدنيا والآخرة، فلو لم يكن القرآن تنزيلًا من حكيم حميد الذي بيده الحياة والموت؛ لما صحّ ذلك في كل ما أخبر به، بل لما كان من عاقل من البشر أن يضع مصير دعوته على شيء معين؛

---

(١) هكذا جاء في سبب نزول الآيات الكريمة المذكورة. وقد أورد جمهور المفسرين هذا القصة في سبب نزولها بسياقات متقاربة، وهذا سياق مقاتل بن سليمان لها في تفسيره، قال الباحث الدكتور خالد بن سليمان المزيني في المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية (١/ ٤٢٨):
وقد تبين من دراسة سند الحديث أنه مرسل، وهو وإن كان ضعيفًا من جهة إسناده لكنه يعتضد بأمرين:
الأول: موافقته للسياق القرآني موافقة تامة، ومن المعلوم أن المطابقة بين سياق الآيات وسبب النزول قرينة تعضد السبب وتقويه.
الثاني: اعتماد المفسرين من السلف والمتأخرين له وتعويلهم عليه مما يدل على أن له أصلًا، ومن البعيد جدًا أن يعتمد المفسرون قديمًا وحديثًا على سبب ليس له أصل.
* النتيجة:
أن السبب المذكور في نزول تلك الآيات معلول بالإرسال، ولعله يتأيد بموافقته للسياق القرآني، واعتماد المفسرين عليه في نزول الآيات. والله أعلم.

فلو آمن واحد من هؤلاء الثلاثة الذين دمغهم القرآن الكريم بالكفر، وخلد في الأشقياء ذكرهم؛ لانطفأت شعلة الإسلام، ولقامت الحجة على القرآن ومن جاء به، لو أسلم أبو لهب -مثلًا- لما كان لقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ منصرف، ولا واقع، ولأصبحت هذه الآية في واد والواقع في واد آخر.

ومن ذلك ما أخبر الله عن هزيمة كفار قريش كما في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وسورة القمر من السور المكية التي نزلت في المرحلة المتوسطة حيث كان أذى المشركين يزيد يومًا بعد يوم على المؤمنين، فكانت الآيات الكريمة تنزل على رسول الله ﷺ لتثبيت قلبه بذكر قصص الأنبياء والمرسلين وتبين أن العاقبة لهم، وأن نصر الله آتيهم لا محالة، وأن مصير المعاندين هو الهزيمة والخزي والعار وكان المؤمنون ينتظرون يوم النصر والفرج إلى أن جاء ذلك يوم بدر، يوم الفرقان يوم أعز الله جنده وأخزى أعداءهم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] فأقول: أي جمع هذا، وأية هزيمة؟! إلى أن كان يوم بدر؛ رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، فعرفت تأويلها يومئذ[١]، وعند نزول الآية الكريمة ما كان أحد يتوقع أن تكون للمسلمين شوكة وجيش يواجهون به جموع المشركين؛ فكان أن تحققت النبوة بعد سنوات عديدة.

ومن هذا الباب إخبار القرآن عن هزيمة الروم ثمّ انتصارهم، حيث قال الله تعالى في مطلع سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١-٤]، يُخبر في هذه الآيات أنّ فارس غلبت الروم، وكان هذا في أقرب منطقة من مناطق الروم بالنسبة للعرب، وهي المنطقة الواقعة بين الأردن وفلسطين، ولكنّ هذه الغلبة لن تستمر، فسيعود الروم، ويغلبون فارس في بضع سنين، والبضع لفظ يُطلق ويُراد بها الأعداد من ثلاثة إلى تسعة، وقد كان نصر الروم هذا في السنة السابعة من هزيمتهم حيث حصل ما أخبر به القرآن الكريم من الغيب المستقبلي، وفرح المؤمنون بهذا النصر؛ لأنّ فارس كانوا أقوامًا وثنيين بينما الروم من أهل الكتاب[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٣٢١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٧/ ٦٨١).

(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي: (ص: ٢٨). بتصرّف.

ثانيًا: ما تحدث عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله ﷺ:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

فقد استنفر رسول الله ﷺ الأعراب من حول المدينة في غزوة الحديبية، وتخلف كثير منهم خوفًا من بطش قريش وسطوتها، وقالوا ما محمد وأصحابه إلا أَكَلَةُ رَأْسٍ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

ففتح الله تعالى لهم باب التوبة بشرط الاستجابة لنداء الجهاد في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ولم يدع هؤلاء الأعراب في حياة رسول الله ﷺ، وإنما استنفروا للجهاد بعد وفاته في عهد الخلفاء الراشدين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

فقد تحقق ذلك في عهد الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ، فدحروا دولة الفرس والروم، ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى أطراف الصين شرقًا، وإلى المحيط الأطلسي غربًا، وخضعت الشعوب والأمم للإسلام، ودخل كثير منهم في الإسلام طواعية، وعم ضياؤه أرجاء المعمورة، وسارت الظعينة من حضرموت إلى صنعاء لا تخشى إلا الله، والذئب على غنمها، وكان الناس في أمن وأمان. وكان كل ذلك في العهود اللاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ثالثًا: ما تحدث عنه القرآن الكريم ولم يقع إلى الآن، وسيقع حتمًا من غير ريب؛ فمن ذلك ما ذكره القرآن عن أشراط الساعة والأحداث التي تقع قبيل قيامها، كخروج الدابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] وقد فصّل رسول الله ﷺ القول في بعض أوصافها، ومكان خروجها، في أحاديث؛ منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالخاتم،

وتخطم أنف الكافر بالعصا حتىٰ يجتمع الناس على الخوان؛ يعرف المؤمن من الكافر»[(١)].

ومنها ما أخرجه الطيالسي والحاكم وصححه عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرجة بأقصى اليمن، فينشر ذكرها بالبادية في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية-يعني مكة-ثم تكمن زمانًا طويلًا ثم تخرج خرجة أخرىٰ دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية -يعني: مكة- قال رسول الله ﷺ: ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها، المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، وتنفض عن رأسها التراب، فارفض الناس عنها شتىٰ، وبقيت عصابة من المؤمنين، ثم عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم، فجلت وجوههم حتىٰ جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتىٰ إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟! فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم ينطلق، ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر حتىٰ إن المؤمن ليقول: يا كافر اقضني حقي، وحتىٰ الكافر ليقول: يا مؤمن اقضني حقي[(٢)].

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧]. فمن علامات الساعة خروج يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض وسيطرتهم على العالم. ومن أخبارهم ما رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتىٰ ظننا أنه في ناحية النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، فإن خرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم، وإن خرج ولست فيكم، فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي علىٰ كل مسلم[(٣)].

---

(١) رواه أحمد: (٢/ ٢٩٥)، والترمذي في جامعه في تفسير سورة النمل (٥/ ١٩٣)، وابن ماجهْ في كتاب الفتن باب دابة الأرض: (٢/ ١٣٥١)، وقد ضعفه محققو الكتب المذكورة؛ لأن في إسناده عليَّ بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) مسند أبي داود الطّيالسي: (٤/ ١٤٤)، رقم الحديث: (١٠٦٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٨٤)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشّيخين ولم يخرّجاه». وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٦/ ٣٨١).

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد: (٤/ ٦٨٢)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن: (٨/ ١٩٨).

ومن ذلك الآيات الكثيرة التي تتحدث عن اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١-٦]. وغيرها من الآيات.

فإن هذه الأحداث الجسام التي تضع نهاية للنظام الكوني واقعة لا محالة، وهذا المعتقد جزء من ديننا وعقيدتنا لا يكون المؤمن صحيح الإيمان إلا باعتقاده[١].

ووجه الإعجار في الإخبار بالغيب المستقبلي الذي لم يقع أن القرآن تحدث عنه حديث المؤمن المهيمن الذي له الخلق والأمر، والذي لا راد لأمره وقضائه، ولا معقب لحكمه.



(١) مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم: (ص: ٢٧٧-٢٨٦).

خلاصة الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم

المقصود بالإعجاز الغيبي: عدم القدرة على الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من الإخبار بما ليس محسوسًا.

أنواع الإعجاز الغيبي:

- كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلىٰ مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير.

- إخبار الله سبحانه وتعالىٰ لمحمد ﷺ بما غاب عنه في وقته من الحوادث التي كانت تحدث.

- الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان.

أسئلة الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم

١- ما المقصود بالإعجاز الغيبي للقرآن الكريم؟

٢- بيِّن أنواع الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم.

٣- مثِّل للإعجاز بالإخبار عن الغيب في القرآن الكريم.



الفصل الثالث

الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز التشريعي.

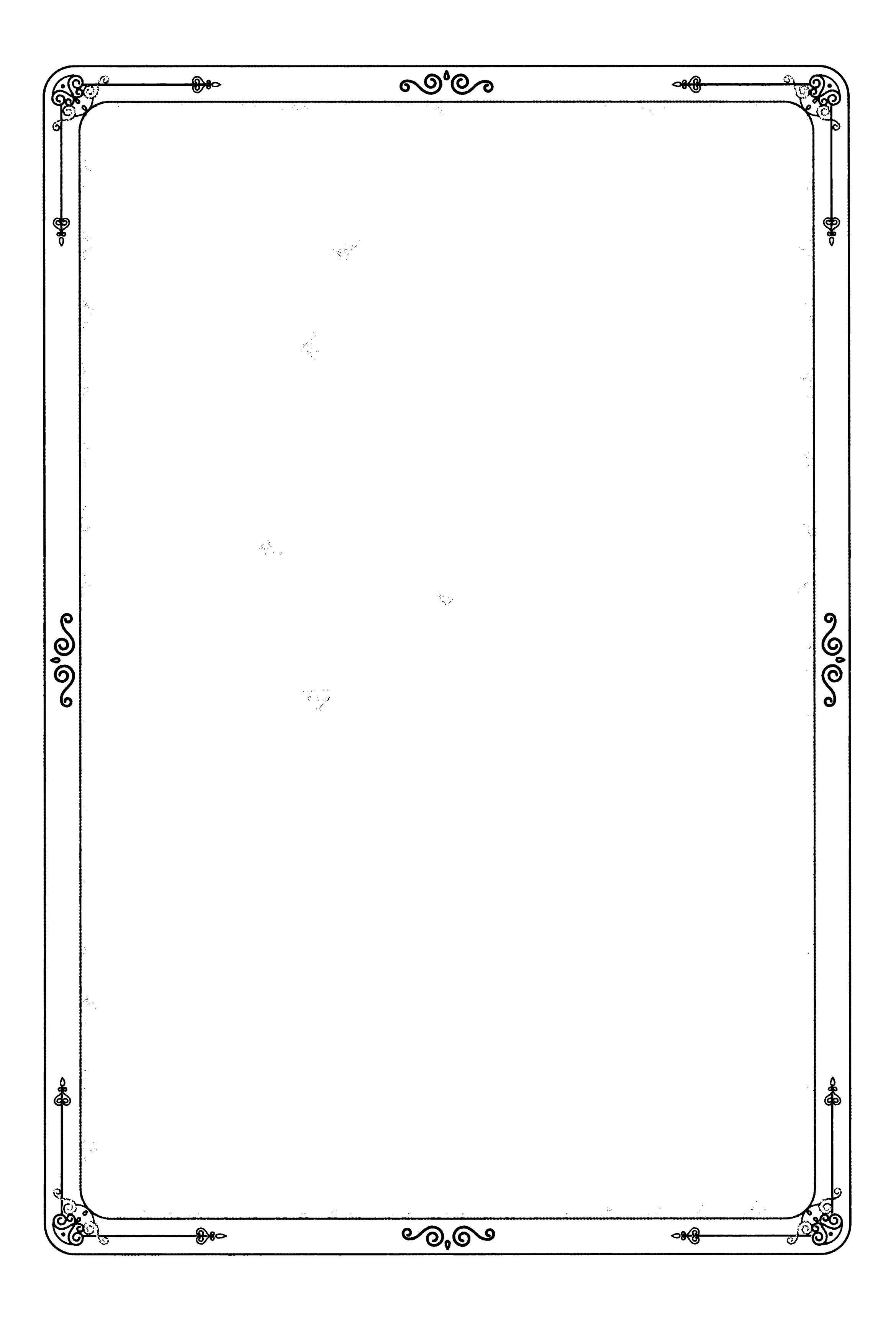
المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي:

أولاً- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العقيدة.

ثانيًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العبادات.

ثالثًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال المعاملات.

رابعًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال الأخلاق.





المبحث الأول
المقصود بالإعجاز التشريعي

معنى التشريع في اللغة:

التشريع من (شرع) والشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه. من ذٰلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. واشتق من ذٰلك الشِّرْعة في الدين والشريعة. قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨] (١).

قال الراغب: «الشَّرع: نَهجُ الطَّريق الواضح، يُقال: شرعت له طريقًا، والشَّرعُ مصدر، ثُم جُعِل اسمًا للطَّريقِ النَّهْجِ، فقيل له: شَرَعَ، وشَرْع وشَرِيعة، واستعير ذٰلك للطَّريقة الإلهيَّة... قال بعضهم: سمّيت الشَّرِيعَةُ شَرِيعَةً تشبيها بشريعة الماء من حيث إنّ من شرع فيها علىٰ الحقيقة المصدوقة رَوي وتطهّر»(٢).

المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن:

المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن: هو عدم القدرة على الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من تشريعاتٍ وأحكام، تَتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع في جميع المجالات.

الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم:

الحديث عن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم حديث عن النظام الخالد للكون وما فيه، فالذي أبدع الكون من العدم، وأوجد فيه من المخلوقات ما لا يحصىٰ عددًا، وجعل أشرف هٰذه المخلوقات وأكرمها بني آدم، قد اختار لهٰذا المخلوق المعزز نظامًا في الحياة ينظم سلوكه في الدنيا وعلاقته بنفسه وبخالقه سبحانه وتعالىٰ، ورتب نتائج دنيوية وأخروية علىٰ نتيجة سيره وفق هٰذا النظام الإلهي الكريم، حيث يحصل الإنسان على الطمأنينة والعزة والرفاه في الدنيا،

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (شرع).

(٢) مفردات القرآن، للراغب: (ص: ٤٥٠ - ٤٥١).

ويشعر بإنسانيته الحقة، ويدرك الحكمة الإلهية من خلقه وإيجاده وتفضيله على سائر المخلوقات، كما ضمن الله سبحانه وتعالى له السعادة في الآخرة استمرارا لسعادته الدنيوية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

واشتمل القرآن الكريم على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية، ولم يدع جانبًا من جوانب الحياة إلا كانت له نظرته الخاصة وتشريعه المستقل بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وينتج من تطبيقه على الناس أمة متكاملة الشخصية متميزة الملامح والسلوك عن سائر الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن الجانب التشريعي والخلقي في القرآن الكريم لآية وأيما آية على كون القرآن من عند الله، وليس من عند البشر.

فالأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمنها القرآن الكريم تخرج عن طوق البشر إحاطة ودقة وشمولًا.

يدل تاريخ الإنسانية على أنها لم تنجب مفكرًا أو فيلسوفًا أو مصلحًا اجتماعيًا استطاع أن يضع نظامًا كاملًا للعلاقات الداخلية والخارجية لدولة ما، وكم من حكيم حاول ذلك، ولكن نظرياته ظهر فيها النقص أحيانًا والتناقض طورًا ومجانبة الصواب كثيرًا، وثار على بعضها أتباعه في حياته أو بعد مماته.

ولا تزال هذه الظاهرة تتكرر إلى يومنا هذا في الأمم والشعوب التي لا تدين دين الحق، علما أن هذه النظريات لا تتناول إلا جانبًا واحدًا بل وضيقًا من جوانب الحياة الاجتماعية، أما أن توضع نظرية متكاملة الجوانب للكون والمخلوقات والأفراد والجماعات في شتى صورها وحالاتها، فهذا مما يخرج من طاقة البشر مهما أوتوا من علم وحكمة، فما بالك إذا ورد مثل هذا النظام الكامل على لسان رجل أمي لم يشتهر في حياته بالاطلاع على كتب الأقدمين وفلسفاتهم، ولم يعرف بالأسفار العلمية، والتجوال في الآفاق بحثًا وراء الأنظمة والتشريعات.

وبقيت تلك العلوم والمبادئ قرونًا وأجيالًا كلما مر عليها دول وأزمان وتناولتها الأيدي والأفكار بالبحث والنقاش والنقد والتمحيص؛ ظهر بريقها، واشتد لمعانها، وأدرك المنصفون من أهل كل عصر ربانية مصدرها وجدارة تطبيقها، وصلاحها دون غيرها لكل زمان ومكان.

إن المبادئ السامية التي وردت في الشريعة الإسلامية وتضمنها القرآن الكريم برهان ساطع على مصدر القرآن الكريم، ودليل صدق على نبوة محمد ﷺ، وأنه تلقاها من لدن الحكيم الخبير، ليكون رحمة للعالمين[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذٰلك في كلام بشر، لا نبي، ولا غير نبي.

وكذٰلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم، وغير ذٰلك.

ونفس ما أمر به القرآن من الدين، والشرائع كذٰلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبينه من الدلائل هو - أيضًا - كذٰلك.

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية -التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء- وجد بين ذٰلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم.

فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. وما في التوراة والإنجيل: ولو قدر أنه مثل القرآن، لا يقدح في المقصود، فإن تلك كتب الله - أيضًا - ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره؛ فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلًا لمعاني القرآن؛ لا في الحقيقة، ولا في الكيفية، ولا الكمية، بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب.

وهٰذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة، ظهر له إعجازه من هٰذا الوجه، ومن لم يظهر له ذٰلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي، وإخباره بعجزهم، فإن هٰذا أمر ظاهر لكل أحد»[٢].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن: (ص٢٣١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٣٤).

«ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن، فإن القرآن فيه ذكر المعاد وإقامة الحجج عليه وتفصيله، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في التوراة. وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يذكر في التوراة، وفيه من ذكر أسماء الله الحسنىٰ وصفاته ووصف ملائكته وأصنافهم وخلق الإنس والجن ما لم يفصل مثله في التوراة، وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من مناظرة المخالفين وإقامة البراهين علىٰ أصول الدين ما لم يذكر مثله في التوراة، مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدىٰ من القرآن والتوراة. وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حرمت عليهم عقوبة لهم، وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء ما لم يشرع في التوراة، وفيها من وضع الآصار والأغلال التي في التوراة ما يظهر به أن نعمة الله علىٰ أهل القرآن أكمل.

وأما الإنجيل؛ فليس فيه شريعة مستقلة، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر. ولٰكن أحل المسيح بعض ما حرم عليهم، وأمرهم بالإحسان والعفو عن الظالم واحتمال الأذىٰ، والزهد في الدنيا، وضرب الأمثال لذٰلك.

فعامة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد المستحب، وتحليل بعض المحرمات وهٰذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل، فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن أو ما هو أفضل منه. وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدىٰ ودين الحق ما ليس في الكتابين»(١).

ومن أعظم وجوه الإعجاز التشريعي للقرآن أنه يقوم علىٰ حِفظ مصالح العباد في دينهم ودنياهم، فالشريعة لم تأت بالأحكام والقواعد إلا لحِفظ هٰذه المصالح المتمثلة في الكليات الخمس، وهي:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية: (٥/ ٧١).

الدين: كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

والنفس: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

والعقل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

والعرض: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

والمال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٩-٣٠]، ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٤-٣٥].

ومن أجل الحفاظ على هٰذه الكلِّيَّات الخمس، حرَّم القرآن الكريم الاعتداء عليها، وشرع ما يُعرف في الفقه الإسلامي بالحدود.

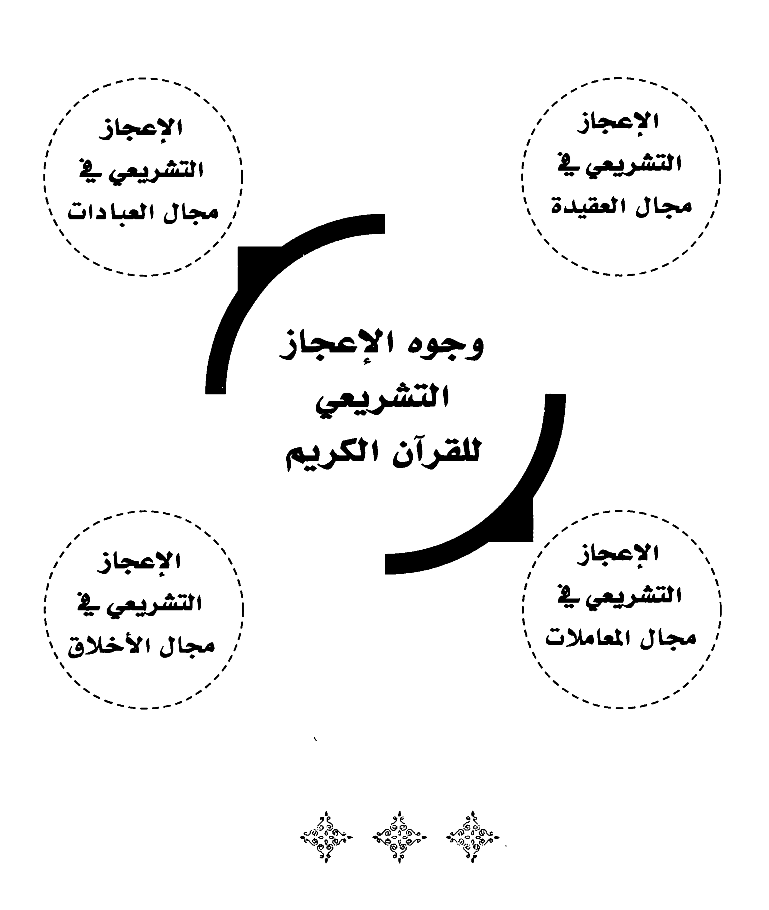
وإعجاز الشريعة ليس في حفظ هٰذه الضروريات الخمس فحسب، بل الإعجاز أعظم في دقَّة ترتيبها، ودفْع التعارُض فيما بينها، فلا يجوز الإخلال بحكم إلا إذا كانت مراعاته تؤدي إلى الإخلال بحُكمٍ أكثر ضرورة، فالجهاد واجب لحفظ الدين؛ لأن حفظ الدين أهم من حِفظ النفس، وشرب الخمر يُباح لمن كان مضطرًّا لشربها؛ لأن حفظ النفس أهم من حفظ العقل، وللإنسان أن يَقِيَ نفسه من الهلاك بإتلاف مال غيره، إذا كان إتلاف المال ضرورة لحفظ النفس؛ لأن حفظ النفس أهم من حِفظ المال.

والحق أنه لا مجال للموازنة بحال من الأحوال بين ما شرَعَ الله العليم الحكيم، وما قنَّن البشر القاصرة عقولُهم، المحدودة فهومُهم، المَشوبة بتسلُّط الهوىٰ والشهوة، لا مجال للموازنةِ بين شرعٍ رباني سماوي مُحكم ثابتٍ، لا يتبدَّل ولا يتغيَّر، وبين قانون وضعي بشري دائم التبديل والتعديل، ومَن أحسنُ مِن الله حُكمًا لقوم يوقنون؟![1]

---

(١) الكليات الخمس بين الشريعة والقانون، محمد وفيق زين العابدين- مقال منشور في الإنترنت في موقع الألوكة.




الإعجاز التشريعي في مجال العقيدة
الإعجاز التشريعي في مجال العبادات
وجوه الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم
الإعجاز التشريعي في مجال المعاملات
الإعجاز التشريعي في مجال الأخلاق

المبحث الثاني
أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي

أولاً- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العقيدة.

يقول الرازي في آخر مصنفاته [كتاب «أقسام اللذات»]: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠][(١)]، قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

ولما ذكر الرازي الاستدلال بحدَث الصفات؛ كالحيوان، والنبات، والمطر، ذكر أن هٰذه طريقة القرآن.

ولا ريب أن القرآن يذكر فيه الاستدلال بآيات الله؛ كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤][(٢)].

إن الله تعالىٰ أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، وأرسله بالآيات البينات؛ وهي الأدلة البينة الدالة على الحق، وكذٰلك سائر الرسل، ومن الممتنع أن يرسل الله رسولًا يأمر الناس بتصديقه، ولا يكون هناك ما يعرفون به صدقه، وكذٰلك من قال: إني رسول الله، فمن الممتنع أن يجعل مجرد الخبر المحتمل للصدق والكذب دليلًا له، وحجة على الناس؛ هٰذا لا يظن بأجهل الخلق، فكيف بأفضل الناس؟!

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[(٣)].

---

(١) ينظر: أقسام لذات الدنيا، للرازي (ص: ٢٦٣)، وهو مطبوع عن خمس نسخ خطية (طبعة ليدن)، حققه أيمن شحادة، والكتاب يبدأ من (ص: ٢١١).

(٢) النبوات، لابن تيمية (١/ ٣٠٤).

(٣) صحيح البخاري- باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٦/ ١٨٢) ح ٤٩٨١، وصحيح مسلم- باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٤) ح ٢٣٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]؛ فالبينات: جمع بينة؛ وهي الأدلة والبراهين التي هي بينة في نفسها، وبها يتبين غيرها؛ يقال: بين الأمر: أي تبين في نفسه، ويقال: بين غيره؛ فالبين: اسم لما ظهر في نفسه، ولما أظهر غيره. وكذلك المبين؛ كقوله: ﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [الأحزاب: ٣٠]؛ أي: متبينة.

فهذا شأن الأدلة؛ فإن مقدماتها تكون معلومة بنفسها؛ كالمقدمات الحسية، والبديهية. وبها يتبين غيرها؛ فيستدل على الخفي بالجلي.

والهدى: مصدر هداه هدىً، والهدى: هو بيان ما ينتفع به الناس، ويحتاجون إليه، وهو ضد الضلالة؛ فالضال يضل عن مقصوده وطريق مقصوده. وهو سبحانه بين في كتبه ما يهدي الناس؛ فعرفهم ما يقصدون، وما يسلكون من الطرق؛ عرَّفهم أن الله هو المقصود المعبود وحده، وأنه لا يجوز عبادة غيره، وعرفهم الطريق؛ وهو ما يعبدونه به.

ففي الهدى: بيان المعبود، وما يعبد به. والبينات فيها بيان الأدلة والبراهين على ذلك. فليس ما يخبر به، ويأمر به من الهدى قولًا مجردًا عن دليله ليؤخذ تقليدًا واتباعًا للظن، بل هو مبين بالآيات البينات؛ وهي الأدلة اليقينية، والبراهين القطعية(١).

والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد.

والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع.

ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث، وبُيِّن معناها بيانًا شافيًا، فإنها تنتظم(٢) جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل؛ كما قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وفيه من دلائل الربوبية،

(١) النبوات لابن تيمية (٢/ ٣٦٩).

(٢) في المصدر: لا تنتظم، والظاهر أن (لا) كُتبت خطأ.

والنبوة، والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد؛ ففيه أصول الدين المفيدة لليقين؛ وهو أصول دين الله ورسوله، لا أصول دين محدث، ورأي مبتدع[1].

ومن أمثلة ما تقدم تقرير القرآن الكريم عقيدة البعث بعد الموت والحساب والجزاء يوم القيامة؛ فقد قررها أوضح تقرير وأدقه؛ ومن ذلك أنه بيَّن أن اليوم الآخر من مستوجبات العدل الإلهي المطلق، فلا بد من التمييز بين المحسن والمسيء والصالح والطالح، يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

ولما كان البعث بعد الموت من الأمور الغيبية التي لا تدرك آثارها فقد أكثر القرآن الكريم من ضرب الأمثال والحجج العقلية والقياس على الأمور المشاهدة المحسوسة.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

إن الإيمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء عنصر مهم في تقويم سلوك الإنسان في الحياة الدنيا ودفعه نحو الكمالات النفسية والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، كما أنه عزاء لأهل الخير والصلاح إن فاتتهم سراء أو أصابهم الضر في الحياة الدنيا.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٧٦).

ووصف القرآن الكريم -في مقابل ذلك- منكري البعث بالخسران؛ قال تعالىٰ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣١-٣٢].

ولقد خسر الكافرون بالبعث عقولهم وأفهامهم إذ فهموا أن لا حكمة من خلقهم، وخسروا بأن لم يؤمنوا ويعملوا الصالحات؛ ليستحقوا الفوز بثواب الله، والنجاة من عذابه؛ فخسروا ما أعده الله لأوليائه المؤمنين يوم القيامة.

هٰذه أسس العقيدة الإسلامية: الألوهية والرسالة والمعاد، ولكل من هٰذه القضايا مستلزمات ومقومات عرضها القرآن الكريم أيضًا، وفصلها أوضح تفصيل وأبلغه، ولم يدع مجالًا من مجالاتها إلا وقرره أحكم تقرير.

ثانيًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العبادات.

خلق الله الخلق لعبادته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وأرسل جميع المرسلين لتعبيد الناس لربهم الحق على امتداد الوجود التاريخي للبشرية؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وما دعت الرسل أقوامها إلا لعبادة الله تعالىٰ دون غيره؛ كما في قوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، «إلىٰ غير ذٰلك من الآيات الآمرة بالعبادة على الإطلاق، وبتفاصيلها على العموم؛ فذٰلك كله يوجب الرجوع إلى الله في جميع الأحوال، والانقياد إلىٰ أحكامه علىٰ كل حال، وهو معنى التعبد لله»[(١)].

ومن جملة العبادات التي أمر الله بها الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات التي أمر الله بها «وما فيها من الأحكام هي من محاسن الدين الإسلامي، لما فيها من المنافع للعباد في قلوبهم وأبدانهم وأخلاقهم، والتقرب بها إلى الله، والتوسل بها إلىٰ ثوابه العاجل والآجل، فجميع الأحكام من أكبر الأدلة علىٰ حسن دين الإسلام، وأنه الدين الحق الذي فيه الصلاح والإصلاح، وأن سعادة الدنيا والآخرة منوطة به، مترتبة عليه، فتأمل أحكام الله، وما فيها من الحكم والأسرار، والمنافع ودفع المضار، تجد هٰذا مشاهدًا فيها»[(٢)].

---

(١) الموافقات للشاطبي: (٢/ ٢٩٠).

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: (١/ ٨٥).

تأمل الصلاة، وما فيها من الحكم والأسرار، والمنافع ودفع المضار، تجد هٰذا مشاهدًا فيها؛ «قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وهٰذا محسوس؛ فإن الإنسان إذا قرأ القرآن وتدبره؛ كان ذٰلك من أقوى الأسباب المانعة له من المعاصي أو بعضها، وكذٰلك الصوم جنة، وكذٰلك نفس الإيمان بتحريم المحرمات، وبعذاب الله عليها؛ يصد القلب عن إرادتها»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحسنات تعلل بعلتين:

إحداهما: ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة.

والثانية: ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضرة.

وكذٰلك السيئات تعلل بعلتين:

إحداهما: ما تتضمنه من المفسدة والمضرة.

والثانية: ما تتضمنه من الصد عن المنفعة والمصلحة.

مثال ذٰلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فبين الوجهين جميعًا؛ فقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ بيان لما تتضمنه من دفع المفاسد والمضار؛ فإن النفس إذا قام بها ذكر الله ودعاؤه -لا سيما علىٰ وجه الخصوص- أكسبها ذٰلك صبغة صالحة؛ تنهاها عن الفحشاء والمنكر، كما يحسه الإنسان من نفسه؛ ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] فإن القلب يحصل له من الفرح والسرور وقرة العين ما يغنيه عن اللذات المكروهة، ويحصل له من الخشية والتعظيم لله والمهابة، وكل واحد من رجائه وخشيته ومحبته؛ ناه ينهاه.

وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بيان لما فيها من المنفعة والمصلحة أي: ذكر الله الذي فيها أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر؛ فإن هٰذا هو المقصود لنفسه، كما قال: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] والأول تابع؛ فهٰذه المنفعة والمصلحة أعظم من دفع تلك المفسدة.

وكذٰلك قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فهٰذا دفع المؤذي ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فهٰذا مصلحة.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢٠/ ١٢٣).

وفضائل الأعمال وثوابها وفوائدها ومنافعها كثير في الكتاب والسنة من هذا النمط كقوله في الجهاد: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٢-١٣] فبين ما فيه من دفع مفسدة الذنوب، ومن حصول مصلحة الرحمة بالجنة؛ فهذا في الآخرة، وفي الدنيا النصر والفتح، وهما أيضًا دفع المضرة، وحصول المنفعة، ونظائره كثيرة.

وأما من السيئات فكقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١] فبين فيه العلتين:

إحداهما: حصول مفسدة العداوة الظاهرة، والبغضاء الباطنة.

والثانية: المنع من المصلحة التي هي رأس السعادة، وهي ذكر الله، والصلاة؛ فيصد عن المأمور به إيجابًا أو استحبابًا.

وبهذا المعنى عللوا أيضًا كراهة أنواع الميسر من الشطرنج ونحوه؛ فإنه يورث هذه المفسدة، ويصد عن المأمور به، وكذلك الغناء؛ فإنه يورث القلب نفاقًا، ويدعو إلى الزنى، ويصد القلب عن ما أمر به من العلم النافع، والعمل الصالح؛ فيدعو إلى السيئات، وينهى عن الحسنات مع أنه لا فائدة فيه، والمستثنى منه عارضه ما أزال مفسدته، كنظائره.

وكذلك البدع الاعتقادية والعملية؛ تتضمن ترك الحق المشروع الذي يصد عنه من الكلم الطيب والعمل الصالح؛ إما بالشغل عنه، وإما بالمناقضة، وتتضمن أيضًا حصول ما فيها من مفسدة الباطل اعتقادًا وعملًا. وهذا باب واسع؛ إذا تؤمل انفتح به كثير من معاني الدين[1].

الزكاة:

وتأمل الزكاة التي جمع الله في كتابه في آيات كثيرة بين الأمر بإقام الصلاة والأمر بإيتائها؛ لأنهما مشتركتان في أنهما من أهم فروض الدين، ومباني الإسلام العظيمة، والإيمان لا يتم إلا بهما، ومن قام بالصلاة وبالزكاة كان مقيمًا لدينه، ومن ضيعهما؛ كان لما سواهما من دينه أضيع، فالصلاة فيها الإخلاص التام للمعبود، وهي ميزان الإيمان، والزكاة فيها الإحسان إلى المخلوقين، وهي برهان الإيمان[2] = تجد أن الله حدد في القرآن الكريم مصارف الزكاة في الأصناف المستحقة للزكاة، والمحددة في ثمانية أصناف، وهم المذكورون في قوله تعالى:

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٢- ١٩٤).

(٢) ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ٧٥).

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]، فمصارف الزكاة محددة تحديدًا لا يمكن معه لخلاف الفقهاء أو المجتهدين أن يمتد لإضافة فئة جديدة لهٰذه الأصناف، فإذا دفعت إلىٰ جهة من هٰذه الجهات أجزأت، ووقعت موقعها، وإن دفعت في غير هٰذه الجهات لم تُجْزِ»[1]، فالأصناف الثمانية المحددة في الآية تشمل كل مظاهر الضعف والاحتياج في المجتمع، وقد أثبت التاريخ استيعاب فريضة الزكاة كل صور الحاجة التي عرفتها الإنسانية قديمًا وحديثًا.

ومن هنا يتبين إعجاز فريضة الزكاة في شمولها كل أصناف الاحتياج داخل المجتمع؛ فالزكاة تحقق أسمىٰ مظاهر التكافل من خلال:

استيعابها لكل أصناف الحاجة داخل المجتمع، ولا يمكن أن يعجز أهل العلم الاجتهاد عن إلحاق مظهر من مظاهر الحاجة بصنف من الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة، والتي حددتها الآية الكريمة.

وهٰؤلاء المذكورون فيها قسمان: قسم يأخذ لحاجته كالفقراء والمساكين والرقاب وابن السبيل والغارم لنفسه.

وقسم يأخذ لنفعه العمومي والحاجة إليه، وهم البقية[2].

وبتأملها نجدها تلبي الحاجات الإنسانية التالية:

الحاجة بسبب الفقر: الفقير والمسكين.

الحاجة بسبب الأسر أو الاستعباد: في الرقاب.

الحاجة بسبب الظروف الطارئة: الغارمون وابن السبيل.

الحاجة بسبب الانقطاع للجهاد في سبيل الله.

وإذا أمعنا النظر في هٰذه المجموعات الأربع يتأكد لدينا أنها تشمل كل جوانب الحاجة الإنسانية التي تبرر تشريعات التكافل الاجتماعي في كل عصر.

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ٧٥).

(٢) المرجع السابق.

وتتحقق خاصية الشمول في هٰذه الفريضة من عدة أوجه مما يتأكد معه قدرتها علىٰ تحقيق التضامن، ومن ذٰلك:

- شمولها من جهة من تجب عليه. حيث تجب علىٰ كل الأفراد الذين بلغ مالهم النصاب الذي تجب فيه الزكاة؛ سواء أكانوا مكلفين أم غير مكلفين. فهي تجب على الصبي وعلىٰ المجنون وغيرهم مما لم يتوفر فيه شرط التكليف. حيث ينظر إلىٰ توفر النصاب في ماله. والمعتمد هنا الاتجاه الفقهي الذي أخذ بالتوسعة على الفقير وتحقيق مقصد الزكاة في التكافل. وهو الرأي الذي ينسجم مع المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين. وهو ما أخذ به مجمع البحوث الإسلامية(١).

- شمولها لكل أموال الشخص الواحد، ومعنىٰ ذٰلك إذا توفر لشخص واحد موارد مالية متعددة. فإنه ملزم شرعًا بأداء الزكاة في كل فرع من فروع موارده متىٰ بلغ النصاب وفق الشروط التي بينتها الشريعة، ولا يسقط حق الزكاة عن مورد بأدائها في غيره.

- شمولها فيما تجب فيه -الثروة والدخل- أو في كل مال نام حقيقة أو حكمًا.

فالله تعالىٰ فرضها لهؤلاء الأصناف بحسب حكمته وعلمه، ووضعه الأشياء مواضعها، فإن سد الكفايات وقيام المصالح العمومية النافعة من الفروض على المسلمين، وهي علىٰ أهل الأموال شكر منهم لله تعالىٰ علىٰ نعمته بالمال، وتطهير لهم ولها، ونماء وبركة، واتصاف بصفات الأخيار، وسلامة من نعوت الأشرار(٢).

بينما لم يحدد إيرادات الزكاة على النحو الذي حددت به مصارفها، وإنما حددت في إطار قاعدة عامة أقرها الفقهاء؛ مفادها: «أن الزكاة تجب في كل مال نام»، والأموال الخاضعة للزكاة وفقًا لهٰذه القاعدة؛ تشمل كل أنواع الأموال والأنشطة الاقتصادية المستحدثة في الواقع، وبتعميم القاعدة في الأموال كلها يتأكد إعجاز الزكاة من حيث إيراداتها التي لا يمكن أن يستثنىٰ منها إلا ما لم يبلغ النصاب من المال، أو ما لم يتحقق في أصله عنصر النماء(٣).

---

(١) الزكاة، بحث منشور في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، (١٣٥٨هـ-١٩٦٥م)، لمحمد أبو زهرة: (ص: ١٤٨).

(٢) ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: (١/ ٨٠).

(٣) مقال: أوجه الإعجاز التشريعي في فريضة الزكاة، لحميد خالد- منشور في الإنترنت في موقع منار الإسلام.

ثالثًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال المعاملات.

شرع القرآن الكريم في المعاملات ما يحفظ أموال الناس، ويمنع من الاعتداء عليها، ويحقق العدل في المعاملات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأموال يجب الحكم بين الناس فيها بالعدل، [كما أمر الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠].

مثل: قسم المواريث بين الورثة على ما جاء به الكتاب والسنة...

كذلك في المعاملات من المبايعات، والإجارات، والوكالات، والمشاركات، والهبات، والوقوف، والوصايا، ونحو ذلك من المعاملات المتعلقة بالعقود والقبوض؛ فإن العدل فيها هو قوام العالمين؛ لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به؛ فمن العدل فيها ما هو ظاهر يعرفه كل أحد بعقله؛ كوجوب تسليم الثمن على المشتري، وتسليم المبيع على البائع للمشتري، وتحريم تطفيف المكيال والميزان، [وقد قرر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]، وقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦]، كما قرر] وجوب الصدق والبيان، وتحريم الكذب والخيانة والغش؛ [بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، [ومن العدل الظاهر الذي يعرفه كل أحد بعقله:] أن جزاء القرض الوفاء والحمد، [وفي هذا المعنى ورد قول الله تعالى: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا﴾ [المزمل: ٢٠]

ومن العدل ما هو خفي جاءت به الشرائع أو شريعتنا -أهل الإسلام- فإن عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل، والنهي عن الظلم: دقه وجله؛ مثل أكل المال بالباطل. [قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، وجنسه من الربا والميسر: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

[ومن أمثلة المعاملات التي نهىٰ عنها التشريع الإسلامي:] أنواع الربا والميسر التي نهىٰ عنها النبي ﷺ؛ مثل: بيع الغرر، وبيع حبل الحبلة، وبيع الطير في الهواء، والسمك في الماء، والبيع إلىٰ أجل غير مسمىٰ، وبيع المُصَرَّاة، وبيع المُدَلِّس، والملامسة، والمنابذة، والمزابنة، والمحاقلة، والنَّجَش، وبيع الثمر قبل بدو صلاحه، وما نهىٰ عنه من أنواع المشاركات الفاسدة، كالمخابرة بزرع بقعة بعينها من الأرض.

ومن ذٰلك ما قد تنازع فيه المسلمون لخفائه واشتباهه؛ فقد يرىٰ [الإنسان] هٰذا العقد والقبض صحيحًا عدلًا، وإن كان غيره يرىٰ فيه جورًا؛ يوجب فساده، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والأصل في هٰذا أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ تحريمه، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ شرعه؛ إذ الدين ما شرعه الله، والحرام ما حرمه الله؛ بخلاف الذين ذمهم الله حيث حرموا من دين الله ما لم يحرمه الله، وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانًا، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله[1].

إن تشريع القرآن في المعاملات لا مثل له في قوانين البشر، ولا يتحقق العدل في المعاملات إلا بما شرعه القرآن فيها؛ فكل ما خالفه ظلم وضلال عن الهدىٰ، كما قال ﷻ عمن يتبع ما خالف شرعه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

رابعًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال الأخلاق.

«غالب آي القرآن هو من العلم بأحوال القلوب»؛ «كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة، والإرادات الصحيحة والفاسدة، والعلم بمعرفة الله ومحبته والإخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض فيه والرضا بحكمه والإنابة إليه، والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس، كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء، وأمثال ذٰلك من العلوم المتعلقة بأمور باطنة في القلوب ونحوه؛ فإن الله أنزل القرآن ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. بل هٰذا العلم هو العلم بأصول الدين؛ فإن اعتقاد

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٨٤) وقد أدرجنا في كلامه شواهده من القرآن.

القلب أصل لقول اللسان، وعمل القلب أصل لعمل الجوارح، والقلب هو ملك البدن، كما قال أبو هريرة ﷺ القلب ملك والأعضاء جنوده؛ فإذا طاب الملك؛ طابت جنوده، وإذا خبث الملك؛ خبثت جنوده، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب»[١]. ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده، ولم يقصد صلاح قلبه بالإيمان ودفع النفاق؛ كان منافقًا إن أظهر الإسلام؛ فإن الإسلام يظهره المؤمن والمنافق، وهو علانية، والإيمان في القلب، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[٢] وكلام الصحابة والتابعين والأحاديث والآثار في هذا أكثر منها في الإجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير؛ ولكن هذا العلم ظاهر موجود؛ مقول باللسان، مكتوب في الكتب؛ ولكن من كان بأمور القلب أعلم؛ كان أعلم به، وأعلم بمعاني القرآن والحديث. وعامة الناس يجدون هذه الأمور في أنفسهم ذوقًا ووجدًا؛ فتكون محسوسة لهم بالحس الباطن؛ لكن الناس في حقائق الإيمان متفاضلون تفاضلًا عظيمًا...»[٣].

ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في الأخلاق وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، ومن أهل الرأي كالمتفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن. ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر[٤].

ولما سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ؛ أجابت بما شفى وكفى؛ فقالت: «كان خلقه القرآن»[٥]... ومن هذا قال ابن عباس وغيره: أي: على دين عظيم، وسمى الدين خلقًا؛ لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق؛ تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات؛

---

(١) صحيح البخاري- باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠) ح ٥٢، وصحيح مسلم- باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩) ح ١٠٧.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/ ٣٧٤)، وقد ضعفه محققو المسند، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ورقمه فيها ٦٩٠٦.

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٣٣ وما بعدها).

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥).

(٥) مسند الإمام أحمد (٤١/ ١٤٨).

فتكتسب النفس بها أخلاقًا؛ هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها؛ فهذه كانت أخلاق رسول الله المقتبسة من مشكاة القرآن؛ فكان كلامه مطابقًا للقرآن؛ تفصيلًا له، وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته؛ فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: «كان خلقه القرآن»...[(١)].

وقد كان من خلقه أنه لا ينتقم لنفسه، وإذا انتهكت محارم الله؛ لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله؛ فيعفو عن حقه، ويستوفي حق ربه.

والناس في الباب أربعة أقسام:

منهم من ينتصر لنفسه ولربه، وهو الذي يكون فيه دين وغضب.

ومنهم من لا ينتصر لا لنفسه ولا لربه، وهو الذي فيه جهل وضعف دين.

ومنهم من ينتقم لنفسه؛ لا لربه، وهم شر الأقسام.

وأما الكامل فهو الذي ينتصر لحق الله، ويعفو عن حقه، كما قال أنس بن مالك: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف قط. وما قال لي لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لم لا فعلته؟ وكان بعض أهله إذا عتبني على شيء يقول: دعوه؛ لو قضي شيء؛ لكان»[(٢)]؛ فهذا في العفو عما يتعلق بحقوقه.

وأما في حدود الله فلما شفع عنده أسامة بن زيد -وهو الحب ابن الحب، وكان هو أحب إليه من أنس، وأعز عنده - في امرأة سرقت؛ شريفة أن يعفو عن قطع يدها؛ غضب، وقال: «يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؛ إنما أهلك من كان قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[(٣)]؛ فغضب على أسامة لما شفع في حد لله، وعفا عن أنس في حقه.

---

(١) التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم (ص: ٣١٧).

(٢) صحيح مسلم- باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا (٤/ ١٨٠٤) ح ٢٣٠٩، والشطر الأخير رواه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه: (ص: ٤٥) ح ٤.

(٣) صحيح البخاري- باب حديث الغار (٤/ ١٧٥) ح ٣٤٧٥، وصحيح مسلم- باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود (٣/ ١٣١٥) ح ١٦٨٨.

والأحاديث والآثار في استحباب العفو عن الظالم، وأن أجره بذلك أعظم كثيرة جدًا، وهذا من العلم المستقر في فطر الآدميين.

وقد قال تعالى لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فأمره أن يأخذ بالعفو في أخلاق الناس، وهو ما يُقَر من ذلك. وهذه الآية فيها جماع الأخلاق الكريمة(١)، كما قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق. وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وقد ذكر: أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما هذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل، فسأل. ثم رجع إليه. فقال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»(٢).

ولا ريب أن للإنسان مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان: موافق له موال، ومعاد له معارض.

وعليه في كل واحد من هذه واجب:

فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف، وهو المعروف الذي به صلاحهم، وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده.

وواجبه فيما يبذلونه له من الطاعة: أن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وطوعت له به أنفسهم، سماحة واختيارًا، ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم.

وواجبه عند جهل الجاهلين عليه: الإعراض عنهم، وعدم مقابلتهم بالمثل، والانتقام منهم لنفسه، فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقال مجاهد: يعني: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل قبول الأعذار، والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث، والتفتيش عن حقائق بواطنهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٧٠ وما بعدها).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٠/ ٦٤٢).

وقال ابن عباس ﷺ: خذ ما عفا لك من أموالهم. وهو الفاضل عن العيال، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

ثم قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ وهو كل معروف. وأعرفه: التوحيد. ثم حقوق العبودية، وحقوق العبيد.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يعني: إذا سفه عليك الجاهل؛ فلا تقابله بالسفه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وعلى هذا فليست بمنسوخة. بل يعرض عنه مع إقامة حق الله عليه، ولا ينتقم لنفسه. وهكذا كان خلقه ﷺ(١).

والعفو عن المسيء، والصفح عنه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإعراض عن الجاهلين، والصبر في مواطن الصبر، والشكر، والمسارعة في الخيرات، والحب لله، والخوف منه، والرجاء، والإنابة، والحلم، والوقار، والعقل، والعفة، والكرم، والإيثار على النفس، والنصيحة للناس، والرحمة بهم، والرأفة، وخفض الجناح، وبذل الاحسان لكافتهم، ودفع السيئة بالحسنة، والرضا بالقضاء، واللين للأولياء، والشدة على الأعداء، والصدق في الوعد، والوفاء بالعهد، والقبول من الناصحين، واليقين، والتوكل، والطمأنينة، والسكينة، والتواصل، والتعاطف، والعدل في الأقوال والأفعال والأخلاق، والقوة في أمر الله، والبصيرة في دينه، والقيام بأداء حقه، واستخراجه من المانعين له، والدعوة إليه، وإلى مرضاته وجنته، والتحذير عن سبل أهل الضلال، وتبيين طرق الغي وحال سالكيها، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والحض على طعام المسكين، وبر الوالدين، وصلة الارحام، وبذل السلام لكافة المؤمنين إلى سائر الأخلاق المحمودة، والأفعال المرضية؛ هي ثمرة شجرة العلم.

وأما شجرة الجهل فتثمر كل ثمرة قبيحة من الكفر، والفساد، والشرك، والظلم، والبغي، والعدوان، والجزع، والهلع، والكنود، والعجلة، والطيش، والحدة، والفحش، والبذاء، والشح، والبخل، ولهذا قيل في حد البخل: جهل مقرون بسوء الظن، ومن ثمرته (أي الجهل) الغش للخلق، والكبر عليهم، والفخر، والخيلاء، والعجب، والرياء، والسمعة، والنفاق، والكذب، وإخلاف الوعد، والغلظة على الناس، والانتقام، ومقابلة الحسنة بالسيئة، والأمر بالمنكر،

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٩٠).

والنهي عن المعروف، وترك القبول من الناصحين، وحب غير الله، ورجائه، والتوكل عليه، وإيثار رضاه على رضا الله، وتقديم أمره على أمر الله، والتماوت عند حق الله، والوثوق بما عند حق نفسه، والغضب لها، والانتصار لها؛ فإذا انتهكت حقوق نفسه؛ لم يقم لغضبه شيء؛ حتى ينتقم بأكثر من حقه، وإذا انتهكت محارم الله؛ لم ينبض له عرق غضبًا لله، فلا قوة في أمره، ولا بصيرة في دينه، ومن ثمرتها (أي شجرة الجهل) الدعوة الى سبيل الشيطان، وإلى سلوك طرق البغي، واتباع الهوى، وإيثار الشهوات على الطاعات، وقيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وعقوق الأمهات، وقطيعة الارحام، وإساءة الجوار، وركوب مركب الخزي والعار...

وبالجملة فالخير بمجموعه ثمر يجتنى من شجرة العلم، والشر بمجموعه شوك يجتنى من شجرة الجهل؛ فلو ظهرت صورة العلم للأبصار؛ لزاد حسنها على صورة الشمس والقمر، ولو ظهرت صورة الجهل؛ لكان منظرها أقبح منظر بل كل خير في العالم؛ فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل، ومسبب عنه، وكذلك كل خير يكون إلى قيام الساعة، وبعدها في القيامة، وكل شر وفساد حصل في العالم، ويحصل إلى قيام الساعة، وبعدها في القيامة؛ فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل[1]. وأعظم العلم الذي جاءت به الرسل: القرآن الذي جاء به خاتم النبيين؛ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنًا عليه.



(١) مفتاح دار السعادة: منشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية: (١/ ١١٥).

خلاصة الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

* المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن: عدم القدرة على الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من تشريعاتٍ وأحكام، تَتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع في جميع المجالات.

* اشتمل القرآن الكريم على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية، ولم يدع جانبًا من جوانب الحياة إلا كانت له نظرته الخاصة وتشريعه المستقل بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها.

* الجانب التشريعي والخلقي في القرآن الكريم آية علىٰ كون القرآن من عند الله، وليس من عند البشر.

* الأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمنها القرآن الكريم تخرج عن طوق البشر إحاطة ودقة وشمولًا.

* لم تنجب الإنسانية مفكرًا أو فيلسوفًا أو مصلحًا اجتماعيًا استطاع أن يضع نظامًا كاملًا للعلاقات الداخلية والخارجية كنظام القرآن.

* من أعظم وجوه الإعجاز التشريعي للقرآن أنه يقوم علىٰ جلب المصالح للعباد في دينهم ودنياهم، ودرء المفاسد عنهم، كما أن الشريعة لم تأت بالأحكام والقواعد إلا لحِفظ هٰذه المصالح المتمثلة في الضروريات الخمس.

* إعجاز الشريعة ليس في حفظ هٰذه الضروريات الخمس فحسب، بل الإعجاز أعظم في دقَّة ترتيبها، ودفْع التعارُض فيما بينها، فلا يجوز الإخلال بحكم إلا إذا كانت مراعاته تؤدي إلى الإخلال بحُكمٍ أكثر ضرورة.

* تشريع القرآن في المعاملات لا مثل له في قوانين البشر، ولا يتحقق العدل في المعاملات إلا بما شرعه القرآن فيها؛ فكل ما خالفه ظلم وضلال عن الهدىٰ.

* ما تكلم به الأولون والآخرون في الأخلاق بعض ما جاء به القرآن. ولهٰذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلىٰ نبي آخر وكتاب آخر.

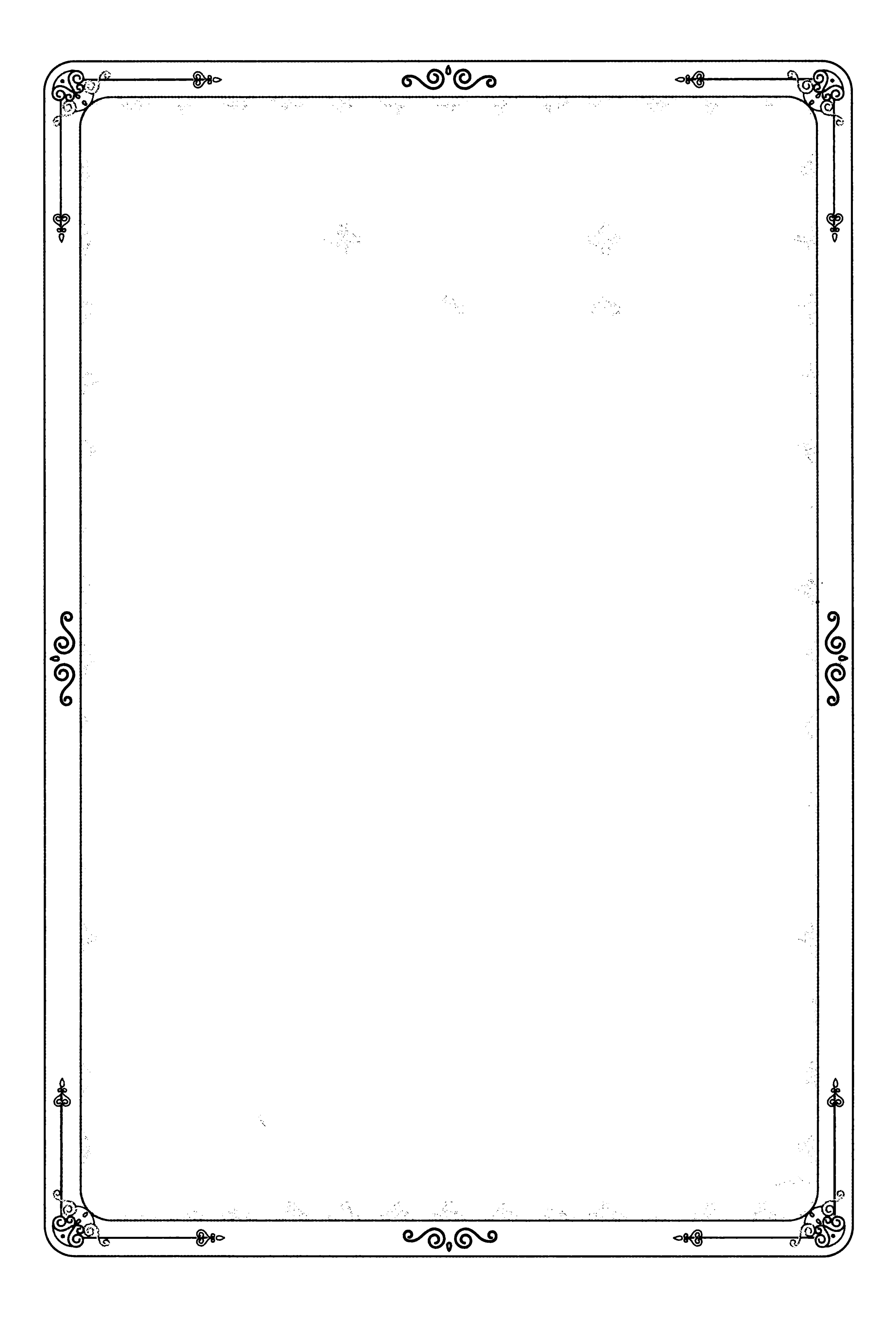
* كل شر وفساد حصل في العالم سببه مخالفة القرآن.

أسئلة الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

١- ما المقصود بالإعجاز التشريعي؟

٢- مثِّل بأربعة أمثلة متنوعة المجالات للإعجاز التشريعي للقرآن الكريم.





الفصل الرابع
الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

ويشمل خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز العلمي، وبيان عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي:

أولاً- المقصود بالإعجاز العلمي.

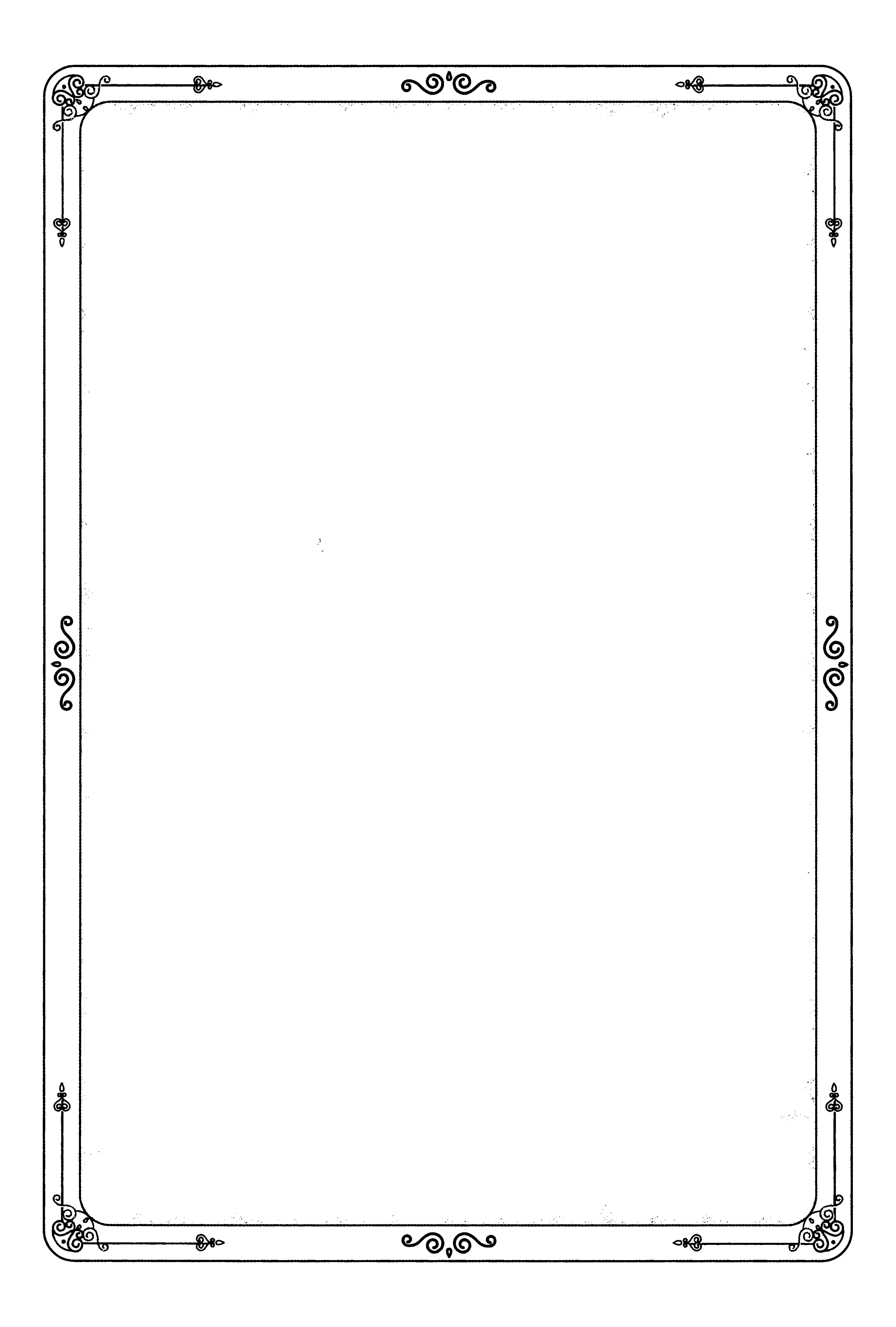
ثانيًا- عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي.

المبحث الثاني: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، ومذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها.

المبحث الثالث: ضوابط الإعجاز العلمي.

المبحث الرابع: تسليم بعض الكفار بإعجاز القرآن.

المبحث الخامس: أمثلة تطبيقية للإعجاز العلمي.



المبحث الأول

المقصود بالإعجاز العلمي، وبيان عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي

أولاً- المقصود بالإعجاز العلمي:

العلم في **اللغة**؛ تدل حروفه (العين واللام والميم) -كما جاء في مقاييس اللغة، ولسان العرب- على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة[١]، ويسمى كل صنف من المخلوقات عالمًا بفتح اللام؛ لأنه عَلَم وبرهان على الخالق تعالى، بخلاف العالِم بالكسر؛ فإنه الذي يعلم[٢].

والعلم نقيض الجهل، وهو عدم المعرفة؛ فالعلم هو المعرفة بالمعنى العام للعلم والمعرفة، والفرق بينهما له وجوه؛ منها: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله؛ فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق[٣].

ومما قيل في تعريفه **اصطلاحًا**:

* العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه[٤].

* العلم: ما قام عليه الدليل[٥].

وبعد أن ذكرنا تعريف العلم نقف على المقصود بالإعجاز العلمي عند بعض المعاصرين؛

---

(١) مقاييس اللغة: (٤/ ١٠٩-١١٠)، لسان العرب: (٩/ ٣٧١).

(٢) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٧٤١).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٣/ ٣١٤)، واقتصر على الوجه المذكور في بدائع الفوائد (٢/ ٦١).

(٤) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٥٨٠) (علم).

(٥) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧/ ٣٢٩).

فقد عرّفه الدكتور زغلول النجار بأنه: «سبق هٰذا الكتاب العزيز بالإشارة إلىٰ عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلىٰ فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم»(١)، وعرَّفه غيره فقال: «إخبار القرآن الكريم أو السنّة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ»(٢).

ولعله يمكن القول بأن المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن هو: عدم القدرة على الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من الإخبار بحقائق علمية طبيعية(٣) غير معروفة قبله.

ثانيًا- عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي(٤).

العلوم التجريبية أو الطبيعية يقصد بها: العلوم التي تهتم بدراسة النواحي الفيزيائية الطبيعية المادية لجميع الظواهر الموجودة على الأرض والكون المحيط بنا.

---

(١) مقالة مفهوم الإعجاز العلمي وضوابط البحث فيه، ملتقىٰ أهل التفسير:
http: //www. tafsir. net/vb/tafsir25379.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه: (ص: ٢٢).

(٣) هٰذا المقصود بالعلم في قولهم: «الإعجاز العلمي»، وإطلاقه خطأ شائع؛ لأن «التسمية منطلقة من تقسيم العلوم إلىٰ أدبية وعلمية، كما هو الحال في المدارس الثانوية سابقًا، وفي الجامعات حتى اليوم، وفي ذٰلك رفع من شأن العلوم التجريبية علىٰ غيرها من العلوم النظرية التي تدخل فيها علوم الشريعة.
وإذا كان هٰذا يسمَّىٰ بالإعجاز العلمي، فماذا يسمَّى الإعجاز اللغوي، أليس إعجازًا علميًا، أليست اللغة علمًا، وقل مثل ذٰلك في وجوه الإعجاز المحكية.
لا شكَّ أنها علوم، لكنها غير العلم الذي يريده الدنيويون الغربيون الذين أثَّروا في حياة الناس اليوم، وصارت السيادة لهم.
ومما يؤسف عليه أن يتبعهم فضلاء من المسلمين في هٰذا المصطلح دون التنبه لما تحته من الخطر والخطأ». الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار (ص: ٢١). لكننا مضطرون إلى استعمال هٰذا المصطلح؛ محمولاً علىٰ أن المقصود بالعلم فيه: العلم الطبيعي؛ لأنه لا يوجد لمسماه -فيما نعلم- مصطلح دقيق يميزه عن وجوه الإعجاز الأخرىٰ.

(٤) ينظر للاستزادة في هٰذا الموضوع بحث: العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، لسامي عامري، وقد قرر فيه -كما في نتائج البحث ص ٦٢٩- أن «الباب الأوّل للإعجاز العلمي في القرآن: خلوّ القرآن من الأخطاء العلمية رغم كثرة الآيات التي تتحدّث في الظواهر الكونية في السماء والأرض»، وهو ما أثبته البحث بالأدلة، كما أثبت وجود أخطاء علمية كثيرة في التوراة والإنجيل الموجودة عند اليهود والنصارىٰ حاليًا.

وتشكل العلوم الطبيعية أساسًا للعلوم التطبيقية؛ لذلك كثيرًا ما تصنفان معًا في مقابل العلوم الاجتماعية والإنسانيات، وعلوم الغيبيات والفنون وما إلى ذلك.

والفارق بين الوحي والعلوم التجريبية من حيث اليقينية واضح وبيِّن، فمصدر الوحي هو الله خالق هذا الكون بكل ما فيه من الظواهر الطبيعية التي هي موضع دراسة العلوم التجريبية التي يجريها العلماء، فعلم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود يقبل الازدياد ومعرض للخطأ.

فلا يمكن أن يتناقض الدين الصحيح مع العلم الصحيح، بل يجب أن تكون مكونات الدين متسقة مع الحقائق العلمية اليقينية ومنسجمة مع مقتضياتها، يقول ابن عثيمين: «لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن مع الواقع أبدًا، وإذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون القرآن غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعي أبدًا»(١).

فالحق النازل من الله لا يمكن أن يكون معارضًا لما جعله الله حقيقة كونية ثابتة، فيمتنع اختلاف الكتاب المنزل والوجود الحقيقي، ويمتنع اختلاف نص ثابت عن الرسول وحقيقة وجودية، قال في ذلك ابن تيمية: «ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس، وكذلك ما علم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول»(٢).

هذا الحكم بامتناع التعارض بين الدين والعلم يقوم على العديد من الأسس العلمية، من أهمها:

أن كلًا من الدين الصحيح والحقائق الكونية داخل ضمن دائرة الحق الذي لا يمكن أن يقع فيه التناقض، وكلاهما من عند الله وفعله، وكلاهما موصوف بالحق؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وخلق الله الكون بالحق، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، فلو أمكن التناقض بين الحق المنزل والحق الكوني؛ لأمكن اجتماع النقيضين، وهو أمر محال في العقل.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين: (٢/ ٦٨).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤/ ٣٩٥).

أن الله تعالىٰ أمرنا بالنظر في الكون والتأمل فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

فلو كان الوحي المنزل يتناقض مع الحقائق الكونية فكيف يأمر الله بتأملها؟! أليست تلك دعوة مباشرة لكشف ما في الدين من خلل لو كان مناقضًا للواقع!

مما سبق يتضح خطأ افتراض التعارض بين الوحي والعلم الطبيعي -إن ثبت أن هٰذا العلم واقع قطعي وليس ظنيا-، ولو وجد تعارض بينهما فمن المؤكد أنه سيكون ظاهريا فقط؛ فإما أن يكون ما نسب إلى العلم غير صحيح؛ بأن لا تكون المعلومات التجريبية وصلت مرحلة الحقيقة العلمية المستقرة المتفق عليها(١)، فلا يجوز أن نجادل القرآن بنظريات تفسيرية لبعض ظواهر الكون، أو أن تكون القضية العلمية عبارة عن تجارب لم تصل إلىٰ حد الحقيقة الثابتة القطعية، مثل نظرية أن أصل الإنسان قرد ثم مر بمراحل حتىٰ وصل إلىٰ هٰذا المستوىٰ(٢)، التي تتعارض مع كون ابتداء خلق الناس كان من آدم الذي خلقه الله تعالىٰ مرة واحدة من غير تدرج.

وإما أن يكون ما نسب إلى الدين غير صحيح(٣)، أو أن يكون الحكم بالتعارض غير مسلم أصلاً؛ بأن لا يكون التناقض من كل وجه(٤). بل يمكن الجمع والتوفيق بينهما...

إن المنصفين من أهل الملل الأخرىٰ شهدوا بأن القرآن لا يتعارض مع العلم أبدًا. يقول إبراهيم خليل (وكان من علماء النصارىٰ ثم أسلم): «القرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه؛ من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ... ففي أيامنا هٰذه استطاع العلم أن يرىٰ ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...»(٥)، وقال:

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي: (٢/ ٤٧٠)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٣، والمدخل إلىٰ علم التفسير، د. بلتاجي: (ص:٢٦-٢٠٨).

(٢) انظر: مدخل إلىٰ علم التفسير: (ص: ٢٠٣)، حيث نقلها عن ميلر بروز (رئيس قسم لغات الشرق الأدنىٰ).

(٣) مقال: دعوى التعارضِ بينَ الدينِ الحقِّ والعلمِ الماديِّ التجريبيِّ، لشيماء مجدي- منشور في الإنترنت في موقع المحاورون.

(٤) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، للدكتور شريف: (ص: ٦٢٨).

(٥) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٤٧، ٤٨).

«أعتقد يقينًا أني لو كنت إنسانًا وجوديًا، لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس، وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه؛ لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض، ولن أشرك به أحدًا»(١).

وقال بوتر: «عندما أكملت قراءة القرآن الكريم، غمرني شعور بأن هذا هو الحق، الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالًا للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة»(٢).

وقال بوتر أيضًا: «كيف استطاع محمد ﷺ، الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية، أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله ﷻ»(٣).

وقال حتى: «إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه، هو إعجاز القرآن... فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى»(٤)(٥).



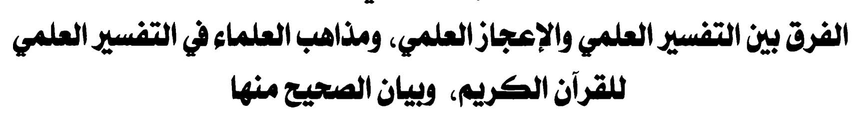
(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن: (ص: ٤٨).

(٢) قالوا عن الإسلام: (ص٥٥).

(٣) قالوا عن الإسلام: (ص٥٥).

(٤) قالوا عن الإسلام: (ص:٥٨).

(٥) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم لعبد المحسن المطيري: (ص: ٣٧١-٣٧٤)، دعوى التعارضِ بينَ الدينِ الحقِّ والعلمِ الماديِّ التجريبيِّ مقال على المحاورون:
https: //almohaweron. com/11564-2/



المبحث الثاني
الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، ومذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي[1]:

عرَّف الأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي التفسير العلمي للقرآن بعد أن استعرض التعريفات السابقة له فقال: التفسير العلمي التجريبي [فزاد في اسمه هٰذا القيد: التجريبي] للقرآن هو: استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية، وتوسيع مدلولاتها[2]. ويظهر أن هٰذا تعريف لطريقة التفسير العلمي التجريبي للقرآن، أما تعريف التفسير العلمي التجريبي للقرآن بناء علىٰ ما قاله فهو: زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية، وتوسيع مدلولاتها؛ باستخدام العلم التجريبي.

ويمكن أن يُعَرَّف التفسير العلمي (الطبيعي أو الكوني) للقرآن بأنه بيان معاني القرآن المتعلقة بالطبيعة باستخدام العلوم الطبيعية والتجريبية؛ سواء أكانت تلك العلوم الطبيعية حقائق ثابتة أم نظريات أم فرضيات، وسواء أكانت معلومة أو يمكن إدراكها في زمن رسول الله ﷺ أم كانت معلومات لا يمكن إدراكها في زمنه أو عُرفت بعده.

ولا يلزم «قصر أثر العلم التجريبي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات»، بحجة «أن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والسلف الصالح، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة»[3]؛ لأنه لا يلزم من تعريف التفسير العلمي (الطبيعي أو الكوني) للقرآن بأنه بيان معاني القرآن المتعلقة بالطبيعة باستخدام العلوم الطبيعية والتجريبية أن معاني الآيات القرآنية لم تكن واضحة للصحابة والسلف الصالح.

---

(١) ينظر للاستزادة في هٰذه المسألة: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، زاهر بن محمد بن سعيد الشهري: (ص: ٧٢-٨٥)، وقد ذكر أن هناك من لا يرى الفرق بينهما.

(٢) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه، لعادل بن علي الشدي: (ص١٥).

(٣) المصدر السابق نفسه.

أما الإعجاز العلمي للقرآن: فهو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، فيظهر العلم الحديث اشتمال القرآن على حقيقة كونية يؤول إليها معنى آية من آياته المتعلقة بالكون، ويشاهد الناس مصداقيتها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

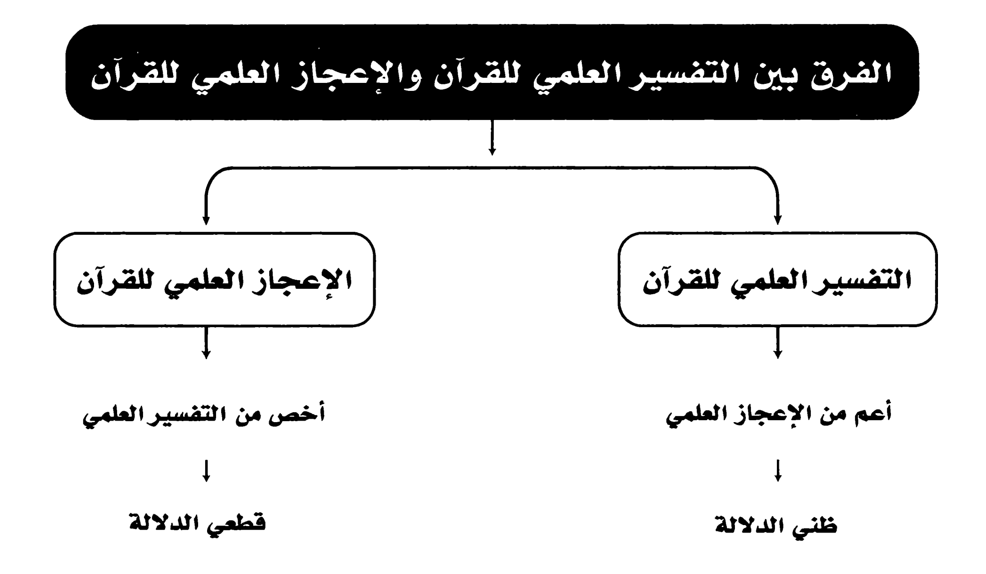
فالتفسير العلمي للقرآن أعم من بيان الإعجاز العلمي للقرآن، والإعجاز العلمي للقرآن قطعي الدلالة، بينما التفسير العلمي ظني الدلالة.

يقول الأستاذ زغلول النجار في بيان الفرق بينهما: «إن التفسير العلمي للقرآن الكريم يقصد به أن يوظف أهل كل جيل كل المعارف المتاحة لهم في حسن فهم دلالة القرآن الكريم) ويزيد كلامه وضوحًا فيقول (في مجال التفسير العلمي لا يتردد الإنسان أن يوظف كل المعارف المتاحة، الثابت منها وغير الثابت، لأن التفسير يبقى جهدًا إنسانيًا يصيب الإنسان فيه ويخطئ، وخطأ الإنسان في التفسير لا ينسحب على جلال القرآن الكريم، بل ينسحب على المفسر، لذلك لا بدلنا من توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآيات القرآنية- طبعا بعد التأهل للقيام بهذه المسؤولية الخطيرة- وهى التعرض لكلام الله، وهذا التأهل يقتضي فهمًا للغة العربية وقواعدها وأسرارها، وفهمًا لأسباب النزول، وفهمًا للناسخ والمنسوخ، وفهمًا للمأثور من تفسير رسول الله ﷺ لذلك لابد أن ينفر من كل جيل نفر من الناس يتأهلون لهذه العدة، ويعرضون فهمًا جديدًا للآيات القرآنية، خاصة في مجال القضايا العلمية، والقضايا الكونية، بحيث لا يعتمد على التفسيرات القديمة فقط، ولذلك أقول: إن التفسير العلمي للقرآن الكريم لا نخاف أن نوظف فيه كل المعارف المتاحة من نظريات -فروض- حقائق علمية قطعية- القوانين، فكل هذا يوظف.

أما بالنسبة للإعجاز العلمي، فلا يجوز لنا أن نوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة، لأن الإعجاز نريد به أن نثبت للناس مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبي أمي في أمة أمية قبل ١٤٠٠ سنة يحتوي من حقائق هذا الكون على ما لم يستطع الإنسان أن يتوصل إلى معرفته إلا بعد جهود مضنية وقبل عشرات السنين فقط»[١].

---

(١) مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة ١٩٩٧: (ص: ٤٨)، وينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لمحمد السيد جبريل (ص: ٦١).



مذاهب الناس في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها:

ذهب بعض المفسرين إلىٰ منع التفسير العلمي للقرآن الكريم أو تفسير الإشارات الكونية في القرآن الكريم في ضوء العلوم الطبيعية أو التوفيق بين الكشوفات الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، وذهب آخرون إلىٰ جواز ذٰلك، وتأييده:

أولاً: المانعون:

يرىٰ أصحاب هٰذا الموقف(١) أن هٰذا اللون من التفسير هو نوع من التفسير بالرأي الذي لا يجوز، وأنه خروج بالقرآن عن الهدف الذي من أجله أنزل، وإقحام له في مجال متروك للعقل البشري يجرب فيه ويصيب ويخطئ، واعتبر هٰذا الفريق أن المنهج العلمي في التفسير جنوحٌ إلى الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم علىٰ غير مقاصدها التشريعية والإيمانية، استنادًا إلى القول بأن القرآن لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا أسماء الكائنات وصفاتها، وإنما هو في الأصل كتاب هداية.

ويمكن تلخيص أدلة المانعين للتفسير العلمي على النحو التالي:

---

(١) تفصيل ذٰلك في: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي: (ص:٢/ ٦٤-٦٤٠). وانظر: الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، تقديم محمود شاكر، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة ط٢، ١٩٦١.

١- التفسير العلمي تكلف، لأن المراد من خطاب القرآن معلوم لدى السابقين، وما زاد علىٰ ذٰلك؛ فهو تكلف منهي عنه.

٢- أنه يجعل القرآن كتاب تفصيل لدقائق العلوم، وغرضُ القرآن أسمىٰ من ذٰلك؛ فهو كتاب هداية وإرشاد.

٣- أنه مدعاة للزلل لدىٰ أكثر من خاضوا فيه بتحميل النصوص ما لا تحتمل لموافقة الكشوفات العلمية الحادثة.

٤- أنه بدعة جديدة لم تؤثر عن الصحابة والسلف وأهل التفسير في القرون المفضلة.

٥- أنه يعرض القرآن للتكذيب حين تنقض النظريات والفرضيات العلمية التي يربطها أهل التفسير العلمي بالآيات القرآنية.

٦- أنه يتجاوز بالألفاظ القرآنية حدود الاستعمال في معهود العرب وقت نزول الآيات إلىٰ معان لم تكن معروفة لهم ذٰلك الوقت.

٧- أنه يتنافىٰ مع كون القرآن خطابًا للناس كافة العوام والعلماء، فالعامي لا يفقه القضايا العلمية التي يتعرض لها أهل التفسير العلمي.

٨- أن مفاسده أكبر من مصالحه، ودرء المفسدة مقدَّم علىٰ جلب المصلحة[1].

ومن أبرز من نسب إليهم المنع من التفسير العلمي (الطبيعي) للقرآن: الشاطبي (ت٧٩٠هـ) كما في كتابه الموافقات، ومحمود شلتوت -شيخ الأزهر- (ت١٩٦٤م) كما في مقدمة تفسيره، ومحمد حسين الذهبي كما في كتابه «التفسير والمفسرون»، ومحمد عزة دروز كما في تفسيره، وصبحي الصالح كما في كتابه «معالم الشريعة الإسلامية».

ثانيًا: فريق المجيزين[2]:

وقد تفاوت المؤيدون للتفسير العلمي في درجة التأييد؛ فمنهم من يدعو إلىٰ وضع جملة من الضوابط والشروط لتأييده وقبوله، ومنهم من يؤيد التفسير العلمي ويستخدمه دون قيود،

---

(١) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه، لعادل بن علي الشدي: (ص٤٤- ٤٥).

(٢) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦: (٢/ ٢٥٣-٢٦٣).

كما أن المؤيدين مختلفون في تخصصهم العلمي، فمنهم العالم الشرعي المتخصص، ومنهم الطبيب والفلكي والمهندس والأديب والواعظ، وكل هؤلاء يشتركون في دعوتهم إلى التفسير العلمي وتأييدهم له.

واستدل المؤيدون للتفسير العلمي للقرآن بشمول تبيان القرآن لكل شيء، ودعوته إلىٰ التدبر والنظر في الكون، وأن الأصل جواز التفسير بالرأي، والعلم الطبيعي والتجريبي قد يكون ضروريًا للفهم الدقيق لمعاني بعض الآيات[١].

ويرىٰ هٰذا الفريق: أن التوفيق بين الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم... يعتبر فتحًا جديدًا للفكر الإسلامي، وإثراء للمعرفة، وإعجازًا متجددًا لرسالة القرآن الخالدة وسطوعًا لبيناته، وبابًا من أبواب الدعوة إلى الله، ومدخلًا لهداية الناس وتقوية لإيمانهم.

ويرون أن وجود تكلّف عند عدد من الباحثين المسلمين في تقرير الإعجاز العلمي في القرآن لا ينفي وجود أمثلة واضحة أو ظاهرة لهٰذا الإعجاز[٢]، وأن المنع والتضييق لمجال البحث في وجوه الإعجاز الشائعة اليوم، يؤدي إلى التفريط في كثير من الآيات، وعدم إعطائها حقها من التدبر والدراسة، كما يؤدي إلىٰ منع الدعاة من حمل سلاح، هو من أمضى الأسلحة في العصر الراهن، هٰذا السلاح الذي يترتب عليه كثير من الثمار والآثار مثل ترقية الإيمان المعرفي والعملي عند الناس، لطبيعة الحياة العلمية التي يعيشونها اليوم، وإقامة الحجة على المعاندين الذين اغتروا بما لديهم من العلم، وإثبات ربانية القرآن الكريم وصدق نبوة سيد المرسلين.

ومن أبرز المؤيدين للتفسير العلمي (الطبيعي) للقرآن: أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه «معجزة القرآن»، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره «مفاتيح الغيب»، ومحمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢هـ) في كتابه «ما دل عليه القرآن من الهيئة الجديدة القويمة البرهان»، ومحمد بخيت المطيعي (ت ١٣٥٣هـ) في كتابه «تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من

---

(١) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه، لعادل بن علي الشدي: (ص:٦٧).
(٢) العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، لسامي عامري: (ص:٧٢، ٦٢٩).

العلوم الكونية»، ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في «تفسير المنار»[(١)]، وطنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) في تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»[(٢)]، ومحمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ) في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»[(٣)]، والطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره «التحرير والتنوير»[(٤)].

المذهب الصحيح في التفسير العلمي للقرآن:

التفسير العلمي للقرآن من أنواع التفسير بالرأي؛ فمنه ما يكون محمودًا جائزًا حين يصدر عن علم أو غلبة ظن، ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، وابتُعِد فيه عن التكلف، والتُزِمت فيه الشروط والضوابط التي تسد الباب أمام الأدعياء والمتسرعين، ويكون صاحبه عالمًا باللغة العربية وأصول الشريعة الإسلامية عاملًا بضوابط قبول التفسير العلمي.

ومن التفسير العلمي ما يكون مذمومًا محرمًا حين يصدر عن جهل أو هوىٰ، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي[(٥)].

---

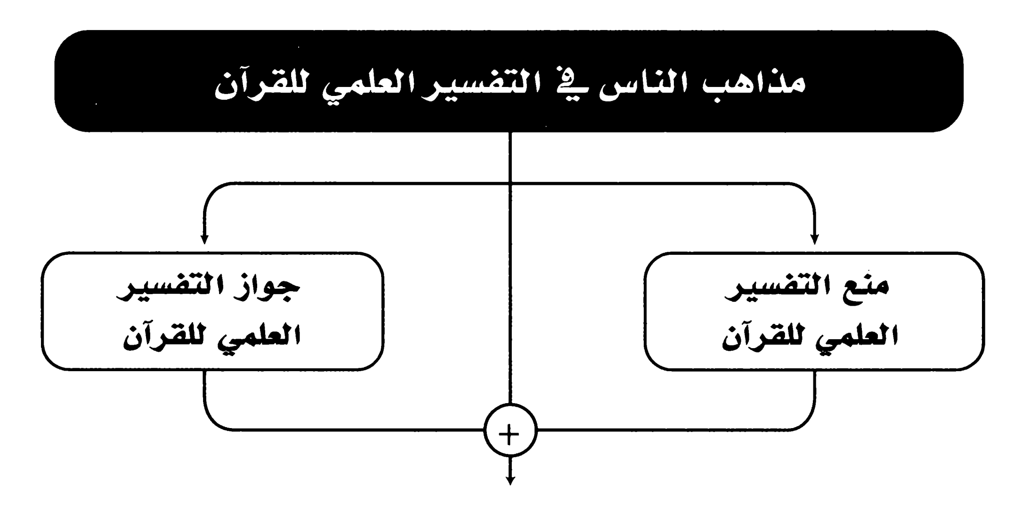
(١) كما في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] (٧/ ٦٣٧)، وتفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] (٨/ ٤٨١)، وتفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] (١٢/ ١٩).

(٢) تحدث في مقدمة تفسيره عن البواعث التي دفعته لتأليفه فقال: «أما بعد فإني خلقت مغرمًا بالعجائب الكونية، معجبًا بالبدائع الطبيعية، مشوقًا إلىٰ ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات، وغرائب باهرات، ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية ألفيت أكثر العقلاء وبعض جلة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج بها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودعت من الغرائب؛ فأخذت أؤلف لذلك كتابي».

(٣) كما في كلامه علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣] (١/ ١٨)، وكلامه علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤] (١/ ١٩).

(٤) كما في حديثه عن إعجاز القرآن في المقدمة العاشرة من مقدماته العشر التي جعلها فاتحة بين يدي تفسيره، وكما في تفسيره لآية النور (١٨/ ٢٣٧)، وتفسيره لآيات خلق الإنسان في سورة الطارق (٣٠/ ٢٦٣).

(٥) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه، لعادل بن علي الشدي: (ص٧٢).



من التفسير العلمي ما يكون محمودًا جائزًا ومنه ما يكون مذمومًا محرمًا

وضوابط جواز التفسير العلمي للقرآن: هي ضوابط التفسير العامة، والشروط والآداب التي يجب توفرها فيمن يفسر القرآن، ويضاف إليها ضوابط خاصة؛ بعضها مستنبط من اعتراضات المانعين لهذا التفسير، وهذه الضوابط الخاصة لجواز التفسير العلمي (الطبيعي) للقرآن؛ هي:

١- توفر قدر كاف من المعرفة بالعلم التجريبي أو الكوني الذي يفسر القرآن على أساسه فيمن يتصدى للتفسير العلمي.

٢- عدم مخالفة الأصول أو الخروج عن أقوال السلف كلها.

٣- أن يكون العلم المفسَّر به معتبرًا عند علماء الطبيعة؛ ليس قائمًا على الظن أو التوهم.

٤- أن تحتمله الآية وسياقها؛ فلا يحمل اللفظ القرآني ما لا يحتمله في اللغة العربية ليوافق التفسير العلمي المراد.

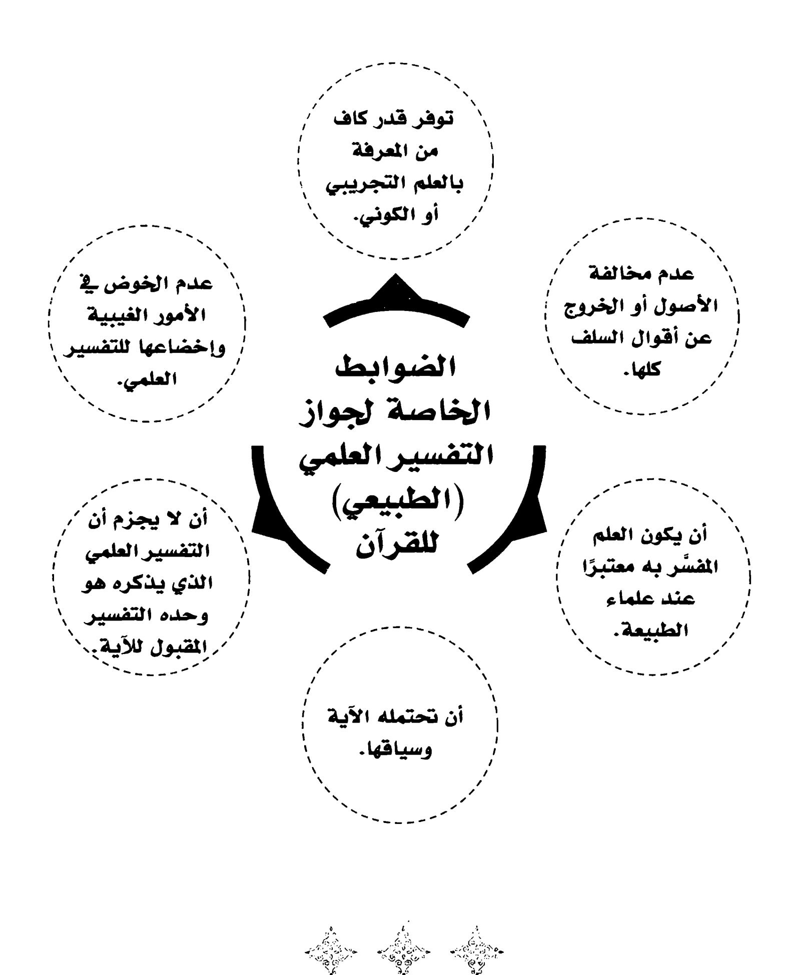
٥- أن تكون العلاقة بينه وبين الآية وسياقها واضحة؛ لا يحتاج بيانها إلى تكلف أو تعسف.

٦- ألَّا يجزم أن التفسير العلمي الذي يذكره هو وحده التفسير المقبول للآية.

٧- عدم الخوض في الأمور الغيبية وإخضاعها للتفسير العلمي[1].

---

(١) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه، لعادل بن علي الشدي: (ص٧٢- ٧٩).


الضوابط الخاصة لجواز التفسير العلمي (الطبيعي) للقرآن
توفر قدر كاف من المعرفة بالعلم التجريبي أو الكوني.
عدم مخالفة الأصول أو الخروج عن أقوال السلف كلها.
أن يكون العلم المفسَّر به معتبرًا عند علماء الطبيعة.
أن تحتمله الآية وسياقها.
أن لا يجزم أن التفسير العلمي الذي يذكره هو وحده التفسير المقبول للآية.
عدم الخوض في الأمور الغيبية وإخضاعها للتفسير العلمي.

المبحث الثالث
ضوابط الإعجاز العلمي

هناك ضوابط عامة لكل من يفسر كلام الله، وهناك ضوابط خاصة في الإعجاز العلمي؛ فمن الضوابط العامة: صحّة الاعتقاد، والتجرُّد عن هوى النفس، والبَدء بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة، والاعتماد على تفسير الصحابة، والاستعانة بتفسير التابعين، والعلم باللغة العربية، وأصول التفسير.

وأما ضوابط الإعجاز العلمي فدعوى الإعجاز العلمي لا تثبت إلا بعد أمرين:

أولاً: ثبوت اكتشاف هذه الحقيقة من قبل العلماء المتخصصين في مجالها وإثباتها بشكل مستقر.

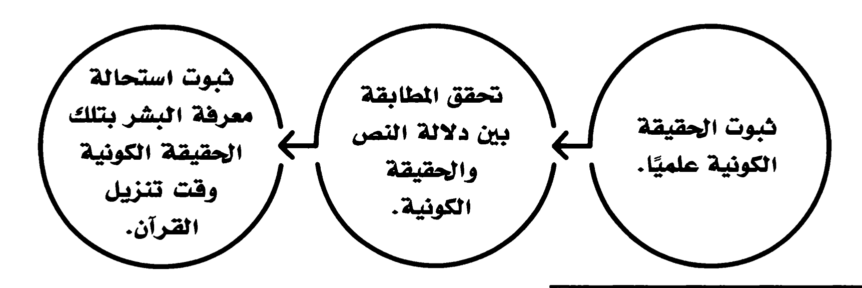
ثانيًا: الدلالة الواضحة على تلك الحقيقة في نص من نصوص القرآن الكريم، دون تكلف أو اعتساف في الاستدلال، علمًا بأن الرابط الذي يعطي هذا المناط قيمته هو عدم إمكانية إحاطة البشر بتلك الحقيقة وقت التنزيل؛ ولذلك فإن خطوات إثبات شاهد من شواهد الإعجاز العلمي في القرآن ثلاث، وهي:

١- ثبوت تلك الحقيقة الكونية علميًا بعد توفر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.

٢- تحقق المطابقة بين دلالة النص من كتاب الله ﷻ وبين تلك الحقيقة الكونية.

٣- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت تنزيل القرآن على نبينا محمد ﷺ[1].

خطوات إثبات شواهد الإعجاز العلمي في القرآن:



(١) ضوابط البحث العلمي في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بقلم الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي: الدكتور عبد الله المصلح- منشور في الإنترنت.

المبحث الرابع
تسليم بعض الكفار بإعجاز القرآن

القرآن الكريم بهر الكفار قديمًا من جهة لغته، ومعانيه، وبلاغته، وبيانه، وما فيه من تشريعات سنها الله لعباده، وبهرهم حديثًا بما فيه من حقائق علمية، ويجدون له وقعًا في القلوب، وقرعًا في النفوس، وهٰكذا الشأن في كل عصر؛ يذعن له المنصفون منهم، وينقادون له، فقد أكد البرفسور كيث إل مور أن الناصية هي المسئولة عن المقايسات العليا وتوجيه سلوك الإنسان، وما الجوارح إلا جنود تنفذ هٰذه القرارات التي تتخذ في الناصية، حين عُرِض عليه تفسير قوله تعالىٰ: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦] مستدلًا بهٰذه الآية علىٰ هٰذه القضية العلمية، ومبينًا: أن المعلومات التي نعرفها عن وظيفة المخ لم تُذْكر طوال التاريخ، ولا نجد في كتب الطب عنها شيئًا، فلو جئنا بكتب الطب كلها في عهد النبي ﷺ، وبعده بقرون لن نجد ذكرًا لوظيفة الفص الجبهي الأمامي الناصية، ولن نجد له بيانًا، ولم يأت الحديث عنه إلا في هٰذا الكتاب (القرآن الكريم)، مما يدل علىٰ أن هٰذا من علم الله جل وعلا الذي أحاط بكل شيء علمًا، ويشهد بأن محمدًا رسول الله.

وقيل لرجل أمريكي من علماء الطب اسمه البروفسور مرشال جونسون: قد ذكر في القرآن أن الإنسان خلق أطوارًا، طورًا فطورًا؛ فلما سمع هٰذا الكلام كان قاعدًا فوقف مندهشًا! فقيل له: كان ذٰلك في القرن السابع الميلادي، فالقرآن يذكر لنا أن الإنسان كان أطوارًا، فقال البروفسور: هٰذا غير ممكن، وتعجب لهٰذا الأمر، فقيل له: لماذا تحكم عليه بهٰذا؟ هٰذا القرآن يقول: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤]؛ فقعد البروفسور مرشال جونسون على الكرسي، وهو يقول بعد أن تأمل الأمر: ليس هناك إلا ثلاثة احتمالات: الأول: أن يكون عند محمد ﷺ ميكروسكوبات ضخمة جدًا يعرف بها ذٰلك، وهٰذا مستحيل جدًا.

والاحتمال الثاني: أن يكون هٰذا الشيء من قبيل الصدفة.

والاحتمال الثالث: أن يكون رسولًا من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

فقيل له: أما قولك: عنده ميكروسكوبات ضخمة، فأين هٰذا وأنتم لم تصنعوها إلا في القرن السابع عشر؟ قال: هٰذا صحيح.

أما الأمر الثاني: وهو قولك إن هٰذا صدفة، فهل احتمالات الصدفة الواردة عندكم في الإحصاء تعطي هٰذا الأمر، ومن الممكن أن يكون؟ وإذا جاء مرة في القرآن فهل تتكرر الصدفة مرة أخرىٰ؟ فقال الرجل: هٰذا صحيح، صعب أن نقول: صدفة، فقيل له: ما رأيك؟ هل هٰذا الذي قاله النبي ﷺ بوحي من السماء؟ فقال الرجل بعدما سكت: لا تفسير إلا بوحي من فوق، أي: نزل عليه من السماء صلوات الله وسلامه عليه[1].

قال البرفسور ألفريد كرونير -أحد جيولوجيي العالم، وهو أستاذ علم طبقات الأرض، ورئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد جوسيينسيس، جامعة يوهانز جوتينبيرج، مينز، ألمانيا- في أحد المؤتمرات العلمية: «شخص لم يكن يعرف شيئًا عن الفيزياء النووية منذ ١٤٠٠ سنة؛ لا أظن أنه سيكون قادرًا علىٰ أن يعرف من تلقاء نفسه أن الأرض والسموات كان لهما نفس المصدر[2] أو غيرها من الأسئلة العديدة التي ناقشناها هنا»![3]



---

(١) تنظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد- مكتبة دار ابن حجر بدمشق، ٢٠٠٣م: (ص: ٩٥- ٩٦).

(٢) يظهر أنه يشير إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. كما في أحد المعاني التي يحتملها عند السلف، وهو أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الأرض عن السماء، فجعل الأرض في الأسفل، والسماء في العلو. تنظر: موسوعة التفسير المأثور(١٤/ ٥١٤-٥١٧).

(٣) شهادة مصورة في موقع YouTube:

https: //www.youtube.com/watch?v = kdrphWOTVb4



المبحث الخامس
أمثلة تطبيقية للإعجاز العلمي

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، هٰذه الآية فيها من التهديد والوعيد بعذاب أليم للكافرين يوم القيامة، وجاء هٰذا العذاب في صورة تعذيب للجلود، فلماذا اختار الله سبحانه التعبير بعذاب الجلود دون غيره من ألوان العذاب، إن في ذٰلك لحكمة حيث استطاع العلم التوصل إلىٰ وجود أوعية ناقلة للإحساس، وهي تحت الجلد مباشرة، وتتنوع خمسة عشر نوعًا؛ كل نوع له وظيفته وطبيعته، لهٰذا فإن الألم الذي يحصل لجسم الإنسان يذوقه كل الجسم.

ب- قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، بفضل الطيران والبالونات استطاع الإنسان التعرف علىٰ ظاهرة طبيعية وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا حيث إن الصاعد يشعر بصعوبة وضيق في التنفس والآية القرآنية صرحت بهٰذه الظاهرة منذ زمن بعيد، وهٰذا يدعونا إلى الإيمان الراسخ بأن ما جاء به محمدٌ إن هو إلا وحي يوحىٰ علمه شديد القوىٰ[1].

ج- قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ويعتقد علماء الفلك حاليًا أنّ النيازك والشهب ما هي إلا مقذوفاتٌ فلكيةٌ مختلفة الأحجام، وتتألّف في معظمها من معدن الحديد، ولذٰلك كان معدن الحديد من أوّل المعادن التي عرفها الإنسان علىٰ وجه الأرض، لأنه يتساقط بصورةٍ نقيّةٍ من السماء علىٰ شكل نيازك، يتساقط في كلّ عامٍ آلاف النيازك والشّهب علىٰ كوكب الأرض، التي قد يزن بعضها أحيانًا عشرات الأطنان، وقد عثر علىٰ نيزكٍ في أمريكا بلغ وزنه اثنين وستين طنًا، مكوّنًا من سبائك الحديد والنيكل، أما في ولاية (أريزونا) فقد أحدث نيزكٌ فوهةً ضخمةً عمقها مئتا مترٍ،

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي: (ص: ٥٤)، انظر: بالتفصيل أمثلة متنوعة - الإعجاز العلمي - د. عبد السلام اللوح: (ص: ١٦٦ - ٢٣٤).

وقطرها ألف مترٍ، وقد بلغت كميات الحديد المستخرجة من شظاياه الممزوجة بالنيكل عشرات الأطنان.

ومن هذا الشرح العلميّ تتبيّن لنا دقّة الوصف القرآني ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾(١).

أما البأس الشديد والمنافع التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فقد وجد علماء الكيمياء أنّ معدن الحديد هو أكثر المعادن ثباتًا، وقوةً، ومرونةً، وتحمّلًا للضغط، وهو أيضًا أكثر المعادن كثافةً، وهذا يفيد الأرض في حفظ توازنها، كما يعدّ معدن الحديد الذي يكوّن ثلث مكوّنات الأرض أكثر العناصر مغناطيسيةً، وذلك لحفظ جاذبيتها.

ولا بدّ أن نذكر أيضًا أنّ الحديد عنصرٌ أساسيٌّ في كثيرٍ من الكائنات الحيّة، كما في بناء النباتات التي تمتصّ مركّباته من التربة، وتدخل أملاحه في تركيب خلايا الدم عند الكائنات الحيّة(٢).



---

(١) على أحد التفسيرين للآية، والتفسير الآخر: أن المراد بإنزال الحديد في الآية إنزاله من الجبال التي خُلق فيها، وليس المراد إنزالَه من السماء؛ لأن الله تعالى أطلق الإنزال ولم يذكر من أين نزل، ولو كان منزلًا من السماء لقيَّده بـ (مِن)، كما قال في القرآن العظيم: (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، كما قرر ذلك شيخ الإسلام، كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٨) و(١٢/ ٢٥٥ ٢٥٧)، ويحتمل أن يكون بعض الحديد الذي في العالم منزَّلًا من السماء، وبعضه أو أكثره خُلق في الجبال، والله أعلم.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٦٥).

خلاصة الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

* المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن: عدم القدرة على الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من الإخبار بحقائق علمية طبيعية غير معروفة قبله.

* الحكم بامتناع التعارض بين الدين والعلم يقوم على العديد من الأسس العلمية، من أهمها: أن الدين الصحيح من عند الله، والحقائق الكونية من صنعه؛ فلا يمكن أن يتعارض أمره وخلقه.

* لو وجد تعارض بين الدين والعلم فهو تعارض ظاهري، غير حقيقي؛ فإما أن يكون ما نسب إلى العلم غير صحيح أو أن ما نسب إلى الدين غير صحيح أو أن الحكم بالتعارض غير مسلم أصلاً.

* التفسير العلمي للقرآن أعم من بيان الإعجاز العلمي للقرآن، والإعجاز العلمي للقرآن قطعي الدلالة، بينما التفسير العلمي ظني الدلالة.

* ذهب بعض المفسرين إلىٰ منع التفسير العلمي للقرآن الكريم أو تفسير الإشارات الكونية في القرآن الكريم في ضوء العلوم الطبيعية أو التوفيق بين الكشوفات الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، وذهب آخرون إلىٰ جواز ذٰلك، وتأييده:

* الصحيح أن التفسير العلمي للقرآن من أنواع التفسير بالرأي؛ فمنه ما يكون محمودًا جائزًا حين يصدر عن علم أو غلبة ظن، ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، وابتُعِد فيه عن التكلف، والتُزِمت فيه الشروط والضوابط...

* ومنه ما يكون مذمومًا محرمًا حين يصدر عن جهل أو هوىٰ، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي.

ضوابط الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي لا يثبت إلا بعد أمور:

أولاً- ثبوت اكتشاف هٰذه الحقيقة من قبل العلماء المتخصصين في مجالها وإثباتها بشكل مستقر.

ثانيًا- الدلالة الواضحة على تلك الحقيقة في نص من نصوص القرآن الكريم، دون تكلف أو اعتساف في الاستدلال.

ثالثًا- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت تنزيل القرآن على نبينا محمد ﷺ.

* المنصفون من أهل الملل الأخرى شهدوا بأن القرآن لا يتعارض مع العلم أبدًا.

أسئلة الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

١- ما المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

٢- علِّل عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي.

٣- بيِّن الصحيح من مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٤- بيِّن ضوابط الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٥- ما الفرق بين التفسير العلمي للقرآن والإعجاز العلمي للقرآن؟

٦- اذكر ما قاله بعض علماء الطبيعة غير المسلمين في التسليم بالإعجاز العلمي للقرآن.

٧- مثِّل للإعجاز العلمي للقرآن الكريم.



الفصل الخامس
مجالات أخرى للإعجاز القرآني
وموقف العلماء منها
مع أمثلة تطبيقية لها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز العددي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز العددي.



المطلب الثاني: مذاهب العلماء في الإعجاز العددي، والموقف منه بين القبول والرد.

المطلب الثالث: ضوابط الإعجاز العددي.

المطلب الرابع: أمثلة تطبيقية للإعجاز العددي.

المطلب الخامس: المؤاخذات على الإعجاز العددي.

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز النفسي.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز النفسي.

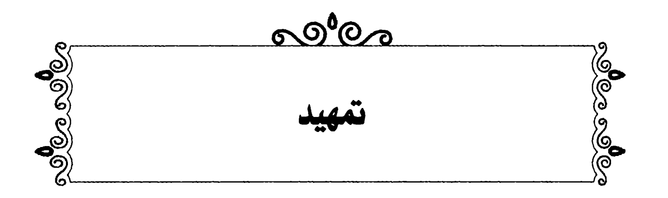
المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز النفسي.

المبحث الثالث: الإعجاز الاجتماعي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز الاجتماعي.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز الاجتماعي.

المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز الاجتماعي.



تمهيد

إن مجال الإعجاز في كتاب الله ﷻ لا يحصى، ولا ينبغي أن نحصره في جانب من الجوانب، إذ يكشف الله ﷻ لعباده من عجائب القرآن وإعجازه شيئًا جديدًا.

واليوم نشهد أنواعًا أخرى من الإعجاز القرآني، ومن أبرز هذه الأنواع: الإعجاز العددي، والإعجاز النفسي، والإعجاز الاجتماعي، وذلك أثار جدلًا واسعًا بين طلبة العلم في قبولها المشروط أو ردها، وإليك ملخصًا عن هذه الثلاثة:





المبحث الأول
الإعجاز العددي

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز العددي:

الإعجاز العددي مركب وصفي من كلمتين: (إعجاز)، و(عددي)، وقد تقدم تعريف الإعجاز، أما العددي فهو نسبة إلى العدّ، وهو الحساب والإحصاء(١).

ويمكن بيان المقصود بالإعجاز العددي بأنه: عدم القدرة على الإتيان بمثل ما ورد في القرآن من علاقات وتوافقات عددية بين حروفه وكلماته وآياته وسوره. ويطلق عليه: الإعجاز الرياضي، والإعجاز الرقمي(٢).

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في الإعجاز العددي، والموقف منه بين القبول والرد:

كثر الحديث عن الإعجاز العددي، وظهرت المؤلفات فيه، كما اشتملت كثير من الكتب المتخصصة في مجال الإعجاز علىٰ هٰذا النوع من الإعجاز.

والخوض فيه صعب وشاق، والدراسة الدقيقة له تحتاج إلىٰ دراسات كثيرة في مجالات شتىٰ.

والذين تحدثوا عنه؛ ما بين مبالغ في الأخذ به، ورافض له؛ لا يراه، ويقول ببطلانه وردِّه جملة وتفصيلاً، وبين متحفظ عليه، ويمكن تصنيف مذاهب الناس في الإعجاز العددي في القرآن الكريم، والموقف منه، على النحو التالي:

المذهب الأول: إثبات هٰذا النوع من الإعجاز، وتعظيمه، والمبالغة في ذٰلك، والتكلف في الاستدلال عليه، والتمثيل له، وعامة أصحاب هٰذا المذهب ليسوا من المتخصصين في العلوم الشرعية والدراسات القرآنية، وإنما هم من المتخصصين في الهندسة والطب والحاسب الآلي ونحوها من التخصصات.

ومن هٰؤلاء د. رشاد خليفة الذي تكلف في ذٰلك لكي يتحصل على النتائج التي يراها؛

---

(١) انظر: لسان العرب: (٣/ ٢٨١)، وتاج العروس: (٨/ ٣٠٠) مادة (عدد).

(٢) آفاق الإعجاز الرقمي: (ص: ١٧).

فيقول مثلًا: الحقيقة القرآنية رقم (٣): أول ما نزل من القرآن الكريم كان (١٩) كلمة[١] ثم عد هذه الكلمات ابتداء من قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. ويظهر أنه عدَّ (ما لم) كلمة واحدة، مع أنهما كلمتان، فالكلمات في هذه الآيات عشرون كلمة، وليست (١٩) كما ذكر.

وعند الحقيقة القرآنية رقم (١٠) قال: ثاني ما نزل من القرآن الكريم كان (٣٨) كلمة، أي: (١٩)×(٢)، ثم عد كلمات صدر سورة القلم[٢]، وكون سورة القلم ثاني ما نزل محل خلاف.

ويقول: عند الحقيقة القرآنية رقم (٢٦): السورة المفتتحة بالحرف (ن) تحتوي على حرف (ن) ١٣٣ مرة، وهو من مضاعفات الرقم (١٩) حيث يساوي (١٩)×(٧)[٣] وعند النظر في ذلك، نجد أنه قد عدَّ حرف النون في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ من البسملة، مع الخلاف المعروف في كونها آية من كل سورة.

والخطأ الأعظم من ذلك أنه عد النون في قوله تعالى: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ﴾ حرفين، وذلك أنه كتبها هكذا: (نون) معتمدًا النطق دون الرسم، وهذا يخالف ما سار عليه في عد الميم، في قوله: ﴿حم﴾ إذ يعتبره حرفًا واحدًا كما هو في الرسم دون النطق، ولو طبق نفس المنهج لكانت الميم في (حم) حرفين، هكذا: (حاميم)، وهذا من التناقض.

وبهذا يتضح بطلان ما ذكره مما يزعم أنها حقائق، في تكرر الحروف المقطعة أوائل السور في سورها بمضاعفات الرقم (١٩).

ومما استُدِلَّ به على إثبات الإعجاز العددي للقرآن قول عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-: دعا عمرُ بن الخطاب أصحابَ محمد ﷺ، فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا أنها في العشر الأواخر. قال: فقلت لعمر: إني لأعلم، وإني لأظن أي ليلة هي. فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر. فقال عمر: ومِن أين علمتَ ذلك؟ فقال ابن عباس: قلتُ: خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإنّ الشهر يدور في سبع، وخَلق الإنسان من سبع[٤]،

---

(١) معجزة القرآن الكريم، لرشاد خليفة: (ص: ١١).

(٢) المرجع السابق: (ص: ٢٠).

(٣) معجزة القرآن الكريم: (ص: ٦٩).

(٤) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

ويأكل من سبع[1]، ويسجد علىٰ سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد فطنتَ لأمر ما فطنّا له[2].

فهٰذا يدل علىٰ أن تكرار الأعداد في القرآن له معان ودلالات؛ يُسْتنبط منها...

وحُكِي عن ابن عباس، أنَّه قال: سورة القدر ثلاثون كلمة، السابعة والعشرون منها ﴿هِىَ ﴾[3].

لكن إثبات الإعجاز العددي للقرآن يتطلب أدلة كثيرة متنوعة؛ فالدليلان والثلاثة يتنازع فيها من يثبت الإعجاز العددي للقرآن، ومن يعتبر التوافقات العددية المبيَّنة لطائف ومُلَحًا، كما سيأتي في المذهب الثاني.

المذهب الثاني: رد هٰذا النوع من الإعجاز وإبطاله، ومن أصحاب هٰذا المذهب من ذهب إلىٰ قبول الكلام عن التوافقات العددية في القرآن الكريم باعتبارها لطائف؛ إذا انضبطت، وسلمت من التكلف والتعسف، ولٰكنهم لم يعدوها وجهًا من وجوه إعجاز القرآن؛ لأنهم لا يرون أن شروط الإعجاز تنطبق عليها، ومن أصحاب هٰذا المذهب من ردَّه مطلقًا؛ لأن الكلام عن التوافقات العددية في القرآن لا يخلو من تكلف وتحكم.

وممن أطلق رد هٰذا النوع من الإعجاز الدكتور خالد السبت[4]، والدكتور محمد حسن هيتو، في كتابه «المعجزة القرآنية» حيث وضع عنوانًا: (أكذوبة الإعجاز العددي في القرآن الكريم)[5]، والدكتور وهبة الزحيلي في كتابه «رسم المصحف والإعجاز العددي».

[المؤمنون: ١٢-١٤]. كما في رواية الأثر في التمهيد، لابن عبد البر (٢/ ٢١٠).

(١) يشير إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٤-٣١]. كما في رواية الأثر في التمهيد، لابن عبد البر (٢/ ٢١٠).

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٤/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: الشرح الكبير على المقنع، لابن قدامة: (٧/ ٥٥٥)، ونسبه ابن حزم (في المحلىٰ ٤/ ٤٥٩) ـ وهو عالم بالآثار ـ إلىٰ أحد علماء الأندلس، وبالغ ابن حزم في ذمه والسخرية منه، رحم الله الجميع.

(٤) ينظر ما كتبه الدكتور خالد السبت بعنوان: (دعوى الإعجاز في حادثة مركز التجارة في أمريكا) علىٰ شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) موقع: مفكرة الإسلام.

(http: //www. islammemo. cc/filz/one_news. asp?IDnews = 77)

(٥) المعجزة القرآنية، للدكتور محمد حسن هيتو: (ص: ٢٩٤).

وممن ردَّه وأجاز أن يطلق على التوافقات العددية في القرآن؛ إذا انضبطت، وسلمت من التكلف والتعسف = لطائف أو مُلَح أو نحو ذٰلك؛ الدكتور إبراهيم الحميضي في كتابه «نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم».

المذهب الثالث: قبول الإعجاز العددي للقرآن بشروط وضوابط، ومن أصحاب هٰذا المذهب الدكتور صالح بن يحيىٰ صواب، في بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم، في جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن، بعنوان: «الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية»، والدكتور ذو الكفل محمد يوسف في بحث مقدم في المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العددي في القرآن؛ انعقد في جامعة محمد الخامس، في المدة من ٨ إلىٰ ٩ نوفمبر ٢٠٠٨م، بعنوان: «الإعجاز العددي: مفهومه وضوابطه: دراسة استقرائية تحليلية».

المطلب الثالث: ضوابط الإعجاز العددي:

يرىٰ أصحاب مذهب (قبول الإعجاز العددي للقرآن بشروط وضوابط) أن الإعجاز العددي حقيقة واقعة؛ فلا يمكن أن يكون ما ورد في القرآن من علاقات وتوافقات عددية دقيقة مسلَّمة؛ مقدورًا لمخلوق، إلا أنه لا بد للباحثين في هٰذا النوع من الإعجاز من ضوابط، أهمها:

الضابط الأول:

ألَّا يمكن أن تحصل هٰذه العلاقات الرياضية التي تكتشف في القرآن اتفاقًا، ولذا فحصولُها في أي كتاب يدل علىٰ أن صاحب هٰذا الكتاب علىٰ علم عميق بالعلاقات العددية، وعلىٰ خبرة ومهارة عالية جدًّا في توفيق الكلمات لتكون متماشية مع هٰذه العلاقات، ولما كان محمد ﷺ أميًّا، ولا يعرف الكتابة والحساب؛ فلا يمكن أن يكون هٰذا الكتاب من وضعه، ولذٰلك لم يُمكن أحدًا أن يزعم أنه أتىٰ به من عند نفسه، وإنما قصاراهم أن يزعموا أنه أخذه عن غيره، ولٰكن لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهٰذا لسان عربي مبين، فثبت المطلوب، وأنه كلام خالق البشر.

الضابط الثاني:

أن تكون العلاقات العددية التي يذكرها المكتشفون قريبة غير معقدة؛ لأن الإعجاز أو التحدي لا يحصل إلا بالواضح القريب لا بالمتكلف البعيد أو بتحميل النصوص القرآنية ما لا تحتمله أو بما يكون محتملاً لأكثر من معنىٰ.

الضابط الثالث:

أن [لا] تكون هذه العلاقات [مما يدخل] في نظرية (رامزي): (أحد الفلاسفة الرياضيين)، وهي النظرية التي تشير إلى أنه لا تخلو أي مجموعة من وجود علاقات خاصة بين أفرادها؛ إذا توفرت فيها شروط خاصة، وهذا مثال [لها]: (إذا تخيرنا أي ستة أشخاص في العالم؛ فمن المؤكد أننا إما أن نجد ثلاثة منهم يعرفون بعضًا، وإما أن نجد ثلاثة منهم لا يعرفون بعضًا)(١).

وقد جاء في مناقشة دار الإفتاء المصرية لبحث «معجزة القرآن الكريم» للدكتور رشاد خليفة: «ولو أن شخصًا آخر استبدل بالعدد تسعة عشر عددًا آخر، ثم وفق عليه آيات القرآن بطريقة كاتب هذا البحث، والخالية من الضابط -كما سبق ذكره-؛ فسوف يصل إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الباحث في العدد تسعة عشر؛ ولذا فإن ما ذكر في ذلك البحث لا يمثل الحقيقة والصواب»(٢).

الضابط الرابع:

[ألَّا تكون من] العلاقات التي لها ما يشابهها في عالم الناس؛ لأن وجود ما يشابهها عند البشر ينافي كونها دليلًا على الصدق فضلًا عن الإعجاز، ومثال ذلك في الواقع: العلاقات الرياضية العجيبة المكتشفة في (الهرم الأكبر)(٣) إلا إذا ضممنا لها -كما سبق- ما تواتر من أمية محمد ﷺ، وما تواتر من نزول الآيات مفرقة بحسب الحوادث.

وقد أعدت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية بحثًا ناقشت فيه الدكتور رشاد خليفة في محاضرته «معجزة محمد الخالدة»؛ خلصت فيه إلى أنه:

---

(١) تنظر ترجمة رامزي، والتعريف بنظريته التي تجيب عن نحو هذا السؤال: كم عدد العناصر من بنية ما يجب أن تكون لتضمن لزوم خاصية معينة؟ في الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) فتوى منشورة في الإنترنت في موقع موسوعة الفتاوى.

(٣) من العلاقات الرياضية العجيبة المكتشفة في الهرم الأكبر أن نسبة محيط الهرم الأكبر مقسومًا على ارتفاع الهرم يساوي ٣,١٤، ونسبة محيط غرفة الملك خوفو إلى ارتفاعها ٣,١٤، وكذلك التابوت الخاص بالملك، وكل غرف الهرم بهذا الشكل، وهذه النسبة (٣,١٤) هي نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، وهذا ليس مصادفة، بل هذا في التصميم والهندسة، وارتفاع الهرم ١٤٩,٤ متر، والمسافة بين الأرض والشمس ١٤٩,٤ مليون كيلو متر. ذكر ذلك الدكتور مصطفى محمود في مشهد منشور في اليوتيوب بعنوان: «الهرم المعجزة»:

https: //www.youtube.com/watch?v = 922w_5IKAJs&t = 1476s

«مما تقدم من المناقشات يتبين أن ما ذكره الدكتور رشاد خليفة في محاضرته، وسماه «معجزة محمد الخالدة»، وما نشرته له جريدة «اليوم السعودية»، وسماه معجزة قرآنية مذهلة؛ لا يصلح أن يكون معجزة تثبت بها الرسالة والصدق في دعوى النبوة، لما فيه من الخطأ والتناقض، ولأنه على فرض سلامته من ذلك؛ هو في متناول القوى البشرية، لإمكان اكتسابه عن طريق الأسباب العادية، فيستطيع البشر أن يأتوا بمثله فرادى وجماعات، أما المعجزات فسمتها التي تتميز بها عن المخترعات عجز البشر -على أي حال كانوا- عن أن يأتوا بمثلها؛ لكونها من وراء الأسباب العادية»[1].

الضابط الخامس:

أن ثبوت الإعجاز العددي في بعض طرق العد لا يعني بالضرورة بطلان الطرق الأخرى، كما لم يكن ثبوتُ الإعجاز العددي في بعض الآيات دليلاً على بطلان الآيات الأخرى، وكذلك فإن ظهور علاقات عددية في العد الكوفي لا يعني عدم وجود علاقات غيرها في طرق العد الأخرى، وعدم كشفنا لهذه العلاقات لا يعني عدم وجودها[2]؛ فإذا اعتمد الباحث على بعض ما هو مختلف فيه بين العلماء، في الرسم، أو عد الآيات أو القراءات؛ فلا بد أن يدع مجالًا مناسبًا للرسم الآخر أو للعد الآخر أو للقراءة الأخرى، [ويقيد العلاقات بما اعتمده، ولا يبطل غيره].

الضابط السادس:

عدم إقحام القرآن في قضايا محتملة أو القطع بالحوادث، لكي لا يؤدي ذلك إلى التلاعب بالنصوص القرآنية، وجعلها عرضة للتكذيب.

الضابط السابع:

الالتزام بمنهج موحد في إحصاء الكلمات أو الأحرف أو غيرها، فلا يكون هناك اضطراب في المنهج، بحيث يتم احتساب بعض الأحرف تارة، وإهمالها تارة أخرى، أو عد بعض الآيات في حال، وتركها في حال أخرى.

---

(١) ضوابط مقترحة لتأصيل البحث في الإعجاز العددي، لأبي مالك وائل العوضي، مقال منشور في الإنترنت، في موقع الألوكة.

(٢) بحث للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية بعنوان: «بيان معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية ومناقشتها».

الضابط الثامن:

الوضوح في تحديد النص المراد إظهار الإعجاز فيه، بحيث لا تبقى المسألة خاضعة للانتقاء حسب الأهواء، وإنما يلتزم الباحث طريقة واضحة في التعامل مع الجمل والنصوص(١).

ضوابط الإعجاز العددي

- أن لا يمكن أن تحصل هذه العلاقات الرياضية التي تكتشف في القرآن اتفاقًا.
- أن تكون العلاقات العددية التي يذكرها المكتشفون قريبة غير معقدة.
- أن لا تكون هذه العلاقات مما يدخل في نظرية (رامزي).
- أن لا تكون من العلاقات التي لها ما يشابهها في عالم الناس.
- أن ثبوت الإعجاز العددي في بعض طرق العد لا يعني بالضرورة بطلان الطرق الأخرى.
- عدم إقحام القرآن في قضايا محتملة أو القطع بالحوادث.
- الالتزام بمنهج موحد في إحصاء الكلمات أو الأحرف أو غيرها.
- الوضوح في تحديد النص المراد إظهار الإعجاز فيه.

المطلب الرابع: أمثلة تطبيقية للإعجاز العددي:

سنورد فيما يلي أمثلة للإعجاز العددي للقرآن عند من يراه، بغض النظر عن صحتها؛ لأن عامة ما ورد في مسألة الإعجاز العددي للقرآن يحتاج إلى مراجعة وتحقيق؛ فمن أمثلته ما جاء في كتاب الإعجاز العددي للقرآن الكريم، لعبد الرزاق نوفل، حيث يقول: لقد تكرر لفظ البصر -وهو الرؤية الظاهرة- وكافة مشتقاته، والبصيرة -وهي الرؤية الداخلية- وكذلك كل مشتقاتها ١٤٨ مرة... وبنفس هذا العدد أي ١٤٨ تكرر لفظ القلب ومشتقاته، والفؤاد ومشتقاته كذلك، والقلب والفؤاد هو جهاز الإدراك والوعي(٢).

---

(١) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية، للدكتور صالح صواب بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم- في جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن: (ص: ٢٩).

(٢) الإعجاز العددي للقرآن الكريم: (ص: ١٩).

ومن أمثلة الإعجاز العددي للقرآن عند من يراه: التوازن في عدد كلمات الجمل المتشابهة والمتقابلة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]، وردت في (١٢) كلمة، وورد الرد عليها في (١٢) كلمة: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وردت في (٢٤) كلمة، وجاء بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]. في (٢٤) كلمة.

ومن ذلك مصير أهل النار وأهل الجنة في سورة النساء، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]. في (٢٠) كلمة، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]. في (٢٠) كلمة أيضًا.

وأيضا مصير أهل النار وأهل الجنة في سورة الغاشية ورد كل منهما في (٢٤) كلمة، ففي الحديث عن مصير أهل النار قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧]. في (٢٤) كلمة. وورد الحديث عن مصير أهل الجنة في (٢٤) كلمة أيضا في قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-١٦].

ومن هذا الجنس: التوازن في عدد الكلمات المتشابهة والمتقابلة، ولا يمكن التسليم بجميع ما ورد في ذلك؛ للاختلاف في عد الكلمات، ومع ذلك فإن منه ما هو واضح لا خلاف فيه؛ كالدنيا والآخرة؛ فقد ورد كل منهما وتكرر بنفس العدد (١١٥) مرة، وهذا يمكن التحقق منه بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أو بالرجوع إلى الحاسب الآلي (الكمبيوتر) لعد هذه الكلمات، إذ يظهر أن عدد مرات ورود كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة.

ومن العلاقات العددية التي قيل: إنها «واضحة لكل إنسان لا يسعه القدح فيها: تكرر ذكر آدم مثلًا (٢٥) مرة، وتكرر ذكر عيسى أيضًا (٢٥) [مرة] وهذا له تعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]»(١).

وهناك ألفاظ أخرى أوردها بعض الباحثين، لكنها تحتاج إلى تمحيص أو وضع قاعدة واضحة؛ نذكر بعضها هنا؛ بغض النظر عن صحتها، كما تقدم؛ فمن ذلك:

أ- الملائكة تقابل الشياطين، وقد تكرر كل منهما (٨٨) مرة.

ب- الحياة تقابل الموت، وقد تكرر كل منهما بمشتقاته: (١٤٥) مرة.

ت- الصالحات تقابل السيئات، وقد تكرر كل منهما بمشتقاته: (١٦٧) مرة.

ث- الرسل والناس، تكرر كل منهما: (٢٤١) مرة.

ج- الكافرون والنار، تكرر كل منهما بمشتقاته: (١٥٤) مرة.

ح- لفظ (قل) وهو الأمر من الله، و(قالوا) الخبر عما قاله الخلق، تكرر كل منهما: (٣٣٢) مرة.

خ- كلمة (رجل) تقابل (امرأة)، وقد تكرر كل منهما (٢٤) مرة.

ومن أمثلة التوازن في الكلمات المتشابهة:

أ- لفظ السنة والعام، تكرر كل منهما مفردًا (٧) مرات.

ب- لفظ الجهر والعلانية، تكرر كل منهما بمشتقاته: (١٦) مرة.

ومن هذا الجنس: التوازن في تكرار الألفاظ المتقابلة: أي أن بعض الألفاظ المتقابلة ورد ذكر مقابلها مكررًا بضعف تكرارها:

١- اليسر بمشتقاته ورد (٣٦) مرة، وهذا العدد ثلاثة أضعاف عدد مرات ورود العسر، وهي (١٢) مرة.

٢- الأبرار، تكرر (٦) مرات، ضعف تكرار (الفجار) الذي ورد (٣) مرات.

٣- السر، تكرر (٣٢) مرة، ضعف الجهر، الذي ورد (١٦) مرة.

---

(١) ضوابط مقترحة لتأصيل البحث في الإعجاز العددي، لأبي مالك العوضي، مقال منشور في الإنترنت، في موقع الألوكة.

٤- النبوة تكررت (٨٠) مرة، والسنة (١٦) مرة، فتكرار النبوة خمسة أضعاف السنة. وليس المراد بالسنة أحاديث النبي ﷺ، وإنما هي بمعنى الطريقة والعادة.

ومن أنواع الإعجاز العددي للقرآن التي أوردها بعض الباحثين في الإعجاز العددي للقرآن: التناسب بين الموضوع والعدد الذي يشير إليه، ومن أمثلته:

أ- السموات سبع، وقد ورد الخبر بذلك في القرآن سبع مرات.

ب- السنة اثنا عشر شهرًا، وقد تكرر لفظ الشهر مفردا (١٢) مرة.

ت- الشهر ثلاثون يومًا، وقد تكرر لفظ الأيام، و(يومين) (٣٠) مرة.

ث- السنة الشمسية (٣٦٥) يومًا، وقد تكرر لفظ اليوم (٣٦٥).

ج- (البر) تكرر (١٢) مرة، واليابس (١) فيكون المجموع (١٣) ويقابل ذلك البحر: (٣٢) مرة، وهو يشير إلى نسبة كل من اليابسة والماء[1].

المطلب الخامس: المؤاخذات على الإعجاز العددي:

من المؤاخذات على أبحاث الإعجاز العددي أو على بعض تطبيقاته ما يلي:

١- أن البحث في العلاقات العددية بين حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره؛ لم يكن معهودًا عند المفسرين، مع أنهم عدّوا آيات القرآن الكريم وكلماته وحروفه، والبحث في العلاقات العددية أمر مقدور لهم؛ لو أرادو. وقد بيَّنوا علاقات وتوافقات عددية في القرآن، كما سبق فيما يُسْتدل به لإثبات الإعجاز العددي للقرآن، ولم يعتبروها إعجازًا عدديًا للقرآن. ومن ذلك أيضًا قول الزركشي في كلامه عن اختصاص كل سورة بما سميت به: «واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رعي التسمية ما ذكرنا (يعني: اختصاصها بما سميت به) وانظر سورة ق لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف، ومن ذلك: السور المفتتحة بالحروف المقطعة، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته حتى لم تكن لترد ﴿الٓمٓ﴾ في موضع ﴿الٓر﴾ ولا ﴿حمٓ﴾ في موضع ﴿طسٓ﴾ لاسيما إذا قلنا: إنها أعلام لها، وأسماء عليها، وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلمها، ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها؛ وجدت الحروف المفتتح بها تلك السورة إفرادًا وتركيبًا

(١) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية، للدكتور صالح صواب بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم- في جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن: (ص: ١٨-٢٠).

أكثر عددًا في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها»[١].

٢- القول على الله سبحانه وتعالىٰ بغير علم؛ حيث يتولى البحث في دلالات الآيات من لا عِلم له بالتفسير وأصوله وقواعده[٢]، وتفسير القرآن الكريم بغير علم محرم ومذموم، وقد دلت علىٰ ذٰلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة وأقول السلف، وقد تورّع الصحابة والتابعين عن القول في التفسير بغير علم، وهابوا الكلام فيه؛ خوفًا من الخطأ، وحمل كلام الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ غير مراده، وهٰذا أمر مستفيض عنهم ومشهور، والآثار عنهم في ذٰلك كثيرة.

ومن ذٰلك: تأويل قول الله تعالىٰ: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] اعتمادًا علىٰ توافقات عددية؛ بأن المقصود به دولة أمريكا وبرجاها اللذان ضُرِبا في ١١/ ٩/ ٢٠٠١م؛ بطائرتين مختطفتين؛ فسقطا، وقد بيَّن من أول الآية بهٰذا التأويل التوافقات العددية التي استدل بها عليه، كما سيأتي عند الكلام علىٰ مؤاخذة أخرىٰ من المؤخذات علىٰ إثبات الإعجاز العددي للقرآن، وهي الاعتماد علىٰ ما لا يعتد به، ولم يذكر أنه من باب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويحتمل أنه لا يعرف هٰذه القاعدة، وقد ذُكِر أن بعض من كتب في إثبات الإعجاز العددي للقرآن لا يعلم أن القرآن يقرأ بقراءات مختلفة، وأن هناك اختلافًا في رسمه وعدِّ آياته، ويظن أن عدد الآيات متفق عليه، والقراءات لا أثر لها في زيادة الحروف ونقصانها، وأن رسم المصحف واحد علىٰ جميع القراءات![٣]

٣- التكلف والتعسف واضطراب منهج الإحصاء والعد، وانتقاء الأمثلة، حيث نجد التكلف في إيجاد الروابط بين أعداد الكلمات، ومحاولة الوصول إلى النتائج المفترضة، وترك الالتزام بمنهج في تصريف الكلمات المراد إحصاؤها؛ فيضطرب ذٰلك؛ بعدِّ الكلمات المجردة من إضافة (أل) أو الضمير ونحوه تارة، واحتساب جميع الكلمات بما في ذٰلك المشتقات تارة، وعدِّ الحروف كما تكتب وفق الرسم القرآني تارة، وعدِّ حروف أخرىٰ كما تلفظ تارة، ومخالفة رسم القرآن بهدف الحصول علىٰ أرقام محددة متفقة، وغير ذٰلك من الطرق المخالفة للمنهج العلمي.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٢٧١).

(٢) انظر: مقالات في علوم القرآن، مساعد الطيار: (ص: ٢٦٤).

(٣) نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، للدكتور إبراهيم بن صالح الحميضي: (ص: ٥٤).

وقد سبق ذكر أمثلة للاضطراب في منهج الإحصاء والعدِّ عند رشاد خليفة عند الحديث عن المبالغة والتكلف في إثبات الإعجاز العددي للقرآن.

ومن ذلك ما كتبه ابن خليفة عليوي في كتابه: (معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية أوامر القرآن الكريم) فهو يقول -مثلًا-: «تكرر الأمر بطلب الإيمان في القرآن الكريم بصيغة الأمر: أربع عشرة مرة، كان منها سبع مرات لأهل الكتاب عامة، وثلاث مرات لمشركي قريش؛ إحداها في الدعوة إلى الإيمان خاصة، واثنتان لهما وللناس جميعا، ومرة واحدة للمنافقين، ومرة واحدة للجن، ومرة واحدة للمؤمنين، ومرة واحدة للحواريين، وعليه فتكون الأوامر في القرآن الكريم شملت جميع أجناس المكلفين مهما تنوعت صفاتهم، وهذا سر عظيم، ذو شأن كبير في الدعوة الإسلامية»[1].

وقد وردت كلمة ﴿ءَامِنُواْ﴾ في كتاب الله ١٨ مرة! كما أن الكاتب لم يلتزم منهجًا ثابتًا في عدِّ الكلمات.

وأورد المهندس عدنان الرفاعي في كتابه «المعجزة» عنوانًا هو: (تعداد واحدات الوصف والتسمية) ذكر فيه أن مجموع كلمات أي نص، يرتبط ارتباطًا تامًا مع حقيقة وجوهر المسألة التي يصفها ويصورها هذا النص، وأن العدد الدال على مجموع هذه الكلمات هو العدد نفسه الدال على مجموع الواحدات الأساسية التي تخص وتميز المسألة التي يصفها ويصورها هذا النص[2].

ثم ذكر أمثلة لذلك في عدد من النصوص التي وردت في سياق قصة عيسى عليه السلام، وعدد كلماتها (٣٣) باعتبارها مجموع سني حياة عيسى -عليه السلام- قبل أن يرفع إلى الدنيا.

وذكر نصوصًا أخرى تتحدث عن محمد ﷺ وعدد كلماتهما (٦٣) مرتبط بسني حياته ﷺ، ونصوصًا أخرى تتحدث عن سليمان، عدد كلماتها (٥٣) كلمة، وهي تقابل (٥٣) سنة التي عاشها عليه السلام، ونصوصًا أخرى تتحدث عن صالح - عليه السلام - وردت في (٥٨) كلمة، وهي تقابل سني حياته عليه السلام[3].

---

(١) معجزة القرن العشرين: (ص: ١٣).

(٢) المعجزة: (ص: ٤٧).

(٣) انظر: المرجع السابق: (ص: ٤٩-٥٤).

وهٰذه الأرقام تحتاج إلىٰ دليل قطعي في تحديد حياة كل واحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم إن النصوص الواردة في سياق قصص هٰؤلاء الأنبياء كثيرة ومتعددة؛ فكيف يكون لنا اختيار نص دون نص، ومقطع دون مقطع؟!

وإضافة إلىٰ ذٰلك فإن تحديد بداية هٰذه المقاطع ونهايتها أمر اجتهادي؛ لا ضابط له، ولا حدود واضحة لبداية كل مقطع ونهايته، بل هو محض اجتهاد بما يتناسب مع العدد المراد(١).

٤ - جعل العلاقات العددية المظنونة في أبحاث الإعجاز العددي حاكمة ومهيمنة علىٰ الاختلاف في علم القراءات ورسم المصحف وعدّ الآي.

كما فعل المهندس عدنان الرفاعي، في كتابه: (المعجزة) حيث أورد كثيرًا من الحقائق المتعلقة بالإعجاز العددي، إلا أنه خالف ما عليه علماء الأمة في كثير من القضايا، ومع أن من هٰذه المسائل ما هو مسألة خلافية، فأنه تجاوز مرحلة الخلاف في المسألة إلى القول برأيه مع إبطال غيره، وجاء بأقوال لم يسبقه إليها أحد من السلف، مع أن الأصل فيها النقل، وليس الاجتهاد.

يقول: «فنحن نؤكد ونجزم أن القراءات الحق للقرآن الكريم ما هي إلا اختلافات في اللفظ والتشكيل، وأي قراءة تخالف الرسم التوقيفي هي قراءة باطلة، وهٰذه حقيقة هداني الله تعالىٰ لأقدم برهانها في كتاب المعجزة بشكل رياضي، وهٰذه حقيقة يؤكدها الله تعالىٰ في كتابه الكريم حينما يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فأي حفظ ذٰلك -أيها السادة- الذي تضاف فيه الكلمات وتنقص، كما تقولون؟»(٢).

والذي عليه العلماء أن من اختلاف القراءات وجود كلمة أو حرف في بعض القراءات دون غيرها، كما في زيادة (من) في قراءة ابن كثير في سورة التوبة حيث قرأ: ﴿مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ [التوبة: ١٠٠] بدون (من)، ومثل: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] في سورة الحديد، فقد قرأ الجمهور: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر بحذف (هو)، ومن أسباب ذٰلك: وجود الكلمة في بعض المصاحف التي كتبها الصحابة،

---

(١) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية، للدكتور صالح صواب بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم- في جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن: (ص: ١٦).

(٢) نقد النظرية الإعجازية في القرآن الكريم: (ص: ١٧، ١٦) ملحق بكتابه: المعجزة، للمؤلف.

وعدم وجودها في بعض، قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر: واختلفوا في: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهو الموضع الأخير، فقرأ ابن كثير بزيادة كلمة: من، وخفض تاء تحتها، وكذٰلك هي في المصاحف المكية، وقرأ الباقون بحذف لفظ: من، وفتح التاء، وكذٰلك هي في مصاحفهم(١).

ومعنىٰ هٰذا أن المصحف العثماني كُتب بقراءة واحدة محتملة لغيرها إلا مواضع يسيرة جدًا؛ لا بد من كتابتها في نسخ أخرىٰ؛ فأمر عثمان -رضي الله عنه- باستنساخ نسخ منه للأمصار، وفرق أوجه القراءات الصحيحة كلها في هٰذه النسخ؛ فجاءت بعض الكلمات مثبتة في بعض النسخ، ومحذوفة في بعضها؛ كي يحفظ للأمة جميع أوجه القراءة، كما نزلت من عند الله تعالىٰ. قال أبو عمرو الداني: «فإن سأل (يعني: سائل) عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هٰذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت: السبب في ذٰلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ لما جمع القرآن في المصاحف، ونسخها علىٰ صورة واحدة، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصحّ ولا يثبت؛ نظرًا للأُمّة، واحتياطًا علىٰ أهل الملّة، وثبت عنده أن هٰذه الحروف من عند الله ﷻ كذٰلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد علىٰ تلك الحال غير متمكّن إلا بإعادة الكلمة مرتّين، وفي رسم ذٰلك كذٰلك من التخليط والتغيير للمرسوم؛ ما لا خفاء به؛ ففرقها في المصاحف لذٰلك؛ فجاءت مثبتة في بعضها، ومحذوفة في بعضها؛ لكي تحفظها الأمة، كما نزلت من عند الله ﷻ، وعلىٰ ما سُمعت من رسول الله ﷺ؛ فهٰذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»(٢).

ومن المسائل التي خالف فيها الرفاعي الجمهور القول بعدم النسخ في القرآن، يقول: «إن جميع آيات القرآن الكريم متكاملة متعاضدة، لا يوجد بينها أي اختلاف، وبالتالي لا يوجد فيها لا ناسخ ولا منسوخ؛ لأن الناسخ والمنسوخ هو قمة الاختلاف»(٣).

وهٰذا القول مخالف لما عليه سلف الأمة، قال الزركشي في حديثه عن النسخ: «والصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعًا وعقلًا»(٤). بل نقل السيوطي الإجماع على القول بجواز النسخ،

---

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٢/ ٢٨٠).
(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الداني: (ص: ١١٩).
(٣) نقد النظرية الإعجازية في القرآن الكريم: (ص: ٧).
(٤) البرهان للزركشي: (٢/ ٣٠).

فقال ﷺ: «النسخ مما خص الله به هٰذه الأمة لحكم منها التيسير، وقد أجمع المسلمون علىٰ جوازه، وأنكره اليهود ظنًا منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له، وهو باطل؛ لأن بيان مدة الحكم، كالإحياء بعد الإماتة، وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه، والفقر بعد الغنىٰ، وعكسه، وذٰلك لا يكون بداء، فكذا الأمر والنهي»(١).

وخلاصة القول أنه لا يجوز أن تكون دعوى الإعجاز العددي سببًا في الخروج عما أجمع عليه علماء الأمة.

ويمكن أن نقول بأن القرآن معجز، علىٰ تعدد قراءاته، واختلاف رسمه؛ فما من قراءة أو رسم إلا وله وجه في إعجاز القرآن؛ علمه من علمه، وجهله من جهله.

ومما يتعلق بالتوسع في العلاقات العددية مع وجود الخلاف في تعداد الآيات؛ ما أورده الباحث (عمر النجدي) من أنه توصل من دراسات مقارنة بين ألفاظ في بعض الآيات في السور المختلفة إلىٰ أن قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ هو الآية رقم (٥٤) من سورة الكهف، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ هو الآية رقم (٢٧) من سورة الزمر؛ فالآية (٥٤) من سورة الكهف ضعف الآية (٢٧) من سورة الزمر(٢).

ويمضي الباحث في كتابه (معجزة القرآن الجديدة) ليوضح أوجهًا كثيرة من هٰذا النوع، فمثلًا: أورد المؤلف لفظ الغرور ومشتقاته، حيث ورد في آيات عديدة، على النحو الآتي: الحديد (٢٠)، الملك (٢٠)، النساء (١٢٠)، الأعراف (٢٢)، لقمان (٣٣)، فالعدد (٢٠) مع (٢٠) علاقة تساو، ومع (١٢٠) زيادة المئة، والعلاقة بين (٢٢، ٣٣) قاعدة التشابه... وهٰكذا في أمثلة أخرىٰ كثيرة(٣).

لٰكنه يذهب بعيدًا في دراسته هٰذه، ليقول بأنه يمكن تصحيح الخلاف الوارد في عد آيات بعض السور، معتمدًا علىٰ قوانين التشابه والإعجاز العددي والمثاني.

فهل مثل هٰذه الاستنتاجات كافية في ترجيح قول علىٰ قول؟!(٤).

---

(١) الإتقان: (٢/ ٥٦)، وانظر: مناهل العرفان للزرقاني: (١/ ١٣٥) وما بعدها.

(٢) معجزة القرآن الجديدة، بنية الآيات والسور، عمر النجدي: (ص: ٣٣).

(٣) المرجع السابق: (ص: ٧٦).

(٤) الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية، للدكتور صالح صواب بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم- في جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن: (ص: ١٧).

٥- مناقضة القرآن؛ بمثل محاولة التنبؤ ببعض المغيبات؛ كتحديد ساعة القيامة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

٦- الاعتماد علىٰ ما لا يعتد به؛ كالأخذ بالتقويم الميلادي والحساب الشمسي، دون الهجري القمري الشرعي، والاستدلال ببعض الإسرائيليات والأقوال الضعيفة وحساب الجمّل، وغيرها[(١)].

ومن ذلك: الاعتماد على التاريخ الميلادي في عدِّ قول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ من الإعجاز العددي للقرآن؛ لتوافقات عددية بين أعداد متعلقة بالآية والتاريخ الميلادي لواقعة معينة وأعداد متعلقة بمكانها، وهٰذه الواقعة هي: ضرب برجين في دولة أمريكا في ١١/٩/٢٠٠١م؛ بطائرتين مختطفتين، وسقوط البرجين بسبب ضربهما بالطائرتين، والتوافقات العددية بين الأعداد المتعلقة بالآية والتاريخ الميلادي للواقعة والأعداد المتعلقة بمكانها هي: أن ترتيب سورة التوبة: التاسعة من سور القرآن الكريم، وهو رقم الشهر الذي وقعت فيه الواقعة، ورقم هٰذه الآية ١٠٩، وهو عدد طوابق البرجين، وعدد كلمات السورة إلىٰ هٰذه الآية ٢٠٠١، وهو رقم السنة، واسم الشارع الذي وقعت فيه الواقعة (كرف هار) وهو إشارة إلىٰ (جرف هار)![(٢)]

المؤاخذات على الإعجاز العددي

- الاعتماد على ما لا يعتد به
- القول على الله سبحانه وتعالى بغير علم
- أن البحث في العلاقات العددية بين حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره؛ لم يكن معهودًا عند المفسرين
- التكلف والتعسف واضطراب منهج الإحصاء والعد، وانتقاء الأمثلة
- مناقضة القرآن؛ بمثل محاولة التنبؤ ببعض المغيبات
- جعل العلاقات العددية المظنونة في أبحاث الإعجاز العددي حاكمة ومهيمنة على الاختلاف في علم القراءات ورسم المصحف وعدّ الآي

---

(١) ينظر: نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم: (ص: ٤٧-٥٦).

(٢) ينظر: نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم: (ص: ٨٣).

خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز العددي للقرآن الكريم

* المقصود بالإعجاز العددي: عدم القدرة على الإتيان بمثل ما ورد في القرآن من علاقات وتوافقات عددية بين حروفه وكلماته وآياته وسوره. ويطلق عليه: الإعجاز الرياضي، والإعجاز الرقمي.

* الذين تحدثوا عن الإعجاز العددي؛ ما بين مبالغ في الأخذ به، ورافض له؛ لا يراه، ويقول ببطلانه وردِّه جملة وتفصيلاً، وبين متحفظ عليه.

* إثبات الإعجاز العددي للقرآن يتطلب أدلة كثيرة متنوعة؛ فالدليلان والثلاثة يتنازع فيها من يثبت الإعجاز العددي للقرآن، ومن يعتبر التوافقات العددية المبيَّنة لطائف ومُلَحًا.

ضوابط الإعجاز العددي:

يرىٰ أصحاب مذهب (قبول الإعجاز العددي للقرآن بشروط وضوابط) أن الإعجاز العددي حقيقة واقعة؛ فلا يمكن أن يكون ما ورد في القرآن من علاقات وتوافقات عددية دقيقة مسلَّمة؛ مقدورًا لمخلوق، إلا أنه لا بد للباحثين في هٰذا النوع من الإعجاز من ضوابط، أهمها:

الضابط الأول: ألَّا يمكن أن تحصل هٰذه العلاقات الرياضية التي تكتشف في القرآن اتفاقًا.

الضابط الثاني: أن تكون العلاقات العددية التي يذكرها المكتشفون قريبة غير معقدة.

الضابط الثالث: ألَّا تكون العلاقات العددية مما يدخل في نظرية (رامزي)، وهي النظرية التي تشير إلىٰ أنه لا تخلو أي مجموعة من وجود علاقات خاصة بين أفرادها؛ إذا توفرت فيها شروط خاصة.

الضابط الرابع: ألَّا تكون من العلاقات التي لها ما يشابهها في عالم الناس.

الضابط الخامس: أن ثبوت الإعجاز العددي في بعض طرق العد لا يعني بالضرورة بطلان الطرق الأخرىٰ.

الضابط السادس: عدم إقحام القرآن في قضايا محتملة أو القطع بالحوادث.

الضابط السابع: الالتزام بمنهج موحد في إحصاء الكلمات أو الأحرف أو غيرها.

الضابط الثامن: الوضوح في تحديد النص المراد إظهار الإعجاز فيه، بحيث لا تبقىٰ المسألة خاضعة للانتقاء حسب الأهواء.

المؤاخذات على الإعجاز العددي:

١- أن البحث في العلاقات العددية بين حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره؛ لم يكن معهودًا عند المفسرين، مع أنهم عدّوا آيات القرآن الكريم وكلماته وحروفه، والبحث في العلاقات العددية أمر مقدور لهم؛ لو أرادوا.

٢- القول على الله سبحانه وتعالىٰ بغير علم؛ حيث يتولى البحث في دلالات الآيات من لا عِلم له بالتفسير وأصوله وقواعده.

٣- التكلف والتعسف واضطراب منهج الإحصاء والعد، وانتقاء الأمثلة.

٤- جعل العلاقات العددية المظنونة في أبحاث الإعجاز العددي حاكمة ومهيمنة على الاختلاف في علم القراءات ورسم المصحف وعدّ الآي.

٥- مناقضة القرآن؛ بمثل محاولة التنبؤ ببعض المغيبات؛ كتحديد ساعة القيامة.

٦- الاعتماد علىٰ ما لا يعتد به؛ كالأخذ بالتقويم الميلادي والحساب الشمسي، دون الهجري القمري الشرعي، والاستدلال ببعض الإسرائيليات والأقوال الضعيفة وحساب الجمّل، وغيرها.

أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز العددي للقرآن الكريم

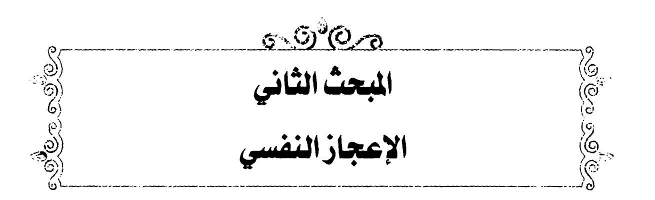
١- ما المقصود بالإعجاز العددي للقرآن الكريم؟

٢- بيِّن مواقف العلماء من إثبات الإعجاز العددي للقرآن الكريم.

٣- بيِّن ضوابط الإعجاز العددي للقرآن الكريم عند من يرىٰ إثباته بضوابط.

٤- مثِّل بثلاثة أمثلة استُدِل بها على الإعجاز العددي للقرآن الكريم.

٥- ما الذي يؤخذ علىٰ أبحاث الإعجاز العددي للقرآن وبعض تطبيقاته؟



المبحث الثاني
الإعجاز النفسي

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز النفسي:

أولاً- مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح:

مفهوم النفس في اللغة:

النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان؛ من ريح وغيره[١].

والنفس: عين الشيء، كما يقال: رأيت زيدًا نفسه.

والنفس: الروح التي تفارق بالموت؛ باعتبار تدبيرها للبدن.

والنفس: الدم الذي يكون في الحيوان، كقول الفقهاء: «ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة»، ومنه يقال: نَفِست المرأة؛ إذا حاضت، ونُفِست؛ إذا نَفَّسَهَا ولدها، ومنه قيل: النُفَساء.

والنفس: السعة والري، ومنه شراب ذو نفس أي: ذو سعة وري، والنفيس: المال الكثير[٢].

مفهوم النفس اصطلاحًا:

اختلفت عبارات أهل العلم والباحثين في تعريف النفس، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: النفس: هي «الروح المدبرة لبدن الإنسان»، و«هي من باب ما يقوم بنفسه التي تسمى جوهرًا وعينًا قائمة بنفسها، ليست من باب الأعراض التي هي صفات قائمة بغيرها.

والصواب: أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة، وليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة.

وأما الإشارة إليها؛ فإنه يشار إليها، وتصعد، وتنزل، وتخرج من البدن، وتُسَلُّ منه، كما جاءت بذلك النصوص، ودلت عليه الشواهد العقلية»[٣].

---

(١) مقاييس اللغة: (ص: ١٠٤٠).

(٢) القاموس المحيط: (ص: ٧٤٦)، تاج العروس: (٤/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، مادة (نفس)، الصحاح: (٣/ ٩٨٤)، مادة (نفس)، أساس البلاغة: (ص: ٦٤٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٢٩٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣٠١-٣٠٢).

وقد قال عن كيفيتها: «وأما قول السائل: «هل لها كيفية تُعْلَم؟» فهٰذا سؤال مجمل إن أراد أنه يُعْلَم ما يُعْلَم من صفاتها وأحوالها؛ فهٰذا مما يُعْلَم، وإن أراد أنها هل لها مثل من جنس ما يشهده من الأجسام أو هل لها من جنس شيء من ذٰلك؟ فإن أراد ذٰلك؛ فليس كذٰلك؛ فإنها ليست من جنس العناصر: الماء والهواء والنار والتراب، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعدن، ولا من جنس الأفلاك والكواكب؛ فليس لها نظير مشهود، ولا جنس معهود؛ ولهٰذا يقال: إنه لا يُعْلَم كيفيتها»[1].

وقد وضَّح الإمام ابن القيم الفرق بين النفس والروح حيث قال في كتاب الروح: «المسألة العشرون: وهي هل النفس والروح شيء واحد أو شيئان متغايران؟

فاختلف الناس في ذٰلك:

فمن قائل: إن مسماهما واحد، وهم الجمهور.

ومن قائل: إنهما متغايران.

ونحن نكشف سر المسألة بحول الله وقوته.

ثم قال: «والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها... كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وتطلق على الروح وحدها، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده، ولا مع النفس...

وسميت النفس روحًا؛ لحصول الحياة بها، وسميت نفسًا؛ إما من الشيء النفيس؛ لنفاستها وشرفها، وإما من تنفَّس الشيء؛ إذا خرج؛ فلكثرة خروجها ودخولها في البدن؛ سميت نفسًا، ومنه النَّفَس بالتحريك؛ فإن العبد كلما نام خرجت منه؛ فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًا، فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بعث رجعت إليه.

فالفرق بين النفس والروح فرقٌ بالصفات، لا فرق بالذات»[2].

وأورد مسألة متعلقة بالفرق بين النفس والروح فقال: ثم اختلفوا في الأرواح: هل تموت

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٢٩٥).

(٢) الروح، لابن القيم (ص: ٦١٣- ٦١٦).

بموت الأبدان والأنفس أو لا تموت؟

وأورد ما قيل في هذه المسألة ثم قال: «أما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة، وهي النفس.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وكذلك الروح الذي أيَّد بها روحه المسيح ابن مريم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده؛ هي غير الروح التي في البدن.

وأما القوى التي في البدن فإنها تسمى أيضًا أرواحًا، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام؛ فهذه الأرواح قوى مودعة في البدن تموت بموت الأبدان، وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى.

ويطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه، ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن؛ فإذا فقدتها الروح؛ كانت بمنزلة البدن؛ إذا فقد روحه، وهي الروح التي يؤيد بها أهل ولايته وطاعته، ولهذا يقول الناس: فلان فيه روح، وفلان ما فيه روح، وهو بَوٌّ[1]، وهو قصبة فارغة، ونحو ذلك.

فللعلم روح، وللإحسان روح، وللإخلاص روح، وللمحبة والإنابة روح، وللتوكل والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الأرواح أعظم تفاوت؛ فمنهم من تغلب عليه هذه الأرواح؛ فيصير روحانيًا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًا بهيميًا. والله المستعان»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن صفات النفس وأحوالها: «النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها؛ صار لفظ «النفس» يعبر به عن النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى بخلاف لفظ «الروح» فإنها لا يعبر بها عن ذلك؛ إذ كان لفظ «الروح» ليس هو باعتبار تدبيرها للبدن.

---

(١) البَوُّ: جلد ولد الناقة يُحشى تبنًا إذا مات، ويقرب من أمه؛ لتعطف عليه، وتُدِرّ لغيره. ينظر: تاج العروس (جلد، وبوو).

(٢) الروح، لابن القيم (ص: ٦١٩-٦٢٠).

ويقال: النفوس ثلاثة أنواع: وهي:

«النفس الأمارة بالسوء»: التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي. [كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]].

و«النفس اللوامة»: وهي التي تذنب وتتوب، فعنها خير وشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت، فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوم؛ أي: تتردد بين الخير والشر. [كما قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]].

و«النفس المطمئنة»: وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده، وتبغض الشر والسيئات، وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقًا وعادة ومَلَكَةً. [كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]].

فهذه صفات وأحوال لذات واحدة، وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه.

وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء: إن النفوس ثلاثة: نباتية محلها الكبد، وحيوانية محلها القلب، وناطقية محلها الدماغ.

وهذا إن أرادوا به أنها ثلاث قوى تتعلق بهذه الأعضاء؛ فهذا مسلم، وإن أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها؛ فهذا غلط بيِّن»[1].

ثانيًا- المقصود بالإعجاز النفسي:

لا نجد للعلماء السابقين تعريفًا للإعجاز النفسي، وإن كان بعضهم قد تحدث بما يمكن أن يعتبر حديثًا عن الإعجاز النفسي للقرآن بالمعنى أو عن معنى الإعجاز النفسي للقرآن، ومن ذلك قول الخطابي (ت٣٨٨هـ): «في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣٠١-٣٠٢).

فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلىٰ مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا»(١).

وقال القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) في كتاب الشفا عن وجوه إعجاز القرآن: «ومنها روعته التي تلحق قلوب السامعين وأسماعهم، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، لقوة حاله، وإنافة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتىٰ كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفورًا، كما قال تعالىٰ، ويودون انقطاعه لكراهيتهم له، ولهٰذا قال عليه السلام: «إن هٰذا القرآن صعب مستصعب علىٰ من كرهه، وهو الحكم»(٢)، وأما المؤمن فلا تزال روعة القرآن وهيبته توليه انجذابًا إليه، وتكسبه هشاشة، لميل قلبه إليه، وتصديقه به. قال الله تعالىٰ: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]...

ويدل علىٰ أن هٰذا شيء خصَّ به، أنه يعتري من لا يفهم معانيه، ولا يعلم تفاسيره...

وهٰذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده؛ فمنهم من أسلم لها لأول وهلة، وآمن به، ومنهم من كفر به»(٣).

أما تسمية هٰذا المعنىٰ بالإعجاز النفسي فهي من اصطلاحات المتأخرين. وإذا نظرنا إلىٰ تعريفاتهم له نجد أنها تبحث في مجالين(٤)؛ الأول: حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها وكشفه لخباياها وخفاياها.

---

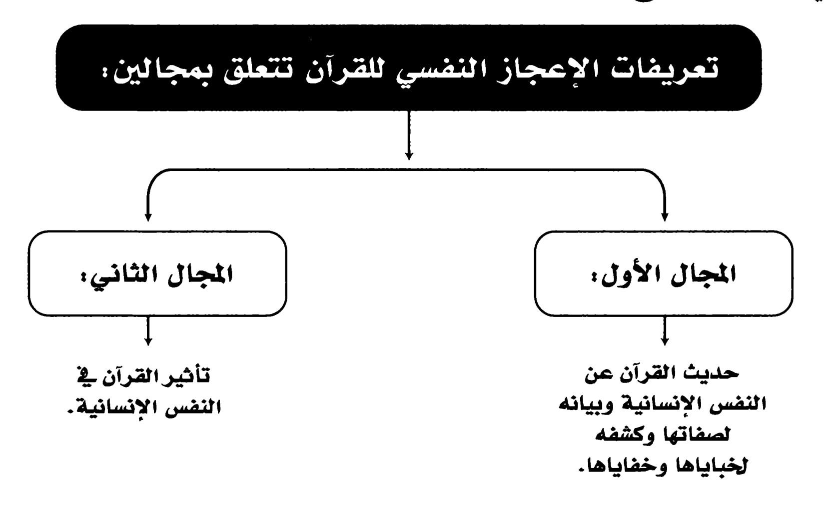
(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي: (ص: ٧٠).

(٢) أخرجه الحافظ أبو طاهر السِّلَفي (ت ٥٧٦هـ) في المشيخة البغدادية (وهي من المخطوطات الحديثية في المكتبة الإلكترونية الشاملة، ورقم الحديث فيها ٢٦) قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن برهويه، نا محمد بن الفرخان، نا أبي، نا عطية بن بقية، نا أبي، نا عيسى بن أبي عيسىٰ، نا موسى بن أبي حبيب، قال: سمعت الحكم بن عمير الثُّمَالِيُّ، وكانت له صحبة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن صعب مستصعب عسير علىٰ من كرهه، ميسر علىٰ من تبعه وطلبه، وحديثي صعب مستصعب، وهو الحكم، وأمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويتبعوا سنتي، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ من رضي بحديثي فقد رضي بالقرآن، ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة»، وشيخ السِّلَفي ابن برهويه لا يُعرف، ومحمد بن الفرخان متهم بالوضع، كما في ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٨١).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: (ص: ٣٣٥).

(٤) البيان في إعجاز القرآن: (ص: ٣٣٤).

والثاني: تأثير القرآن في النفس الإنسانية؛ سواء أكانت مؤمنة أم كافرة، وما ينتج عن هذا التأثر في النفس من نتائج وثمرات[1].



ويتبين من كلام العلماء حول الإعجاز النفسي في القرآن الكريم بأن المقصود به عند من يثبته: عدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن في بيان صفات النفس وأحوالها، وكشف خفاياها ومكنوناتها، والتأثير فيها.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز النفسي:

قال الله تعالى معظمًا أمر القرآن، ومبينًا علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألَّا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قال ابن عباس: يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله. فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع.

---

(١) الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، لعبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود، وهي رسالة جامعية قدمها الباحث استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عام ٢٠٠٥م: (ص:٣١).

ثم قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وقال: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. تشير هذه الآيات الكريمات إلى أن تأثير القرآن الكريم في المؤمنين يؤدي إلى أن تقشعر جلودهم، وهي حركة غير إرادية تدل على عظيم التأثير، ثم تلين جلوهم وقلوبهم، وتطمئن بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقد ورد أنها نزلت في نفر من نصارى الحبشة قدموا على رسول الله فلما سمعوا القرآن أسلموا، وقيل نزلت في النجاشي وأصحاب له أسلموا معه[٢]، وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها، كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وهو سيلانه من شدة امتلائه، ففيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله على رسول الله حق[٣]، وإسماع الكافر كلام الله رجاء أن يؤمن أمر مطلوب من المؤمن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

ومن الآيات الدالة على تأثير القرآن فيمن يستمع إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. فهذا الحرص منهم على عدم سماع القرآن حتى أوصى بعضهم بعضًا بذلك، وبأن يلغوا فيه، يعني: بأن يرفعوا أصواتهم ليتشوش القارئ له، أو: يرفعوا أصواتهم بالمكاء والتصدية والتصفيق حتى يصير لغوًا،

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٨).

(٢) تفسير الطبري: (١/ ٧)، تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٩٨) السيرة النبوية: (١/ ٤٨٩).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٥/ ٦).

أو: بأن يقعوا فيه ويعيبوه(١) = دليل على عظم تأثير القرآن فيهم.

ومن ذلك أنه استمع نفر من الجن إلى القرآن: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١-٢]، وبلغ بهم أن اجتمعوا للاستماع إليه حتى ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]. أي متلاصقًا بعضهم ببعض من التزاحم عليه إعجابًا بما تلي من القرآن(٢).

ومن شواهد تأثر المخلوقات بالقرآن ما ورد في الحديث الصحيح عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكن فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكن وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره، رفع رأسه إلى السماء؛ فإذا هو بمثل الظُلَّة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ بذلك، فقال: أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم.

أي أن الملائكة لاستغراقها بالاستماع إلى قراءة أسيد الحسنة، لو بقي يقرأ إلى الصباح لبقيت على حالها الذي يمكن أن ترى فيه من قبل القارئ وغيره(٣).

ومن شواهد تأثير القرآن في النفوس قول جبير بن مطعم رضي الله عنه في قصة إسلامه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. كاد قلبي أن يطير(٤)، وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي(٥).

والأخبار الواردة في تأثر الكفار بالاستماع إلى القرآن، وظهور ذلك في وجوههم، وإخلافهم الوعد بعدم الاستماع إليه = كثيرة؛ منها:

---

(١) ينظر: فتح القدير: (٤/ ٥١٤).

(٢) ينظر: المفردات، الراغب الأصبهاني، مادة لبد: (ص: ٤٤٦)، البحر المحيط: (١٠/ ٣٠١).

(٣) ينظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب منقبة أسيد بن الحضير وعباد بن بشر، رقم ٣٥٩٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: (٤/ ٤٣٨٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة والطور، رقم الحديث ٤٥٧٣.

(٥) معترك الأقران، السيوطي: (١/ ٢٦٣).

حادثة عتبة بن ربيعة حين أرسله الملأ من قريش إلى النبي وليعرض عليه المال والسيادة والملك والطب... حتىٰ إذا فرغ مما جاء به، قرأ عليه النبي ﷺ من أول سورة فصلت، وعتبة منصت قد ألقي يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، حتى انتهىٰ رسول الله إلى السجدة ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية ٣٧] فسجد، ثم قال: «لقد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»، فقام عتبة إلىٰ أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة... قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد[1]، وفي رواية أن النبي عندما بلغ في التلاوة قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. قام عتبة فأمسك علىٰ فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، فلما رجع إليهم وجدوه متغيرًا فقالوا: قد صبأ إلىٰ محمد، وقص عليهم خبره، وما وقع من الرعب في قلبه من القراءة، ومما قاله: قد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب؛ فخفت أن ينزل بكم العذاب[2].

ومنها حادثة أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شُرَيْق حين خرج كل منهم منفردًا ليستمع إلىٰ قراءة النبي وهو يصلي ليلًا في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، والتقوا وهم عائدون، فتعاهدوا أن لا يعودوا، إلا أنهم عادوا ليلة ثانية وثالثة، ثم تعاهدوا جازمين ألّا يعودوا[3].

وقد حفظت لنا كتب الإعجاز وفضائل القرآن وغيرها[4] حوادث وقعت بعد عصر النبوة تبين مدى التأثر البالغ والانفعال العفوي لدىٰ تلاوة آيات القرآن أو الاستماع إليها، ومن ذلك:

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: (١/ ٣٧٠)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٢٠١).

(٢) رواه البيهقي، دلائل النبوة: (٢/ ٢٠٣)، وأبو نعيم، دلائل النبوة: (ص: ٣٠٠)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية: (٣/ ٦١)، وأورده السيوطي في معترك الأقران: (١/ ٢٦٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام: (١/ ٢٠٠)، وبسنده رواه البيهقي في الدلائل: (٢/ ٢٠٤)، والبداية والنهاية، ابن كثير: (٣/ ٧١).

(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، النووي: (ص ٨٢-٨٣)، والتذكار، القرطبي: (ص١٤٩-١٦٢).

أنه قدم وفد من نجران على أبي بكر الصديق له في شيء من أمورهم، فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فبكوا بكاء شديدًا، فقال أبو بكر: (هكذا كنا حتى قست القلوب)(١).

وروي أن نصرانيًا مر بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: مم بكيت؟ فقال: للشجا والنظم(٢).

«وقد ثبت تأثير الآيات على العقل البشري باستعمال الأجهزة الحديثة، ومنها جهاز يقيس الموجات الدماغية بكل دقة، وهي أربع موجات لكل منها سرعة محددة، ففي حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة ١٣ -٢٥ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق والإبداع، يتحرك بسرعة ٨-١٢ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والخلود إلى النوم يتحرك بسرعة موجة واحدة فى الثانية، وفي حالة النوم العميق يتحرك بسرعة ٥-٣ موجة في الثانية، رأى هذا الجهاز الدكتور نجيب الرفاعي في أحد مؤتمرات التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمه بوضع القبعة على رأسه، وقرأ آية الكرسي، وشاهد على شاشة الكمبيوتر انتقال المؤشر من سرعة ٢٥ موجة في الثانية إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية ٨-١٢ موجة في الثانية، واستغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة، فطلب منه صاحب التجربة أن يقرأ على أحد رواد المعرض الذي رحب بالفكرة، وقرأ عليه آية الكرسي، وكانت النتيجة مذهلة حيث انخفضت موجاته الدماغية بشكل سريع إلى منطقة ٨-١٢ موجة في الثانية، وقال بعد انتهاء القراءة: لم أفهم منها شيئًا، ولكن ذات نغمات مريحة، لقد أدخلت السرور على قلبي بكلام غريب لم أفهم منه حرفًا واحدًا، كلام جميل ومريح»(٣).

والمتتبع لأقوال من أسلموا في عصرنا يجدها تنسب إسلامهم إلى تأثرهم بقراءة القرآن، ومطابقته لفطرة الإنسان في كل زمان ومكان، سواء أكان في الهند وباكستان، أم في أندونيسيا واليابان، أم في مصر والسودان، أم في إنجلترا والولايات المتحدة، أم في فرنسا وأستراليا،

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: (٣/ ١٠١)، والتبيان، النووي: (ص: ٨٣).

(٢) الشفا القاضي، عياض: (ص: ٣٣٦)، ومعترك الأقران، السيوطي: (١/ ٢٩٢) والشجا: من الشجو: وهو الحزن والهم، يقال: شجاه يشجوه. وشجاني الشيء، إذا حزنك. والشجى: ما نشب في الحلق من غصة هم. انظر: مقاييس اللغة: (شجو).

(٣) مقالة: أثر القرآن على قلوب الأمريكان، د. نجيب عبد الله الرفاعي- مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٢٠٦، ١٦ صفر ١٤١٧هـ = ٢/ ٧/ ١٩٩٦م.

وسائر أقطار الأرض(١).

وأما بيان القرآن الكريم لصفات النفس وأحوالها، وكشف خفاياها ومكنوناتها وأمراضها، وعلاجه لها؛ فإن القارئ للقرآن الكريم يجد فيه حقيقة النفوس البشرية وصفات النفس الإنسانية؛ مثل: أنها مخلوقة من نفس واحدة، وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد، وأنها مستعدة للخير والشر... ومن صفاتها: الكسب، والهوىٰ، والتزيين، والتسويل، والوسوسة، والإلهام، والظلم والتفريط، واللوم، والاطمئنان والرضىٰ، والأمر بالسوء.

ويجد فيه أيضًا كشف عيوب النفس الإنسانية وأمراضها؛ مثل: الحقد، والحسد، والشح والبخل والطمع والحرص وحب الدنيا، والعجب والكبر، والرياء، والغرور، والغضب والغيظ، واليأس والقنوط، والغفلة والنسيان.

ويجد فيه إرشادات للوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها، وأهم ذٰلك: الإيمان بالله، والإيمان بالقدر، والأمر بفعل الحسنات، والأعمال الصالحة، وترك السيئات، والعقوبات المتعلقة بذٰلك ومناسبتها له.

كما يجد أنه يراعي النفس الإنسانية في أحوالها المختلفة (الأبوة، والبنوة، والأخوة، والزوجية، والدعوة، والجهاد، والخطأ، وكونها ضيفة أو مضيفة...إلخ).

ويجد أن الله مطلع علىٰ أسرار النفس الإنسانية، وأن القرآن الكريم يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول، ويصحح المعتقدات، ويكشف عن أحقاد المنافقين وأهل الكتاب ضد الإسلام(٢).

المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز النفسي:

اختلف العلماء في هٰذا اللون من الإعجاز بين مثبت له وناف، وقد استدل المثبتون له بأدلة متنوعة؛ منها ما ورد في المبحث السابق؛ من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والحوادث التاريخية، والعلوم الطبيعية الحديثة، واختلف هٰؤلاء في علاقته بالإعجاز البياني؛ فمنهم من أثبته وجهًا مستقلاً من وجوه إعجاز القرآن، ومنهم من رأىٰ أنه تابع للإعجاز البياني.

---

(١) ينظر: القرآن يقوم العقل والنفس واللسان، خلف محمد الحسيني - نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ص ٩- ١٢.

(٢) ينظر: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، لعبد الله أبو السعود: (ص:٤٩- ٦٦، ٨٩- ١٥٣، ١٨١- ٢٠٢).

ومن ذهب من العلماء إلىٰ رفض إطلاق عبارة الإعجاز النفسي، ومنع اعتباره وجهًا من وجوه الإعجاز؛ يعتبرون الأدلة المذكورة إنما هي أدلة علىٰ صدق القرآن الكريم فحسب، ويمكن حصر أدلتهم في اشتراط التحدي في الإعجاز، وأنه لابد من اقتران المعجزة بالتحدي، والرسول ﷺ عندما تحدى العرب؛ لم يتحدهم بالأمور النفسية...

وأما ما جاء به القرآن من إبراز المكنونات النفس الإنسانية فإنما هو من قبيل التعريف، وإبراز مكنونات النفس الإنسانية، وليس فيه إعجاز أو خرق للعادة.

يقول محمد بن لطفي الصباغ: «فإن ما تضمنه القرآن من الإخبار عن السرائر ودخائل النفوس من غير أن يظهر منهم بقول أو فعل دليل علىٰ صدق نبوته، وعلىٰ أن هٰذا القرآن من عند الله، ولٰكنه ليس موضع الإعجاز الذي رافقه التحدي، وكذٰلك إخباره عن حديث نفس خطر ببالهم؛ فأطلع الله عليه نبيه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. والطائفتان هما بنو حارثة وبنو سلمة اللتان همتا بالتقاعد عن الخروج يوم أحد»(١).

وقد رجح الباحث عبد الله بن علي أبو السعود في رسالته الجامعية: «الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية»: أن الإعجاز النفسي أحد وجوه إعجاز القرآن.

وقال في بيان أسباب ترجيح إثبات الإعجاز النفسي للقرآن الكريم: «يمكن إجمال أسباب جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني بما يلي:

أولاً: القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تناسب كل عصر وكل قوم، وهٰذا [يستدعي] تعدد وجوه الإعجاز وتنوعها، ومن هٰذه الوجوه الإعجاز النفسي؛ فلو كان الإعجاز مقرونًا بالتحدي بالبيان؛ لكان محصورًا علىٰ عصر وعلىٰ قوم، وهٰذا محال باتفاق.

الثاني: أن الأدلة التي أوردها مثبتو الإعجاز النفسي أدلة لا تحتمل الشك والنزاع؛ ففي القرآن الكريم الآيات الواضحات التي تدل علىٰ تأثير القرآن في النفس الإنسانية بل علىٰ الجمادات، وكذٰلك السنة النبوية الصحيحة، فقد احتوت كثيرًا من المشاهد والواقعات الواضحة الدلالة علىٰ إثبات الإعجاز النفسي للقرآن الكريم.

الثالث: المشاهدات المعاصرة الكثيرة الدالة على التأثر النفسي عند تلاوة القرآن الكريم،

---

(١) لمحات في علوم القرآن: (ص: ٨).

وسماعه والتفكر في معانيه، حتىٰ على الذين لا يفقهون العربية = لا تحتمل شكًا في إثبات هٰذا الوجه من الإعجاز.

يقول الأستاذ الدكتور أحمد شكري: «إن الإعجاز النفسي وجه مستقل من وجوه الإعجاز، وإنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز؛ لأنه أمر يتعامل معه الجميع، ويتعرض له ولآثاره كل سامع للقرآن، ولو لفترة وجيزة، بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدد، ولا يكاد يشعر به كثير من المتعاملين بالقرآن الكريم، وأنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني، وثمرة من ثماره الكثيرة»[(١)(٢)].



---

(١) انظر: بحوث في الإعجاز والتفسير: (ص: ١٤٥).

(٢) ينظر: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، لعبد الله أبو السعود: (ص: ٧٧- ٧٨) بتصرف.

خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز النفسي للقرآن الكريم

المقصود بالإعجاز النفسي:

عدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن في بيان صفات النفس وأحوالها، وكشف خفاياها ومكنوناتها، والتأثير فيها.

الموقف من الإعجاز النفسي:

* اختلف العلماء في هٰذا اللون من الإعجاز بين مثبت له وناف.

* يمكن إجمال أسباب جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني بما يلي:

أولاً: القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تناسب كل عصر وكل قوم، وهٰذا يستدعي تعدد وجوه الإعجاز وتنوعها.

الثاني: الآيات الواضحات التي تدل علىٰ تأثير القرآن في النفس الإنسانية بل علىٰ الجمادات، وكذٰلك السنة النبوية الصحيحة، فقد احتوت كثيرًا من المشاهد والواقعات الواضحة الدلالة علىٰ إثبات الإعجاز النفسي للقرآن الكريم.

الثالث: المشاهدات المعاصرة الكثيرة الدالة على التأثر النفسي عند تلاوة القرآن الكريم، وسماعه والتفكر في معانيه، حتىٰ على الذين لا يفقهون العربية.

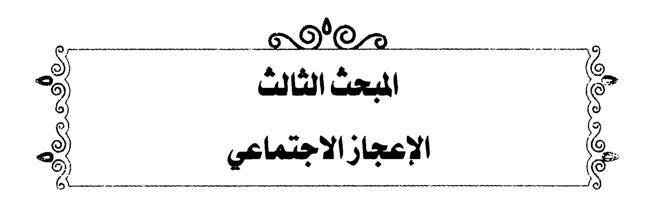
أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز النفسي للقرآن الكريم

١- ما المقصود بالإعجاز النفسي للقرآن الكريم؟

٢- دلل على الإعجاز النفسي للقرآن الكريم.

٣- ما موقف العلماء من إثبات الإعجاز النفسي للقرآن الكريم؟





المبحث الثالث

الإعجاز الاجتماعي

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز الاجتماعي:

تعريف «الاجتماع» لغةً:

هو «من الجَمع، و«الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعًا، وأجمَعتُ على الأمر إجماعًا وأجمعته، ويقال: فلاة مجتمعة: يجتمع الناس فيها، ولا يتفرقون خوف الضلال»[1]، والجَمع أيضًا هو: «ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع.

وجماع الشيء: جمعه، والإجماع: أي إجماع الأمة (الاتفاق) هذا أمر مجمع عليه أي: متفق عليه.

والإجماع: العزم على الأمر، والإحكام عليه، تقول: أجمعت الخروج، وأجمعت عليه».

وزاد الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [النور: ٦٢]، أي: «أمرٍ له خطر يَجتمع لأجله الناس، فكأنّ الأمرَ نَفسه قد جمعهم»[2].

إذا اشتقاق كلمة «جَمَع» تدل على التأليف، وضم المتفرق، فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به.

تعريف الاجتماع اصطلاحًا:

يمكن تعريف الاجتماع بأنه: ارتباط الأفراد بعضهم ببعض برابط مشترك.

وبناء على هذا التعريف للاجتماع يمكن بيان المقصود بالإعجاز الاجتماعي: بأنه عدم القدرة على الإتيان بمثل ما ورد في القرآن من نظم وإرشادات؛ في غاية الإحكام والمرونة والاتزان؛ تتعلق بضبط سلوك المجتمعات.

---

(١) مقاييس اللغة: (١/ ٤٢٦).

(٢) المفردات للراغب: (ص: ٩٦).

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز الاجتماعي:

لقد حفل القرآن بكثيرٍ من الأحكام والإشارات التي جاءَت لإصلاح المجتمع، ولا غَزْو؛ فإنَّ من غايات الإسلام إصلاحَ حياة البشر، فالإسلام يريد الإنسان سويًّا سعيدًا، يعرف حقيقة نفسه ورغباتها، وما ينفعها وما يضرُّها.

يريد له أن يعيش في غنًى وبركة؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويريد منه أن يستثمر طاقاته ومواهبه التي منَحه الله إيَّاها؛ ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ويريد له كذلك أن يشعرَ بالعدل في حياته، وأن يُطبِّقه علىٰ غيره؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وكذلك يُريد لها أن تعيش في سعادة وهناء، ومودَّة وحبٍّ؛ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

كما أنَّ الإسلام يسعىٰ لأن يكون المجتمع كله يعيش في رحمة الله وبركته؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وبالإجمال، فإنَّ الإسلام يريد للمجتمع كلِّه أن يَحيا حياة سعيدة في الدنيا، وأن يستحقَّ نعيمَ الله في الآخرة، ولأجل ذلك شرع الله ﷻ في القرآن أحكامًا تؤدِّي لهذا الهدف، وترشد مَن يَعِي ويتدبَّر إلىٰ عوامل النجاح والسعادة للفرد والأسرة والمجتمع.

أولاً- من مظاهر الإعجاز الاجتماعي علىٰ مستوى الفرد:

إشباع رغبة الإنسان في معرفة نفسه:

أ- فالإنسان مجبول على السعي وراء معرفة حقيقة نفسه، يريد أن يعرف من أين بدَأ، وإلىٰ أين المصير، ومكانته بين المخلوقات عند ربِّه، ويعلم الله تعالىٰ أن الإنسان سيُنفق الكثير من الأوقات والجهود والمؤلَّفات من أجْل معرفة تلك الحقائق، وأنه سيظهر الفلاسفة بآرائهم ونظريَّاتهم، محاولين الوصول لمعرفة أصل النفس البشرية ومنتهاها، وأنهم سيضلون في أغلبهم - إلَّا مَن رَحِم الله تعالىٰ - لذا يأتي القرآن ليُشبع نَهمة الإنسان لمعرفة مبتدئه، فيقول له:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، ويُبيِّن له مصيره ومُنتهاه؛ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

كما يُبيِّن له مكانته عند ربِّه -سبحانه- من بين مخلوقات الله جميعًا؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٤].

ب- توضيح خبايا النفوس، وأنَّ النفوس منها الخيِّر ومنها الشِّرير، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

ثانيًا- من مظاهر الإعجاز على مستوى الأسرة:

١- الإخبار عن احتياجات كلٍّ من الذكر والأنثى للسكن والحب والتراحم، وتشريع الزواج لتوفير تلك الاحتياجات؛ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

٢- الحرص على حِفظ صلات الرَّحم وتَقْوِيتها، ومَنْع ما يقطعها، أو يُضعفها ويُوهنها، ومن هنا حرَّم الإسلام الزواج ببعض النساء، وجعَلهنَّ محارِمَ؛ يقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

ثالثًا- من مظاهر الإعجاز على مستوى المجتمع:

١- إباحة البيع الذي فيه مصلحة المجتمع من حركة المال بيعًا وشراءً، واستهلاكًا لخيرات الله في الأرض، وتحريم الربا؛ ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والأمر بترْك الرِّبا، والإنذار بالعقاب الأليم في الدنيا والآخرة، ووَضْع الحل لِما كان قائمًا من الرِّبا بإعطاء صاحب المال رأسَ ماله فقط؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

٢- تحريم الاعتداء على الأنفس؛ لِما يجرُّ ذلك من جرأة المعتدي المُجرم على أنفس أخرى، ولِما يُثيره في نفوس أهل القتيل من الرغبة في الثأر، فتتكاثر الدماء كما يحدث في المجتمعات التي لا تُطبِّق شرْعَ الله تعالى؛ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ثم وضع الحل بالقصاص العادل الذي يشفي نفوس أهل القتيل من ناحية، ويُرهب كلَّ مَن لديه نزعة إجرامية من ناحية أخرى؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

٣- تشريع الحجاب وغض البصر، وتحريم الخلوة؛ ليَحفظ الأعراض، ويَصون عيون الرجال والنساء مما يُثير شهواتهم، ويَفتح الباب واسعًا للحرام؛ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١][(١)].

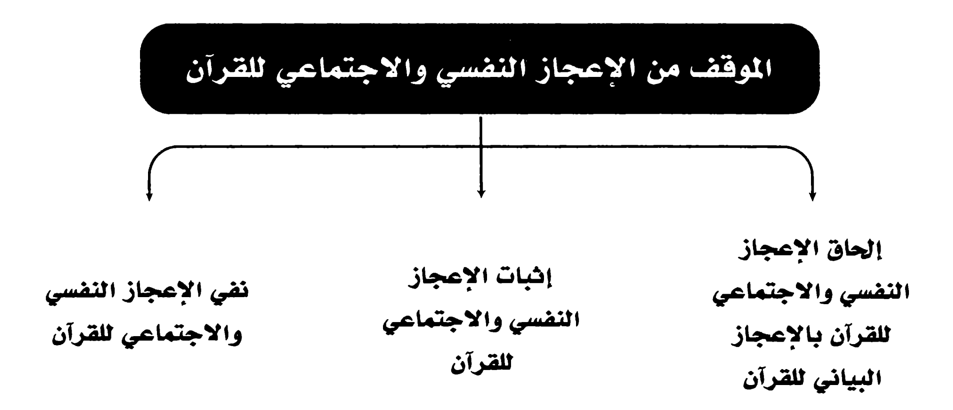
المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز الاجتماعي:

الموقف من الإعجاز الاجتماعي للقرآن كالموقف من الإعجاز النفسي، وهو الاختلاف في إثباته؛ فمن أثبته استدل بالنظام الاجتماعي في القرآن الذي استعرضنا بعض مظاهره في المبحث السابق، ومن نفاه لم ير أن شروط الإعجاز أو المعجزة تنطبق عليه،

---

(١) مقال: الإعجاز الاجتماعي في القرآن والسنة/ إسلام عبد التواب- منشور في الإنترنت في موقع الألوكة.

خاصة كون الأمر خارقًا للعادة، والتحدي به عند من يشترطه... ويحتمل أن يُنفى بسبب أن أدلته داخلة في إعجاز القرآن التشريعي؛ أي أنه ليس وجهًا مستقلاً من وجوه إعجاز القرآن، كما رئي أن مسمى الإعجاز النفسي للقرآن تابع لإعجازه البياني، ولم يُرَ أنه مستقل بنفسه.





خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم

المقصود بالإعجاز الاجتماعي:

عدم القدرة على الإتيان بمثل ما ورد في القرآن من نظم وإرشادات؛ في غاية الإحكام والمرونة والاتزان؛ تتعلق بضبط سلوك المجتمعات.

* الموقف من الإعجاز الاجتماعي للقرآن كالموقف من الإعجاز النفسي، وهو الاختلاف في إثباته؛ فمن أثبته استدل بالنظام الاجتماعي في القرآن، ومن نفاه لم ير أن شروط الإعجاز أو المعجزة تنطبق عليه، خاصة كون الأمر خارقًا للعادة، والتحدي به عند من يشترطه... ويحتمل أن يُنفى بسبب أن أدلته داخلة في إعجاز القرآن التشريعي.

أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم

١- ما المقصود بالإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم؟

٢- وضِّح بعض مظاهر الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم.

٣- ما موقف العلماء من إثبات الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم؟







فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- ابن تيمية ومنهجه في التفسير، د. ناصر بن محمد الحميد، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٥هـ.

٢- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، محمد إبراهيم شريف، دار السلام: مصر، ٢٠٠٨م.

٣- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٦م.

٤- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٥- آداب القارئ والقراءة لكتاب الله (رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية) إعداد: عبد العزيز بن عبدالله بن محمد الجربوع، ١٤١٢هـ.

٦- أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة: بيروت.

٧- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبد العزيز العريفي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث: السعودية، ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م.

٨- أدوات الاستفهام: دراسة إحصائية مقارنة، عبد الرحمن توفيق العماني، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م.

٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠- أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

١١- أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

١٢- أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي (نسخة المكتبة الشاملة).

١٣- **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: دراسة بلاغية نحوية**، بوعزة فتيحة، بوعزة هاجر- مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس من كلية الأدب واللغات والفنون بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، ٢٠١٧م.

١٤- **أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة بلاغية**، علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، رسالة ماجستير في جامعة أم القرىٰ، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

١٥- **أسماء مؤلفات ابن قيم الجوزية** (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد: بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

١٦- **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، بديع الزمان سعيد النورسي (ت: ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر: القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.

١٧- **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية**، عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ)، طبع بدار المعارف في القاهرة.

١٨- **الإعجاز البياني والتشريعي في آيات القتل**، سناء سليمان سلامة أبو صعيليك، رسالة جامعية؛ قُدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول علىٰ درجة الماجستير من الجامعة الأردنية، عام ٢٠٠٦م.

١٩- **الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي**، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار- دار ابن الجوزي: السعودية، ط٢، ١٤٣٣ه.

٢٠- **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، عبد السلام حمدان اللوح، آفاق للطبع والنشر والتوزيع: غزة، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م (أصل هٰذا الكتاب رسالة ماجستير).

٢١- **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**، زاهر بن محمد الشهري- دار طيبة الخضراء: مكة المكرمة، ط١، ١٤٤٠ه=٢٠١٩م.

٢٢- **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: تاريخه وضوابطه**، عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٣- **إعجاز القرآن الكريم**، د. فضل حسن عباس، د. سناء فضل عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع: عمان، ط٨، ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م.

٢٤- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفىٰ صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، **دار الكتاب العربي - بيروت، ط٨ ، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م**

٢٥- **إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب** (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: **السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط٥، ١٩٩٧م.**

٢٦- إعجاز القرآن، د. محمد السيد الحكيم، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٤٥م. (بواسطة رسالة موجودة في الإنترنت عن بلاغة أساليب القرآن، يظهر أنها في الجامعة الإسلامية بغزة، لكن لم يذكر عنوانها واسم صاحبها).

٢٧- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، جامعة المدينة العالمية (نسخة المكتبة الشاملة).

٢٨- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمعه: علي بن نايف الشحود، تاريخ جمعه: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م. (من محتويات المكتبة الشاملة).

٢٩- الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود، رسالة جامعية استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عام ٢٠٠٥م.

٣٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)؛ تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

٣١- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٢- آفاق الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم، عبد الدائم الكحيل، دار وحي القلم: دمشق، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٣٣- الوحي والإعجاز القصصي في القرآن الكريم، سعيد عطية علي مطاوع، بحث مقدم في لقاء علمي دولي في الذكرى السنوية الـ ١٤٠٠ للوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم، ١٥- ١٧ أكتوبر ٢٠١٠م، نشر في اسطنبول ٢٠١١م.

٣٤- الأمثال في القرآن، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة الصحابة - مصر- طنطا، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٣٥- الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠ هـ=١٩٨٠م.

٣٦- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (ت: بعد ٤٠٠هـ)، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٧- البحث البلاغي عند العرب: تأصيل وتقييم، شفيع السيّد، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.

٣٨- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٣٩- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت: ٧٤٥هـ)؛ تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٠- **بحوث في الإعجاز والتفسير**، د. أحمد خالد شكري، دار سوزلر للنشر: تركيا، ٢٠١٤م.

٤١- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

٤٢- **بدائع الفوائد**، ابن قيِّم الجَوْزية (ت: ٧٥١)؛ تحقيق: علي بن محمّد العمران؛ إشراف: بكر بن عبد اللّه أبو زيد، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٣- **البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس تريم الصفحات).**

٤٤- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى (ت: ٨١٧هـ)؛ تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٣٩٣- ١٤١٦هـ.

٤٥- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني** (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: **موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.**

٤٦- **البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)**، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٢م.

٤٧- **البلاغة والأسلوبية**، محمد عبد المطّلب، مكتبة لبنان ناشرون: لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٤٨- **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: ٣٨٨هـ)؛ تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م. (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

٤٩- **بيان معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية ومناقشتها**، بحث للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.

٥٠- **البيان والتبيين**، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ١٩٩٥م.

٥١- **تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض،** (ت: ١٢٠٥هـ)، **تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ.**

٥٢- **تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٥٣- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، إحسان عباس، دار الثّقافة: لبنان، ط٤، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م.

٥٤- **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)؛ تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٥٥- **التبيان في آداب حملة القرآن**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)؛ حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم: بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

٥٦- **التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين ابن قيم الجوزية** (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: **محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.**

- تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، بعنوان (التبيان في أيمان القرآن)، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥٧- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت: ٨٨٥هـ)؛ تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٥٨- **التحدي في آيات الإعجاز ، د. قحطان الدوري، دار البشير ومؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .**

٥٩- **آيات التحدي في القرآن الكريم: الدلالة والإيحاء، د. عبدالعزيز العمار، دار كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.**

٦٠- **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي** (ت: ١٣٩٣هـ)، **الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.**

٦١- **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي** (ت: ٤٤٠هـ)، **عالم الكتب: بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.**

٦٢- **التذكار في أفضل الأذكار**، أبو عبد الله **محمد بن أحمد** القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

٦٣- **تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني**، عبد العزيز بن المعطي عرفة، القاهرة.

٦٤- **التعبير الفني في القرآن**، بكري شيخ أمين، دار الشروق: بيروت والقاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

٦٥- **تعريف عام بدين الإسلام**، علي الطنطاوي، دار المنارة: جدة، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٦٦- **التعريفات**، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٦٧- **تفسير ابن أبي حاتم= تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)؛ تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٦٨- **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٩- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢ هـ=٢٠٠١م.

٧٠- **التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره، وتطبيقاته، والموقف منه**، عادل بن علي الشدي، مدار الوطن: الرياض، ط١، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

٧١- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٧٢- **تفسير القرآن الكريم (سورة السجدة)**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

٧٣- **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي -القاهرة.

٧٤- **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.

٧٥- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر: الفجالة - القاهرة، ط١، ١٩٩٧ - ١٩٩٨م.

٧٦- **تفسير سورة الكهف**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧٧- **التفسير والمفسرون**، د. محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.

٧٨- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)؛ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧هـ.

٧٩- **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب: القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

٨٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٨١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٢- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٨٣- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي- دمشق، ط٢، ١٤١٩ هـ=١٩٩٩م.

٨٤- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر - بيروت.

٨٥- جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوّي والبياني للقرآن الكريم: ابن القيم نموذجًا، العيد حذِّيق، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية - كلية العلوم الإسلامية في جامعة الجزائر.

٨٦- جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (قطعة منه)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد: مكة، ط١، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٨٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية،ط٢، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

٨٨- الحدود في الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: ٤٧٤هـ)؛ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

٨٩- الحيوان، عمرو بن بحر، أبو عثمان بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٩٠- خصائص الأسلوب القرآني، أبو بكر بن محمد فوزي البخيت، كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود: الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ.

٩١- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة: مصر، ط٧.

٩٢- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

٩٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر: بيروت.

٩٤- **درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ=١٩٩١م.**

٩٥- **دراسات جديدة في إعجاز القرآن الكريم**، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة: القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م .

٩٦- **دراسات في علوم القرآن الكريم**، د.فهد بن عبد الرحمن الرومي، الناشر: المؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.

٩٧- **دراسات في علوم القرآن**، محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المنار: مصر، ط٢، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

٩٨- **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها**، عبد المحسن بن زبن المطيري، دار البشائر الإسلامية: بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٩٩- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)؛ تحقيق: أبي فهر محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠٤م.

١٠٠- **دلائل النبوة، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت: ٣٠١هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار حراء - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ.**

١٠١- **دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ=١٩٨٨م.**

١٠٢- **دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: د.محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ=١٩٨٦م.**

١٠٣- **الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.**

١٠٤- **رسالة في علوم القرآن** (رسالة في بيان أن ليس في القرآن لفظة زائدة لا تفيد معنىً أو لمجرد التأكيد المحض دون فائدة جديدة)، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن أحمد الكندي المرر، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع: أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.

١٠٥- **روح الدين الإسلامي**، عفيف عبد الفتاح طباره، الناشر: دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٩٣م.

١٠٦- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي** (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: **علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.**

١٠٧- **الروح**، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)؛ تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي؛ خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي، دار عالم الفوائد: مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٠٨- زاد المسير في علم التفسير، **أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي** (ت: **٥٩٧هـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.**

١٠٩- **الزكاة**، بحث منشور في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)، لمحمد أبو زهرة.

١١٠- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ابن عقيلة المكيّ، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي (ت: ١١٥٠هـ)، تحقيق: محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبدالكريم اللاحم، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، **ط١، ١٤٢٧هـ.**

١١١- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي: مصر.

١١٢- سنن أبي داود، **أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)**، تحقيق: **شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠ هـ=٢٠٠٩م.**

١١٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، **تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.**

١١٤- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ=٢٠٠١م.

١١٥- السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن علي الحجي، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١٦- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ=١٩٧٦م.

١١٧- السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١١٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد (ت: ١٠٨٩هـ)؛ تحقيق: محمود الأرناؤوط؛ خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير: دمشق - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

١١٩- **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، خالد بن عبد الله الأزهري (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

١٢٠- **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ)؛ دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

١٢١- **شرح الطحاوية**، صالح آل الشيخ (نسخة المكتبة الشاملة).

١٢٢- **شرح العقيدة الطحاوية**، محمد بن علي ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨هـ.

١٢٣- **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط٢، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

١٢٤- **الشرح الكبير على المقنع**، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢هـ)؛ تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر: القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

١٢٥- **شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف**، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت: ٨٠٧ هـ)؛ تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية: بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م.

١٢٦- **شرح تنقيح الفصول**، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: ٦٨٤هـ)؛ تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة: مصر، ط١، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

١٢٧- **شرح ثلاثة الأصول**، محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)؛ دار الثريا للنشر: الرياض، ط٤، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤م.

١٢٨- **شرح ديوان المتنبي**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) (نسخة المكتبة الشاملة).

١٢٩- **شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن**، لعالم مجهول كأنه عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧٢هـ) - (وقد استبعد د. محمد أبو موسى ذلك)، كشف عنه وعلق عليه: زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي: القاهرة، ط١، ١٤١٧ه.

١٣٠- **شروح التلخيص** (مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي)، دار الكتب العلمية: بيروت.

١٣١- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)؛ تحقيق: د. عبد العلي عبدالحميد حامد؛ أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

١٣٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ)؛ تحقيق: عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م.

١٣٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الجيل - بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ).

١٣٥- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، **شمس الدين ابن قيم الجوزية** (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: **علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.**

١٣٦- صور البديع: فن الأسجاع، علي الجندي، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٥١م.

١٣٧- ضوابط البحث العلمي في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد الله المصلح، الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - منشور في الإنترنت.

١٣٨- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٣٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار السلفية: القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٤٠- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تقديم: محمود شاكر، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة ط٢، ١٩٦١م.

١٤١- عبد القاهر الجرجانيّ وجهوده في البلاغة العربية، أحمد أحمد بدوي، مكتبة مصر، (د. ط).

١٤٢- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٤٤هـ)؛ تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي: بيروت.

١٤٣- العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري - مركز رواسخ: الكويت، ٢٠١٩م.

١٤٤- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د.محمد أحمد قاسم، د.محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب: طرابلس - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥١هـ)، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

١٤٦- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت: ٨٦١هـ)، دار الفكر، (د.ت.م)، بأعلى الصفحة كتاب الهداية للمرغيناني يليه - مفصولا بفاصل - «فتح القدير».

١٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤٨- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)؛ تحقيق: د. جميل بني عطا؛جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م.

١٤٩- الفروق اللغوية وأثرها في التفسير، محمد بن عبدالرحمن الشايع، مكتبة العبيكان: الرياض، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

١٥٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة.

١٥١- فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ.

١٥٢- فضائل القرآن، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط١، ١٤١٥هـ =١٩٩٥م.

١٥٣- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة المعارف: مصر، ط٢، ١٩٨٨م.

١٥٤- قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

١٥٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

١٥٦- القرآن يقوم العقل والنفس واللسان، خلف محمد الحسيني- نهضة مصر: الفجالة- القاهرة، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٥٧- قصة أصحاب القرية دروس وعبر، علي بن نايف الشحود، دار المعمور: بهنج- ماليزيا، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

١٥٨- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

١٥٩- القول بالصرفة في إعجاز القرآن: عرض ونقد، عبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار ابن الجوزي: السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ. (سلسلة البحوث العلمية المحكمة؛ ٤٧).

١٦٠- كتاب الإيمان «ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته»، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

١٦١- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)؛ تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: بيروت.

١٦٢- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)؛ تحقيق: د. علي دحروج؛ نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي؛ مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٦٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٦٤- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

١٦٥- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.

١٦٦- اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

١٦٧- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١٦٨- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين: بيروت، ط٢٤، يناير ٢٠٠٠م.

١٦٩- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

١٧٠- المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٧١- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

١٧٢- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

١٧٣- **مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين؛** جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، دار الثريا: الرياض، ١٤١٣هـ.

١٧٤- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٧٥- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي** (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: **عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.**

١٧٦- **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن** سليمان المزيني، دار ابن الجوزي: الدمام- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

١٧٧- **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى الذين أسلموا)، دار المنار، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.**

١٧٨- **مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.**

١٧٩- **مداخل إعجاز القرآن**، أبو فهر محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بمصر، دون تاريخ.

١٨٠- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)؛ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

١٨١- **المدخل إلىٰ علم التفسير**، د. محمد بلتاجي، مكتبة الشباب: مصر، ٢٠٠٠م.

١٨٢- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة: القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

١٨٣- **المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج** (ت: ٧٣٧هـ)، **دار التراث، (د.ط.ت).**

١٨٤- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)؛ تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

١٨٥- **المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله** (ت: ٤٠٥هـ)، **تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.**

١٨٦- **مسند أبي داود الطيالسي**، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصرىٰ (ت: ٢٠٤هـ)؛ تحقيق: د.محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر: مصر، ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.

١٨٧- مسند أحمد، **أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)**، تحقيق: **شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة**، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١ م.

١٨٨- المشيخة البغدادية، الحافظ أبو طاهر السِّلَفي (ت: ٥٧٦هـ) (من المخطوطات الحديثية في المكتبة الإلكترونية الشاملة).

١٨٩- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني (ت: ٢١١هـ)؛ تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي؛ المجلس العلمي: الهند، المكتب الإسلامي: بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٩٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، **أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)**، تحقيق: **عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت**، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩١- معترك الأقران في إعجاز القرآن، **جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.**

١٩٢- معجزة القرآن الجديدة: بنية الآيات والسور، عمر النجدي، دار ابن قتيبة: الكويت، ١٩٩٤م.

١٩٣- معجزة القرآن الكريم، رشاد خليفة، دار العلم للملايين: بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١٩٤- معجزة القرآن، **محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٩٨ هـ=١٩٧٨م.**

١٩٥- المعجزة القرآنية: الإعجاز العلمي والغيبي، محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ= ١٩٩٣م.

١٩٦- معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية أوامر القرآن الكريم، ابن خليفة عليوي، دار الإيمان: بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

١٩٧- المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)؛ الناشر: دار الفكر العربي: مصر.

١٩٨- المعجزة: نظرية قرآنية في الإعجاز القرآني، المهندس عدنان الرفاعي، دار الفكر: دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. (ملحق به: نقد نقد النظرية الإعجازية في القرآن الكريم).

١٩٩- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة، دار الرفاعي: السعودية، ١٩٨٨م.

٢٠٠- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

٢٠١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: القاهرة.

٢٠٢- معجم علوم القرآن، **إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم - دمشق**، ط١، ١٤٢٢ هـ= ٢٠٠١م.

٢٠٣- **معونة أولي النهى شرح المنتهى (منتهى الإرادات)**، ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي، (ت: ٩٧٢ هـ)؛ دراسة وتحقيق: أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش، توزيع: مكتبة الأسدي: مكة المكرمة، ط٥، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٢٠٤- **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي؛ تحقيق: محمد مصطفى حلمي وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والترجمة، ١٩٦٥م.

٢٠٥- **المغني، ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م.**

٢٠٦- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٠٧- **مفتاح العلوم**، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٢٠٨- **مفتاح دار السعادة: منشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)؛ تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٣٢هـ.

٢٠٩- **المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني** (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: **صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.**

٢١٠- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري** (ت: **٣٢٤هـ**)؛ تحقيق: **نعيم زرزور، المكتبة العصرية: بيروت، ط١ ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.**

٢١١- **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث، شبكة تفسير للدراسات القرآنية: الرياض، ط١ ، ١٤٢٥هـ.

٢١٢- **مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا** (ت: **٣٩٥هـ**)، تحقيق: **عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.**

٢١٣- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان (ت: ٤٤٤هـ)؛ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة.

٢١٤- **مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني** (ت: **١٣٦٧هـ**)، **مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.**

٢١٥- **المنزع البديع**، القاسم السجلماسي؛ تقديم وتحقيق: علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة: الرباط، المغرب، ١٩٨٠م.

٢١٦- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني** (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: **محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.**

٢١٧- **الموافقات**، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)؛ تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان: الدمام- السعودية، ط١ ، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

٢١٨- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار ابن حجر: دمشق، ٢٠٠٣م.

٢١٩- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي: سورية، ط٢، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

٢٢٠- **موسوعة التفسير المأثور**، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي: جدة- السعودية، ط١، ١٤٣٩هـ.

٢٢١- **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.**

٢٢٢- **النبوات**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)؛ تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان،: أضواء السلف: الرياض، ط١ ، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٢٢٣- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)؛ تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى: مصر. [تصوير دار الكتاب العلمية: بيروت].

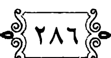
٢٢٤- **نظرية النظم**، د. صالح بلعيد، دار هومة: بوزريعة- الجزائر، ٢٠٠١م.

٢٢٥- **نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم**، إبراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزي: السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ.

٢٢٦- **النكت في إعجاز القرآن**، علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)؛ تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م. (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

٢٢٧- **نهاية الإقدام في علم الكلام**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٢٨- **نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب**، عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي (ت٧٧٢هـ)؛ تحقيق: د. شعبان صلاح، دار الجيل: بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م.



٢٢٩- الواضح في علوم القرآن، مصطفىٰ ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية - دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

٢٣٠- الوسيط في المذهب، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر، دار السلام - القاهرة، ط١ ، ١٤١٧هـ.

٢٣١- **وصف القرآن بالمعجزة في التراث العربي: عرض وتقويم**، أ.د. إبراهيم بن منصور التركي، دار كنوز أشبيليا: الرياض، ١٤٣٩ه=٢٠١٨م.

٢٣٢- **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر: حلب، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

ثانيًا: البحوث والمقالات

١- **أثر القرآن علىٰ قلوب الأمريكان**، نجيب عبد الله الرفاعي- مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٢٠٦، ١٦ صفر ١٤١٧هـ= ٢/ ٧/ ١٩٩٦م.

٢- **الأدلة الفطرية علىٰ وجود الله**، مقالات صادرة عن مركز سلف للبحوث والدراسات.

٣- **الاستئناف البياني: دلالته وفنيته**، د. سعاد محمود نحلة، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنات)، جامعة الأزهر، العدد الثالث عشر، سنة١٤١٥هـ.

٤- **أضواء على القرآن الكريم، (بلاغته وإعجازه)**، عبد الفتاح محمد محمد سلامة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٤٦ - ربيع الآخر- جمادى الأولىٰ - جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ.

٥- **الإعجاز الاجتماعي في القرآن والسنة**، إسلام عبد التواب- مقال منشور في الإنترنت في موقع الألوكة.

٦- **الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية**، د. صالح صواب، بحث مقدم في مؤتمر إعجاز القرآن الكريم- في جامعة الزرقاء الأهلية: الأردن.

٧- **أوجه الإعجاز التشريعي في فريضة الزكاة**، حميد خالد- منشور في الإنترنت في موقع منار الإسلام.

٨- **خصائص النظم القرآني**، رياض عميراوي، مجلة المعيار-ع٢٣، يناير ٢٠١٨م.

٩- **دعوى الإعجاز في حادثة مركز التجارة في أمريكا**، خالد السبت، علىٰ شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

١٠- **دعوى التعارض بين الدين الحق والعلم المادي التجريبي**، شيماء مجدي- منشور في الإنترنت في موقع المحاورون.

١١- **ضوابط مقترحة لتأصيل البحث في الإعجاز العددي**، أبو مالك العوضي، مقال منشور في موقع الألوكة.

١٢- **علم المناسبات في القرآن**، مقال منشور في الإنترنت.

١٣- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (من بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢١هـ).

١٤- الكليات الخمس بين الشريعة والقانون، محمد وفيق زين العابدين- مقال منشور في الإنترنت في موقع الألوكة.

١٥- مفهوم الإعجاز العلمي وضوابط البحث فيه، ملتقى أهل التفسير:

http: //www. tafsir. net/vb/tafsir25379

١٦- مقتضى الحال: مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القران الكريم، سميرة عدلي محمد رزق- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، سنة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

١٧- من أسرار الكلمات في القرآن الكريم، طارق السيد الطبل- مقال منشور في الإنترنت.

١٨- مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة ١٩٩٧م.

١٩- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (نسخة المكتبة الشاملة).

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

- موقع الفصيح الإلكتروني.

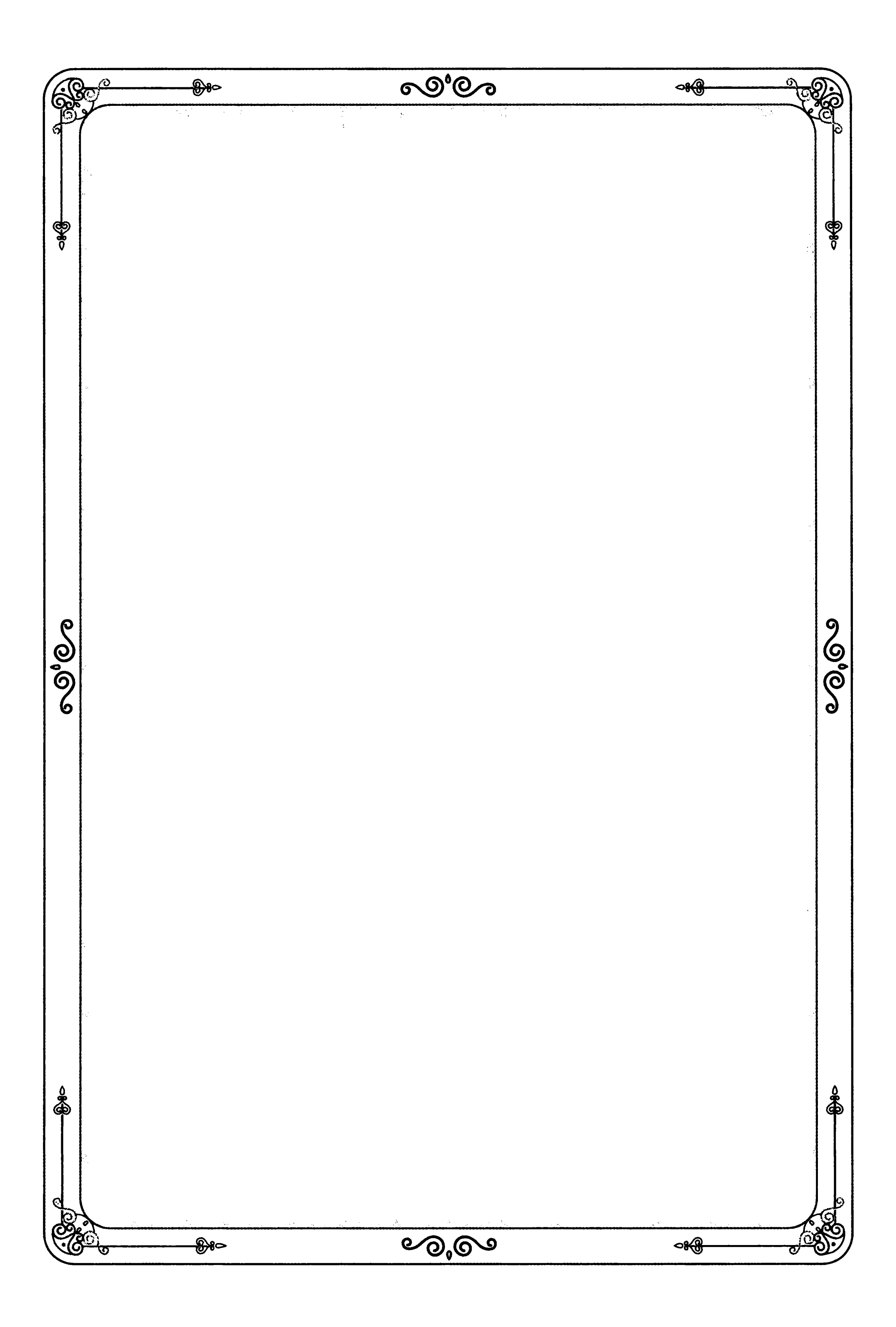
- موقع موسوعة الفتاوى.

- مشهد منشور في اليوتيوب بعنوان: «الهرم المعجزة»: للدكتور مصطفى محمود:

https: //www.youtube.com/watch?v=922w_5IKAJs&t=1476s

- https: //www.youtube.com/watch?v=kdrphWOTVb4





فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة

تصدير ٥

مقدمة.. ٧

أهداف المقرر.. ١٠

موضوعات المقرر ١٠

مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم

المبحث الأول: تعريف الإعجاز، والمعجزة، والفرق بينهما، والموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين ١٧

المطلب الأول: تعريف الإعجاز والمعجزة، والفرق بينهما ١٧

الإعجاز والمعجزة في اللغة ١٧

الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح ١٧

الفرق بين الإعجاز والمعجزة.. ١٩

المطلب الثاني: الموازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين ٢٠

المبحث الثاني: الأدلة على ثبوت إعجاز القرآن........................ ٢٣

المبحث الثالث: أهمية علم إعجاز القرآن وثمرته ٢٩

المبحث الرابع: التحدي بالقرآن: مراحله، والمقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن، وامتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك........................ ٣٠

المطلب الأول: مراحل التحدي بالقرآن........................ ٣٠

نتيجة التحدي ٣٢

المطلب الثاني: المقدار الذي وقع فيه التحدي بالقرآن........................ ٣٤

المطلب الثالث: امتناع معارضة القرآن مع توفر الدواعي لذلك........................ ٣٧

المبحث الخامس: تعريف الصَّرْفَة في إعجاز القرآن، وإبطال القول بها ٣٩
أولاً: تعريف الصَّرْفة ٣٩
ثانيًا: نشأة القول بالصرفة ٤٠
ثالثًا: إبطال القول بالصَّرْفَة ٤١
الرد العام على القول بالصَّرْفَة ٤١
الرد المفصل على القول بالصرفة ٤٢
الرد على الفرض الأول ٤٢
الرد على الفرض الثاني ٤٣
الرد على الفرض الثالث ٤٤
القول بالصرفة على سبيل الجدل والتنزل ٤٥
المبحث السادس: التعريف بأهم المصنفات في إعجاز القرآن ٤٨
خلاصة المدخل ٥٢
أسئلة المدخل ٥٥

الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز البياني وعلاقته بمجالات الإعجاز الأخرى وأنواعه ونظرياته ٥٩
المقصود بالإعجاز البياني ٥٩
علاقة الإعجاز البياني بوجوه إعجاز القرآن الأخرى ٦٠
أنواع الإعجاز البياني ٦٠
نظريات الإعجاز البياني ٦٣
الموازنة بين نظريات المتقدمين في الإعجاز البياني ٦٧
خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (١-٥) ٦٩
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (١) ٧٠
المبحث الثاني: وجوه الإعجاز البياني للقرآن ٧١

المطلب الأول: نظم القرآن ٧١
تعريف نظم القرآن........................ ٧١
الإعجاز في نظم القرآن........................ ٧٢
تطبيقات قرآنية على الإعجاز في النظم ٧٣
أولاً- نظم حروف القرآن وإعجازه، وتطبيقات قرآنية عليه ٧٤
ثانيًا- نظم كلمات القرآن وإعجازه، وتطبيقات قرآنية عليه ٧٧
خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٢-٥)........................ ٨٢
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٢) ٨٣
ثالثًا- الفاصلة القرآنية وإعجازها، وتطبيقات قرآنية عليها ٨٤
رابعًا- إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره، وتطبيقات قرآنية عليه........................ ٨٨
المطلب الثاني: بلاغة القرآن، ومخالفة نظمه لجميع كلام الناس ٩٢
خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٣-٥)........................ ٩٥
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٣) ٩٦
المطلب الثالث: الإعجاز في أسلوب القرآن ٩٧
الأسلوب في اللغة........................ ٩٧
الأسلوب في الاصطلاح........................ ٩٧
معنى أسلوب القرآن الكريم ٩٧
الأسلوب غير المفردات والتراكيب........................ ٩٧
الإعجاز في أسلوب القرآن ٩٨
تطبيقات قرآنية على الإعجاز في أسلوب القرآن ٩٩
خصائص الأسلوب القرآني........................ ١٠٠
أولاً- التكرار والترادف في القرآن الكريم، والإعجاز فيه، وتطبيقات قرآنية عليه، والرد على شبهة: وجود تكرار في القرآن يخل ببلاغته ١٠٣
ثانيًا- الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم، وتطبيقات عليه ١١٢

الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم ١١٣
تطبيقات على الإعجاز في أسلوب الإنشاء والخبر في القرآن الكريم..........١١٤
ثالثًا- الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه ...١١٤
الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ١١٥
تطبيقات على الإعجاز في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم.........١١٦
رابعًا- الإعجاز في أسلوب القَسم في القرآن الكريم، وتطبيقات قرآنية عليه.....١١٨
الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن الكريم...........................١٢١
تطبيقات على الإعجاز في أسلوب القسم في القرآن ١٢٢
خامسًا- الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم، وتطبيقات عليه١٢٤
الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم.......................١٢٧
تطبيقات على الإعجاز في أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم ١٣٠
سادسًا- الإعجاز في أسلوب القصص القرآني، وتطبيقات قرآنية عليه، والرد على شبهة وجود اختلاف التعبير بين قصص القرآن.............................١٣٢
الإعجاز في أسلوب القصص القرآني ١٣٣
تطبيقات على الإعجاز في أسلوب القصص القرآني.......................١٣٤
الرد على شبهة: اختلاف التعبير بين قصص القرآن؛ تكرار لها بالمعنى؛ يخل بالبلاغة.. ١٣٨
خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٤-٥).......................١٤٢
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٤) ١٤٦
المطلب الرابع: إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية، وتطبيقات قرآنية عليه ١٤٧
إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية ١٤٨
تطبيقات على إعجاز القرآن الكريم في أدلته العقلية ١٥٤
المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات، وتطبيقات قرآنية عليه ١٥٥
إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات ١٥٥

تطبيقات على إعجاز القرآن الكريم في المخاطبات بحسب الحاجات ١٥٩
المبحث الثالث: أهم المؤلفات في الإعجاز البياني ١٦١
خلاصة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٥-٥)........................ ١٦٥
أسئلة الفصل الأول: الإعجاز البياني للقرآن الكريم (٥) ١٦٥

الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز الغيبي، وأنواعه ١٦٩
المقصود بالإعجاز الغيبي ١٦٩
أنواع الإعجاز الغيبي ١٦٩
وجه دلالة الإخبار عن الغيب على مصدر القرآن........................ ١٧٠
المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز بالإخبار عن الغيب ١٧٢
غيب الماضي ١٧٢
غيب الحاضر........................ ١٧٤
غيب المستقبل ١٧٥
خلاصة الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم ١٨٠
أسئلة الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم ١٨٠

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز التشريعي ١٨٣
معنى التشريع في اللغة ١٨٣
المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن........................ ١٨٣
الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم........................ ١٨٣
المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي........................ ١٨٩
أولاً- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العقيدة........................ ١٨٩
ثانيًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال العبادات ١٩٢
ثالثًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال المعاملات........................ ١٩٧

رابعًا- أمثلة تطبيقية للإعجاز التشريعي في مجال الأخلاق ١٩٨

خلاصة الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم ٢٠٤

أسئلة الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم........................٢٠٥

الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

المبحث الأول: المقصود بالإعجاز العلمي، وبيان عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي ٢٠٩

أولاً- المقصود بالإعجاز العلمي..٢٠٩

ثانيًا- عدم التناقض بين النصوص الشرعية وحقائق العلم التجريبي ٢١٠

المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، ومذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها ٢١٤

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي ٢١٤

مذاهب الناس في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبيان الصحيح منها ٢١٦

المذهب الصحيح في التفسير العلمي للقرآن ٢١٩

المبحث الثالث: ضوابط الإعجاز العلمي ٢٢٢

المبحث الرابع: تسليم بعض الكفار بإعجاز القرآن........................٢٢٣

المبحث الخامس: أمثلة تطبيقية للإعجاز العلمي........................٢٢٥

خلاصة الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ٢٢٧

أسئلة الفصل الرابع: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم........................٢٢٨

الفصل الخامس: مجالات أخرى للإعجاز القرآني وموقف العلماء منها مع أمثلة تطبيقية لها

المبحث الأول: الإعجاز العددي..٢٣١

المطلب الأول: المقصود بالإعجاز العددي ٢٣١

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في الإعجاز العددي........................ ٢٣١

المطلب الثالث: ضوابط الإعجاز العددي........................٢٣٤

المطلب الرابع: أمثلة تطبيقية للإعجاز العددي ٢٣٧

المطلب الخامس: المؤاخذات على الإعجاز العددي ٢٤٠
خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز العددي للقرآن الكريم ٢٤٧
أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز العددي للقرآن الكريم ٢٤٨
المبحث الثاني: الإعجاز النفسي........... ٢٤٩
المطلب الأول: المقصود بالإعجاز النفسي ٢٤٩
أولاً- مفهوم النفس في اللغة والإصلاح ٢٤٩
ثانيًا- المقصود بالإعجاز النفسي........... ٢٥٢
المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز النفسي ٢٥٤
المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز النفسي ٢٥٩
خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز النفسي للقرآن الكريم........... ٢٦٢
أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز النفسي للقرآن الكريم........... ٢٦٢
المبحث الثالث: الإعجاز الاجتماعي ٢٦٣
المطلب الأول: المقصود بالإعجاز الاجتماعي ٢٦٣
المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للإعجاز الاجتماعي ٢٦٤
أولاً- من مظاهر الإعجاز الاجتماعي على مستوى الفرد........... ٢٦٤
ثانيًا- من مظاهر الإعجاز الاجتماعي على مستوى الأسرة ٢٦٥
ثالثًا- من مظاهر الإعجاز الاجتماعي على مستوى المجتمع ٢٦٦
المطلب الثالث: الموقف من الإعجاز الاجتماعي ٢٦٦
خلاصة الفصل الخامس: الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم........... ٢٦٨
أسئلة الفصل الخامس: الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم........... ٢٦٨
فهرس المصادر والمراجع........... ٢٦٩
فهرس الموضوعات........... ٢٨٩

إصدارات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

١- **مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية**: مجلة علمية محكّمة نصف سنوية؛ صدر منها ٣٤ عددًا، متوفرة على موقع المجلة: http://majlah.shatiby.edu.sa

٢- منهج الاستنباط من القرآن الكريم: د. فهد الوهبي- سلسلة الرسائل الجامعية (١).

٣- إقراء القرآن الكريم: منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه: دخيل الدخيل- سلسلة الرسائل الجامعية (٢).

٤- منظومة المقدمة الجزرية: لابن الجزري؛ تحقيق: أ. د. غانم قدوري الحمد.

٥- تجربة المقرأة الثانية في تعليم القرآن، الشيخ موسى الجاروشة.

٦- تعليم تدبر القرآن الكريم: أساليب عملية ومراحل منهجية: د. هاشم الأهدل، ٥ طبعات.

٧- الحسبه بشرح منظومة إتحاف الصحبه بما خالف فيه حفصًا شعبه، الشيخ محمد عبد الله الشنقيطي.

٨- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر.

٩- موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (١ -٢٥ مج مع مجلد المستدرك)، ط٣، ١٤٤٤هـ.

١٠- تفسير السلف: تاريخه وأعلامه ومصادره، د.خالد بن يوسف الواصل، طبعتان.

مؤلفات الشيخ عبد الفتاح القاضي (ت:١٤٠٣هـ)

(إشراف ومراجعة: أ.د. عبد العزيز القارئ)

١- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ٣طبعات.

٢- الوافي في شرح الشاطبية، طبعتان.

٣- الإيضاح لمتن الدرة، طبعتان.

٤- القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب.

٥- نفائس البيان في شرح الفرائد الحسان، ٣ طبعات.

٦- تاريخ القراء العشرة ورواتهم، طبعتان.

٧- الأعمال الكاملة للعلامة عبد الفتاح القاضي، (٧ مج).

سلسلة المقررات الدراسية (١-١٤)

١- المحرر في علوم القرآن، أ.د. مساعد الطيار، ١٣ طبعة.

٢- شرح المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد، ٤ طبعات.

٣- الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد، ١٠ طبعات.

٤- الميسر في علم التجويد، أ.د. غانم قدوري - ٨ طبعات.

٥- الميسر في علم عدِّ آي القرآن، أ.د. أحمد خالد شكري، ٤ طبعات.

٦- الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، أ.د. غانم قدوري الحمد، ٥ طبعات.

٧- التحرير في أصول التفسير، أ.د. مساعد الطيار، ٩ طبعات.

٨- المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم السندي، ٣ طبعات.

٩- حلية أهل القرآن في آداب حملة القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٤ طبعات.

١٠- علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج، د. نايف بن سعيد الزهراني، ٣ طبعات.

١١- الميسر في أصول التفسير، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٤ طبعات.

١٢- الميسر في علوم القرآن: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٦ طبعات.

١٣- طرائق ومهارات تدريس القرآن الكريم، أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني، ٣ طبعات.

١٤- الشرح الميسر على عقيلة أتراب القصائد، أ.د. غانم قدوري الحمد، إصدار جديد.

سلسلة الكشافات والأدلة (١-٨)

إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

١- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية (حتى عام ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م).

٢- دليل أوعية تعليم القرآن الكريم حتى عام ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، طبعتان.

٣- دليل الرسائل الجامعية في علوم القرآن حتى عام ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

٤- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة.

٥- دليل أوعية تدبر القرآن الكريم.

٦- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن جرير.

٧- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن كثير.

٨- دليل الأعمال العلمية المطبوعة المتعلقة بالمنظومة الشاطبية.